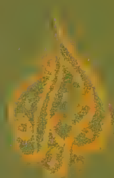
# القاعدة وحلفاؤها في أزواد

## النشأة وأسرار التوسع

محمد محمود أبو المعالي



مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES

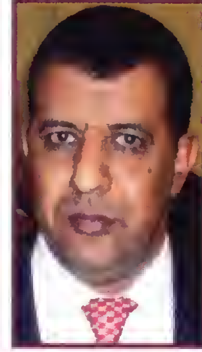
## هذا الكتاب

يعتمد هذا الكتاب على معلومات جمعتُها خلال سبعة أعوام من البحث والدراسة، تخللتها رحلة بحث وتحقيق قمتُ بها إلى صحراء أزواد بشمال مالي في النصف الثاني من شهر إبريل/نيسان والنصف الأول من مايو/أيار عام 2012، وتمكنت من جمع الكثير من المعلومات عبر مقابلات ولقاءات وجلسات مع قادة وعناصر الجماعات المسلحة وسكان المنطقة.

يبدأ الكتاب بلمحة تعريفيّة مختصرة لمنطقة أزواد بشمال مالي، حيث تنشط الجماعات الإسلامية المسلحة التي يتناولها الكتاب، وتتضمن تلك الورقة التعريفية لمحة تاريخية واجتماعية عن المنطقة، فضلاً عن نُبذة جغرافية مختصرة.

ثم يتناول الكتاب بشيء من التفصيل تاريخ وصول الجماعات الإسلامية المسلحة إلى صحراء أزواد في شمال مالي، وتناميها وتوسعها في تلك الصحراء، منذ دخول أول مجموعة من المقاتلين الجزائريين عام 2000 إلى شمال مالي أثناء مطاردة القوات الجزائرية لها، وما تلا ذلك من انتشار وتوغل لتلك الجماعات حتى سيطرت بمختلف فروعها على مدن وبلدات إقليم أزواد سنة 2012.

## نبذة عن المؤلف



**محمد محمود أبو المعالي**، باحث متخصص في قضايا الجماعات الإسلامية في الساحل والصحراء وأمين عام نقابة الصحفيين الموريتانيين. يعمل مديرا تنفيذيا لإذاعة نواكشوط الحرة، ورئيسا لتحرير صحيفة أخبار نواكشوط. يشغل منصب المنسق العام لاتحاد الإذاعات والتلفزيونات الخاصة بموريتانيا، وعضو في العديد من الهيئات الصحفية العربية والعالمية. أجرى أول مقابلتين صحفيتين مع مؤسس إمارة الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي «المختار بلمختار»، وأميرها الحالي «يحيى أبو الهمام». له كتاب تحت الطبع بعنوان: «رحلة إلى أزواد بعد الهروب المالي».



مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES


الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



# القاعدة وحلفاؤها في أزواد

## النشأة وأسرار التوسع

# القاعدة وحلفاؤها
# في أزواد

## النشأة وأسرار التوسع

محمد محمود أبو المعالي



مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-01-1280-3



مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES

الدوحة - قطر

هواتف: 4930181 -4930183 -4930218 (974+)

فاكس: 4831346 (974+) - البريد الإلكتروني: E-mail: jcforstudies@aljazeera.net

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص. ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb



التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

# المحتويات

# توطئة

يعتمد هذا الكتاب على معلومات جمعتُها خلال سبعة أعوام من البحث والدراسة، تخللتها رحلة بحث وتحقيق قمتُ بها إلى صحراء أزواد بشمال مالي في النصف الثاني من شهر إبريل/نيسان والنصف الأول من مايو/أيار عام 2012، وتمكنت من جمع الكثير من المعلومات عبر مقابلات ولقاءات وجلسات مع قادة وعناصر الجماعات المسلحة وسكان المنطقة.

يبدأ الكتاب بلمحة تعريفيَّة مختصرة لمنطقة أزواد بشمال مالي، حيث تنشط الجماعات الإسلامية المسلحة التي يتناولها الكتاب، وتتضمن تلك الورقة التعريفية لمحة تاريخية واجتماعية عن المنطقة، فضلاً عن نُبذة جغرافية مختصرة.

ثم يتناول الكتاب بشيء من التفصيل تاريخ وصول الجماعات الإسلامية المسلحة إلى صحراء أزواد في شمال مالي، وتناميها وتوسعها في تلك الصحراء، منذ دخول أول مجموعة من المقاتلين الجزائريين عام 2000 إلى شمال مالي أثناء مطاردة القوات الجزائرية لها، وما تلا ذلك من انتشار وتوغل لتلك الجماعات حتى سيطرت بمختلف فروعها على مدن وبلدات إقليم أزواد سنة 2012.

كما يتضمن الكتاب معلومات مفصَّلة عن تلك الحركات، كل حركة على حِدَة: (تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وجماعة أنصار الدين، وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وجماعة أنصار الشريعة، وحركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية)، إضافة إلى الحركة الوطنية لتحرير أزواد، والحركة العربية الأزواديَّة، والمجلس الأعلى لوحدة أزواد.

ويتطرق الكتاب خلال رصده ومعالجته لخريطة الجماعات الإسلامية المسلحة إلى بعض تفاصيل الأحداث المشتركة بينها، أو تلك التي تنفرد بها بعضها عن بعض.

وقد تعمدتُ في ثنايا الكتاب سرد معلومات مفصَّلة ودقيقة عن بعض المعارك التي خاضتها تلك الجماعات منفردة أو بالتنسيق بينها على مدن أزواد، وأسماء بعض الزعامات التي قُتلت في تلك المعارك أو شاركت فيها؛ وذلك بُغية توضيح حقيقة التعاون الوثيق والتنسيق بين تلك الجماعات، والتدليل على وحدة الهدف المشترك بينها. كما يتطرق الكتاب لجانب من تفاصيل معارك مشتركة خاضتها الجماعات الإسلامية المسلحة بالتنسيق مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد العلمانية، في توضيح لحقيقة شبه التعاون الذي كان قائمًا بين تلك الحركات الإسلامية من جهة، والحركة الوطنية لتحرير أزواد العلمانية في مواجهة الجيش المالي، رغم أنه تعاون ظل مشوبًا بالحذر وعدم الثقة المتبادلة بين الطرفين؛ بسبب اختلاف التوجُّهات والأهداف، قبل توتر العلاقة بينهما إلى درجة الاقتتال.

كما يتضمن الكتاب تفاصيل عن بعض علاقات مختار بلمختار (الملقَّب بـ "بلعور"، وهو مؤسس إمارة الصحراء الإسلامية التابعة لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي) بتنظيمات سلفية جهادية في بعض دول المنطقة مثل: تنظيم "أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط" بموريتانيا، وجماعة "بوكو حرام" في نيجيريا، وكذلك علاقاته مع باقي الأمراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وكيف ساءت وتطورت الخلافات بينهم إلى أن تم عزله بداية عن إمارة الصحراء، ثم أُقيل من منصب إمارة "كتيبة الملثمين"، ثم انسحابه من القاعدة وقرار تأسيس تنظيم جديد.

ويتألف الكتاب من خمسة فصول، خصصت أوَّلها للتعريف بمنطقة أزواد والحديث عن تاريخها وجغرافيتها، ووضعيَّة السكان والمظالم التاريخية والثورات المتكررة التي قام بها السكان منذ استقلال مالي بداية ستينات القرن الماضي، فضلاً عن اشتهار صحراء أزواد في العقود الأخيرة بأنها مرتع لعصابات التهريب والسطو والجماعات المسلحة.

وتناولت في الفصل الثاني فرع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في أزواد (إمارة الصحراء) منذ تأسيسها، والمراحل التي مرت بها، والصراعات التي نشبت بين أمرائها، واستراتيجيتها التوسعية في المنطقة، ودورها في السيطرة على كبريات المدن في شمال مالي عام 2012.

بينما خصصت الفصل الثالث لمعالجة البنية الهيكليَّة لإمارة الصحراء، وتوزُّعها إلى كتائب وسرايا تنتشر في المنطقة، ودور كل فصيل منها في الحرب التي أفضت إلى سيطرة الحركات المسلحة على إقليم أزواد، وعلاقة تلك الكتائب والسرايا ببعض الأحداث في دول المنطقة.

ويعالج الفصل الرابع الحركات الجهادية المتحالفة مع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في أزواد، وتناولت فيه بالتفصيل أربع حركات هي: جماعة أنصار الدين، وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وجماعة أنصار الشريعة، وحركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية، باعتبارها حركات جهادية متحالفة مع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، حيث تطرقتُ لنشأة كل حركة على حِدَة، وأسباب تأسيسها، وعلاقتها بباقي الحركات الأخرى، وأبرز قادتها.

أما الفصل الخامس فيتناول الحركات المسلحة غير الجهادية في أزواد (القومية والوطنية) وهي: الحركة الوطنية لتحرير أزواد، والحركة العربية الأزواديَّة، والمجلس الأعلى لوحدة أزواد، وحركة "الكُونْدوكُوي"، وعلاقة هذه الحركات بعضها ببعض، فضلاً عن علاقتها بالحركات الجهادية.

وخصصت الفصل السادس والأخير لملاحق تتضمَّن مقابلتين حصريتين أجريتهما مع مؤسس إمارة الصحراء في تنظيم القاعدة وزعيم جماعة "الملثمين" مختار بلمختار، وأخرى مع أمير الصحراء الكبرى في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي يحيى أبو الهمام، وتعتبر المقابلتان هما الوحيدتان حتى الآن بالنسبة للرجلين مع وسائل الإعلام؛ حيث لم يجرِ أيٌّ منهما مقابلة صحفيَّة لا قبل ذلك ولا بعده حتى الآن، إضافة إلى بيانات أعتقد أنها تشكِّل تسجيلاً لمراحل مهمة في مسيرة بعض تلك الحركات الجهادية، ومنعطفات في تاريخها، ويتعلق الأمر بالبيانات التالية:

- بيان إعلان تأسيس الجماعة السلفية للدعوة والقتال، التي أصبحت لاحقًا تُعرف باسم تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.
- بيان إعلان انضمام قيادة منطقة الصحراء في الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر بقيادة مختار بلمختار إلى الجماعة السلفية للدعوة والقتال،

وقد شكّلت تلك المنطقة لاحقًا نواة لإمارة الصحراء التي تمركزت في أزواد، وسيطرت على أجزاء كبيرة منها.

- بيان إعلان تغيير الجماعة السلفية للدعوة والقتال اسمها إلى تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي بعد مبايعتها لزعيم القاعدة أسامة بن لادن.
- أول بيان تصدره "جماعة أنصار الدين" بعد تأسيسها، وتُعلِن فيه الخطوط العريضة لمنهجها ودعوتها، فضلاً عن استراتيجيتها وأهدافها المستقبلية.

ويسعى الكتاب إلى سرد أهم الأحداث التي كانت تلك الجماعات وراءها أو طرفًا فيها، وتقديم قراءة في الأبعاد الاستراتيجية لهذه التنظيمات، وذلك عبر رصد جانب من أنشطتها وطرق تفكيرها وتخطيطها، وتشابك علاقاتها ووحدة أهدافها رغم اختلاف تنظيماتها، فضلاً عن حضور أبعاد أخرى قبلية وعرقية وإقليمية في تكوين بعضها.

# الفصل الأول

# أزواد.. التاريخ والإنسان

## لمحة عن إقليم "أزَواد"

يشكِّل الشمال المالي المعروف باسم إقليم "أزَواد"، والذي يشمل أزيد من ثلثي مساحة الجمهورية، جزءاً من الشريط الساحلي الممتد بين الجزء الشمالي من القارة الإفريقية وأجزائها الوسطى والغربية، فضلاً عن كونه يشكل جزءاً من الصحراء الكبرى، ويمتد على مساحة شاسعة تناهز 830 ألف كيلومتر مربع. وينقسم إقليم أزواد إداريًا إلى ثلاث ولايات هي: ولاية "غاوا" أو الولاية السابعة في التقسيم الإداري لجمهورية مالي، وتعتبر عاصمة إقليم أزواد، ومن أكبر مدنه على الإطلاق، وتتبع لها عدة مدن وتجمعات سكانية من أبرزها "منيكا"، و"كوسي"، و"بوريم". وولاية تِمبكتُو وتُعرف باسم الولاية السادسة، وهي العاصمة الثقافية والتاريخية لأزواد والصحراء، ومن أبرز حواضرها ومدنها "غوندام" و"نيافونكي"، و"ليرة". وولاية كِيدَال أو الولاية الثامنة، وهي عاصمة الجزء الشمالي الشرقي من الإقليم المعروف باسم "أدرار الإفوغاس"، ومن أهم مدنها وقراها "تساليت"، و"أجلهوك"، و"الخليل".

كما يضم إقليم أزواد الأجزاء الشمالية من ولاية "موبتي" وهي الولاية الخامسة، وتقطنها مجموعات من الفُلاّن وقبائل الإيمغاد الطارقيَّة. أما من حيث التضاريس فينقسم إقليم أزواد إلى مناطق زراعية غابوية، وأخرى صحراوية، وثالثة جبلية؛ حيث يعتبر جزؤه الجنوبي المحاذي لنهر النيجر، والذي يبدأ من مدينة "غوندام" مرورًا بمدينة"تِمبكتُو" باتجاه مدن "بيرَم" و"أَسَنْغُو" و"غَاوا"، و"ادونتزا"، و"كونا"، منطقة زراعية تنتشر فيها الغابات والمزارع والقيعان، وهي منطقة محاذية لنهر النيجر. أما المنطقة الصحراوية من الإقليم فتمتد في الوسط باتجاه مدينة "أجلهوك" وبلدات "قصر الشيخ" و"تَاوْدَنِّي" و"حَاسِي سِيدِي" و"بوجبيهة" و"أروان" و"حسيان أولاد غنام" و"ازويرة" و"العرش" و"تنزاواتين" و"الخليل"، وهي منطقة صحراوية قاحلة، تتميز بكثبانها الرملية المتحركة، وتشبه -إلى حد

كبير- صحراء الربع الخالي في المملكة العربية السعودية، أو صحراء "المجابات الكبرى" في شمال موريتانيا. أما المنطقة الشمالية الشرقية من الإقليم فتتميز بكونها منطقة جبلية تُعرف باسم "أدْرَار الإِفُوغَاس" (نسبة إلى قبائل الإفوغاس الطارقية)، وتنتشر فيها سلاسل جبلية وعرة من أشهرها جبال "تغرغارت وتَسَالِيت وأمشش وكِيدَال وتمدقين وغيرها. وتقطن في الإقليم عدة قوميات من أبرزها: الطوارق ويتحدثون لغة "التماشق"، والقبائل العربية ويتحدثون اللهجة "الحسَّانيَّة العربية"، والسُّونغاي ويتحدثون لغة "الكُورُوبُورِية"، وهم من الزنوج أصحاب البشرة السوداء، كما توجد به أقلية من الفُلّان يتحدثون اللغة البولارية.

ويدين جميع سكان أزواد بالإسلام، ويعتنقون المذهب المالكي، وتنتشر بينهم الطرق الصوفية بشكل كبير[1]؛ حيث تعج صحراء أزواد ومدنه بأضرحة الأولياء وشيوخ الطرق الصوفية، وتُعرف مدينة تمبكتو العاصمة التاريخية الثقافية لأزواد باسم مدينة "333 وليًّا"، في إشارة إلى أنها تضم قبورًا لهذا العدد من الأولياء[2].

أما الطوارق في معظمهم فيعود نسبهم إلى قبائل الملثمين الصنهاجين البربر، وكلمة الطوارق وإن كانت مصطلحًا يطلقه الآخرون على تلك القبائل في الصحراء إلا أنهم لا يسمون أنفسهم بهذا الاسم، وإنما يطلقون على أنفسهم أحد الأسماء (إماجغن، إيموشاغ، إيموهاغ)، وفي نفس الوقت يطلق بعضهم -وليس جميعهم- اسم (كل تمشاغت أو كل تماشقت) على الطوارق غير الأصليين، أي القبائل التي تطرَّقت و لم تكن أصولها من الطوارق[3].

ويرى محمد عبد الرحمن عبد اللطيف أن لهذه المسميات توزيعات جغرافية، حيث إن طوارق غدامس ومرزق وغات وتمنراست هم من يُطلق عليهم اسم "إيموهاغ"، وطوارق كيدال في آدارر الإفوغاس شمال مالي وأزواغ الغربي في

1 أحمد الحسني، "الحالة الدينية في شمال مالي منطقة "أزواد" وتداعيات الثورة: الواقع والمأمول". http://almoslim.net/node/164402

2 "مجلة أكاديمية: تمبكتو المدينة المفقودة".
http://arc.alakhbar.info/25525-0-B0-FC-F0.html

3 همام هاشم الألوسي، الطوارق الشعب والقضية: تاريخًا منسيًّا وحاضرًا مقهورًا ومستقبلاً مجهولاً (الرباط، دار أبي رقراق، 2010)، ص 93.

النيجر هم من يُسمون أنفسهم "إيموشاغ"، وطوارق آيير وأزواغ الأوسط في النيجر يسمون "إماجغن"، لكن كل المسميات في المحصلة النهائيَّة تصبُّ في أنَّ اسمهم يعود إلى كلمة "مازيغ".

ويُعرف الطوارق باسم "الملثمين"، وهي تسمية يورد الباحثون أسبابًا عديدة لها، تأخذ في معظمها طابعًا أسطوريًّا وخرافيًّا، ومنها أن "هقار" وهو ابن الملكة الطارقية تين هينان فرَّ هاربًا بجيشه من إحدى المعارك، وفي طريق العودة واجه إحراجًا؛ لأنه لا يستطيع دخول حي عشيرته وهو منهزم، فأقام بجيشه فترة من الزمن خارج الحي، ولما هَمَّ بالدخول إلى الحي غطَّى وجهه بلثام؛ لأنه جلب العار، وكذلك فعل أفراد جيشه، وأصبح الأمر تقليدًا في الطوارق إلى اليوم. ومنها قصة أخرى أن جيشًا داهم حيًّا للطوارق أثناء غياب الرجال في مهام جلب الميرة وسقي الماشية، فقامت نساء الحي بمواجهته بعد أن تلثمن لإيهام الغزاة أنهن رجال، وكان لهن النصر في المواجهة، فصار اللثام أمرًا متداولاً لدى الطوارق.

وأقام الطوارق في تلك المنطقة من الصحراء الكبرى حواضر وسلطنات عديدة، من أشهرها إمبراطورية الملكة تين هينان التي حكمت في القرن الخامس عشر، ويقول الطوارق إنها صاحبة عقل راجح وحكمة معتبرة، وإن أصولها تعود إلى منطقة "تافيلالت" جنوب المغرب، وقد استقرت في منطقة "الهقار" جنوب الجزائر، وأقامت مملكتها هناك، وكانت سيِّدة عرجاء كما يقول ابن خلدون[1]. كما تتحدث بعض المصادر عن أنها كانت بارعة الجمال، وقد استخدمت ذلك لتسيطر على المنطقة، وحكمت عشرات القبائل في الصحراء، ويقول المؤرخون: إن الطوارق أقاموا في المنطقة عدة سلطنات من أبرزها:

سلطنة "آزكار" وكانت تقع في سهول ووديان وواحات جبال الطاسيلي وأكاكوس، وجنوب غرب ليبيا مثل غدامس وغات التي كانت عاصمة للسلطنة، وجنوب شرق الجزائر مثل الدبداب وحاسي مسعود وعين أميناس وجانت. وسلطنة "الهقار" وتقع في جنوب الجزائر، وتشترك في حدودها الشرقية مع سلطنة

1 ابن خلدون، كتاب العبر وديون المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992).

"آزكار"، وقد اتخذت من مدينة تمنراست جنوب الجزائر عاصمة لها. ثم سلطنة واللّيمدن، ومعناها بالطارقية السلطنة الغربية، وتقع في منطقة غرب أزواغ بالنيجر، وتمتد إلى أزواد شمال مالي، خصوصًا منطقة منيكا وشنتابراضين وأضرمبوكار. وسلطنة "تكريكريت" وهي تتوسط بلاد الطوارق، ومعنى كلمة "تكريكريت" بلغة التماشق "الوسطى"، وموقعها وسط بين السلطنات، ومركزها مدينة أبْلَغ. وسلطنة "آيير" وسميت بهذا الاسم نسبة إلى جبال آيير في شمال النيجر، وعاصمتها مدينة أغاديز. ثم سلطنة "تمزقد" وتعتبر من أقوى السلطنات الطارقية، حيث كانت تحتل أراضي خصبة وتتحكم في طرق القوافل القادمة من وإلى ليبيا وبلاد الهوسا جنوبًا، وترتبط بعلاقات تجارية مع تشاد، ومركزها مدينة تركا غرب مدينة تانوت شمال زندر، وتسمى دمرغ، وهي جنوب آيير وشرق تكريكريت.

كما أقام العرب بدورهم عدة سلطنات في منطقة أزواد، منها سلطنة "أولاد سليمان" البربوشية التي قامت في غرب إقليم أزواد، وسيطرت على المناطق الممتدة بين تمبكتو وحوض تاودني شمالاً، حيث يتم استخراج الملح هناك، وهو نشاط تقليدي عُرفت به قبائل البرابيش عبر تاريخهم في المنطقة. وسلطنة "كنتة" التي كان لها بُعد علمي وروحي كبير، وسيطرت على مناطق في وسط وشمال إقليم أزواد.

أما كبريات الحواضر والمدن في جنوب أزواد، فإنّ المؤرخين يجمعون على أنّ أوّل من أقام مدينتي غاوا وتمبكتو الكبيرتين في جنوب أزواد، قبائلُ لمطة ولمتونة، وقبيلة تاركة، ومن هذه القبائل ينحدر شعب أزواد الأمازيغي. أما الهجرات العربية إليه فكانت بعد ذلك في نهاية القرن الخامس عشر على يد البرابيش القادمين من موريتانيا، وهم في أغلبيتهم من قبائل بني حسان العربية، ثم تبعهم الكنتيون في القرن الثامن عشر قادمين من إقليم الساقية الحمراء. ويتحدث المؤرخون عن أزواد في بداية القرن الرابع عشر كإقليم يتمتع بحكم ذاتي، تابع شكليًّا لإمبراطورية مالي، لكنها فقدت السيادة عليه سنة 1433. وفي عام 1591 احتله سلطان السعديين في المغرب أحمد الذهبي، بعد أن هزم إمبراطورية السونغاي في جنوبه وقضى عليها، ومنذ ذلك التاريخ لم يخضع إقليم أزواد لسيطرة مركزية منتظمة، إلى أن وصل

الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة عام 1893، حيث واجه مقاومة عنيفة من العرب والطوارق في الإقليم.

وقد عَرف إقليم أزواد سلطنات سودانية خصوصًا في جزئه الجنوبي، من أشهرها مملكة غاوا، نسبة إلى مدينة غاوا عاصمة الإقليم، واعتبرها المؤرخون من أقوى ممالك إفريقيا في القرن التاسع، وقد بسطت سيطرتها على الجزء الجنوبي من إقليم أزواد، وامتد نفوذها غربًا باتجاه مدينة تمبكتو. ثم وقعت المنطقة بعد ذلك تحت سيطرة مملكة مالي في النصف الأول من القرن الرابع عشر، وسيطر أشهر ملوكها مانسا موسى على مدينة تمبكتو ليضمها إلى مملكته، لكنها تمردت عليه بعد ثلاثين عامًا من السيطرة عليها. وبعد انهيار سيطرة مملكة مالي على المنطقة، ظهرت مملكة جديدة هي مملكة السونغاي، التي بسطت سيطرتها على غاوا وتمبكتو في بداية النصف الأخير من القرن الخامس عشر، وشهدت مدينة تمبكتو في تلك الفترة ازدهارًا تجاريًا كبيرًا، حيث كانت محط القوافل التجارية القادمة من شمال إفريقيا. وقد انتهت سيطرة السونغاي عليها مع وصول السعديين الذين انتهت فترة سيطرتهم بظهور ما عُرف بباشوية تمبكتو، وهم حكام محليون للمدينة، الذين استقلوا نهائيًا بحكم المدينة سنة 1630. ثم حكم الطوارق بعد ذلك، ثم سيطرت عليها سلطنة ماسينا، ثم سيطر عليها الحاج عمر تال.

وكان إقليم أزواد إبَّان قدوم الفرنسيين المحتلين إليه أواخر القرن التاسع عشر، موزعًا على "سلطنات" عديدة تحكمه بواسطة النظام القبلي، بعضها طارقي وبعضها عربي، وبعضها الآخر سوداني، ومن أبرزها "سلطنة الفُلان" و"مملكة السونغاي"، وكلاهما من السودان، وتتركزان في جنوب الإقليم، و"سلطنة البرابيش" و"سلطنة كنتة"، وكلاهما عربية، و"سلطنة والليمدن" و"سلطنة كلنصار" و"سلطنة الإفوغاس"، وهي سلطنات طارقية، وكانت هذه السلطنات تضم عشرات القبائل المنضوية تحت لواء القبيلة الحاملة لاسم السلطنة، وأحيانًا قد يتم الأمر وفقًا لتحالف عدة قبائل في سلطنة واحدة.

وعند قيام حركة الاستقلال سنتي 1957 و1958 طلبت فرنسا الدولة المحتلة من السلاطين أن يوافقوا على جعل منطقة أزواد محمية فرنسية إلى أن يتم تأطير

أهلها، إلا أن أهل أزواد رفضوا العرض الفرنسي؛ لاعتقادهم أنه يستهدف محاصرة الثورة الجزائرية التي كانت فتيَّة آنذاك، ولاعتقادهم أيضًا أنه يستهدف إقامة قواعد عسكرية فرنسية في المنطقة، فضلاً عن كونهم كانوا يعتقدون أن التعايش مع البامبار -وهي قبيلة من السودان الإفريقي تسلمت الحكم في مالي من الفرنسيين- أمرٌ ممكن، وأنهم جميعًا مسلمون سيتعايشون معًا.

لكن بعد استقلال جمهورية مالي التي سيطر الجنوبيون على مقاليد الحكم فيها، واجه الشمال (أزواد) إهمالاً كبيرًا، وتعاطت معه الحكومات المتعاقبة في باماكو باعتبار أزواد منطقةً من الدرجة الثانية في الوطن كما يقول سكانه، فغابت عنه المشاريع التنموية والتعليمية والصحية، وغُيِّب أبناؤه عن مراكز صنع القرار إلا في حالات قليلة، وترافق ذلك مع حركات تمرد مسلحة قامت ضد مالي خلال العقود الماضية.

ونتيجة للإهمال الممنهج الذي كانت منطقة أزواد ضحيَّة له من طرف باماكو، تحولت تلك المنطقة طيلة العقود الماضية إلى بؤرة لنشاطات الجماعات المسلحة وعصابات التهريب والخارجين على القانون، الذين وجدوا فيها متسعًا آمنًا لهم ولنشاطاتهم، حيث لا سلطان لأي قانون هناك سوى "قانون الغاب"؛ إذ يقع الإقليم نظريًّا تحت سلطة الدولة المالية، لكنه واقعيًّا ظل إقليمًا خارجًا على القانون. وقد ساهم في ذلك تراخي قبضة السلطات المالية وإهمالها للمناطق الشمالية، حيث تغيب مشاريع التنمية والصحة والتعليم، فضلاً عن تفشي الرشوة والفساد في أجهزة الدولة المالية، إذ بات معروفًا أن معظم المسؤولين الماليين متورطون في أنشطة تلك العصابات والجماعات المسلحة.

كما اتخذت تلك العصابات من الإقليم مخابئ لتخزين المخدرات والسلاح، بل اتخذت من صحرائه مطارات لهبوط الطائرات المحملة بالكوكايين والقادمة من أميركا الجنوبية، وغينيا بيساو، وغيرهما! وبلغ الأمر حد هبوط طائرات ضخمة في صحراء أزواد، حيث سُجِّل في بداية أكتوبر/تشرين الأول عام 2009 حادث هبوط طائرة شحن عملاقة من نوع بوينغ 727 في منطقة "تَارْكُنت" على بُعد 200 كلم شمال مدينة غاوا، وقد تبيَّن لاحقًا أن الطائرة التي أحرقت عمدًا بعد

تفريغ شحنتها كانت قادمة من فنـــزويلا بأميركا الجنوبية، وتحمل كميـــة مـــن المخدرات قدرها 10 أطنان من الكوكايين، فضلاً عن كميات من الأسلحة. وقد تم إحراقها عمدًا بعد تفريغ حمولتها في المهبط المذكور بصحراء أَزَواد، ونقلها إلى جهة مجهولة، بينما تم تسفير أفراد طاقمها عائدين إلى فنـــزويلا عن طريق مطـــار العاصمة المالية بَامَاكُو، دون أن يواجهوا أي مشكلة. وقد علمتُ من بعض سكان أزواد أن عشرات السيارات رباعية الدفع وصلت إلى مكان هبوط الطائرة، ونقلت حمولتها، وغادرتها بعد أن أضرمت فيها النيران التي استمر اشتعالها عـــدة أيـــام في هيكل الطائرة، حسب بعض البدو الذين يقطنون في تلك المنطقة.

وفي تلك الصحراء تقوم العصابات بتفريغ وتخزين المخدرات، الـــتي تنقـــل بواسطة السيارات العابرة للصحراء كميات المخدرات من الحدود الجزائرية المغربية عبر الصحراء، مرورًا بموريتانيا ومالي والنيجر وليبيا وصحراء سيناء بمصر، وأحيانًا يتم نقلها عبر النيجر إلى نيجيريا وتشاد والسودان. وهناك طرق متعـــددة لتلـــك العصابات التي تنشط أيضًا في تهريب السلاح وبيعه، وكذلك تهريـــب الســـجائر وبعض المواد الغذائية والبنـــزين من وإلى الجزائر وليبيا. كما لجأت إلى صـــحراء أزواد مجموعات وعناصر مطاردة في بلدانها، فضـــلاً عـــن الجماعـــات الســـلفية الجهادية، والميليشيات المتمردة في أزواد التي اتخذت فيها معســـكرات لاكتتـــاب وتدريب المقاتلين.

وقد اشتهرت مجموعات في الإقليم ببراعتها في التهريب عبر مسالك الصحراء الوعرة، وقدرتها على نقل وتأمين تلك المواد المحرمة عبر الصـــحراء إلى وجهتـــها المحددة، وأصبح الأمر باديًا للعيان حتى في كبريات مدن أَزَواد وتحت سمع وبصـــر السلطات المالية، حيث تشتهر في مدينتي تمبكتو وغاوا أماكن يتم فيها ركن وحجز عشرات السيارات العابرة للصحاري، مملوكة للعصابات، في انتظار استخدامها في رحلات التهريب. وقد عُرف أشخاص من ذوي الثروات الطائلة في المنطقة بـــأنهم ناشطون في عمليات التهريب، كما اشتهرت بعض ورشات اللحامة والنجارة في وسط كبريات المدن مثل تمبكتو وغاوا وكيدال بتخصصها في تركيـــب ولحامـــة قواعد المدافع الثقيلة ومضادات الطيران على متن السيارات والشاحنات المملوكـــة

لعصابات المخدرات، وأحيانًا سيارات المسلحين السلفيين، دون أي تدخُّل أو اعتراض من السلطات المالية، وقد وقفتُ شخصيًّا على إحدى هذه الورشات وسط مدينة تمبكتو.

وتحظى هذه المجموعات الخارجة على القانون بمتسع كبير وآمن في تلك الصحراء، يتركز في شمال مالي ويمتد حتى شمال النيجر وبوركينا فاسو وجنوب الجزائر وشمال وشرق موريتانيا، وهي مجموعات من جنسيات مختلفة ومشارب شتى، وأغراض متباينة، لكنها تتقاسم ميزة الخروج على القانون، وتحكيم "شريعة الغاب" في ذلك المتسع من الأرض، حيث لا وصاية للقانون، ولا وجود لسلطان الدولة.

## تاريخ من الثورات والتمرد

شهد إقليم أزواد عبر تاريخه الحديث عدة ثورات قامت بها المجموعات العربية والطارقية، خصوصًا بعد استقلال الدولة المالية عن المستعمر الفرنسي، فقد عرف الإقليم أول ثورة مسلحة بعد ثلاث سنوات من استقلال جمهورية مالي عن فرنسا عام 1963، حيث قاد الزعيم الطارقي الإفوغاسي زيد أغ الطاهر ثورة مسلحة تهدف إلى استقلال الإقليم عن مالي، وشاركه عدد من قادة القبائل الطارقية الأخرى، كما شاركت فيها بعض القبائل العربية ضد نظام الرئيس المالي السابق مُودِيبُو كَيْتَا. وقد واجهت الحكومة المركزية في مالي تلك الثورة بقمع عنيف؛ حيث اعتقلت آلاف الطوارق والعرب، ونفّذت عمليات إعدام جماعية بحقهم على نطاق واسع، كما قامت بإحراق قرى وأحياء سكنية يقطنها العرب والطوارق، قبل أن تعتقل الجزائر زيد أغ الطاهر مع رفيقه إلياس أيوب، ويُسلّما لحكومة مالي نهاية عام 1963، كما سلّم المغرب الوجيه والقيادي الأزوادي محمد علي الأنصاري، وأبقى عليهم النظام المالي في السجن إلى أن أطاح الجنرال موسى تراوري بالرئيس موديبو كيتا سنة 1978 في انقلاب عسكري، فأفرج عن زيد أغ الطاهر ورفيقه[1].

1 "الزعيم زيد أغ الطاهر".
http://www.azawadpress.com/cultureazawad/595-2013-06-18-19-08-29.html

وفي عام 1989 اتفقت القبائل العربية والطارقية على الثورة مجددًا ضد الحكم في مالي، والمطالبة باستقلال إقليم أزواد عن الدولة المالية، وهي الثورة التي قادها كل من أحمد ولد سيدي محمد ولد بده، أحد أعيان قبائل البرابيش العربية، ويتولى حاليًا منصب الأمين العام للحركة العربية الأزوادية، وإياد أغ أغالي أحد أعيان قبائل الإفوغاس الطارقية، وهو الزعيم الحالي لحركة أنصار الدين، وضمت مختلف القبائل العربية والطارقية تحت اسم "الحركة الشعبية لتحرير أزواد"، لكنها عرفت أول انشقاق فيها سنة 1990 عندما انفصلت القبائل العربية وأسست حركة خاصة بها تحت اسم "الحركة العربية الإسلامية لتحرير أزواد"، بقيادة كل من أحمد ولد سيدي محمد، والذهبي ولد سيدي محمد، وزير الشؤون الخارجية والتعاون الدولي في الحكومة المالية التي تشكلت في مارس/آذار 2013. لكنها أبقت على تحالفها مع الطوارق لمواصلة حرب الاستقلال ضد مالي، وبعد ستة أشهر من التمرد وقّع إياد أغ أغالي اتفاقية في مدينة تمنراست الجزائرية مع الحكومة المالية، وأنهى تمرد جبهته، بل أصبح شريكًا لها في قتال الحركات الأخرى الرافضة للاتفاقية، فقاد بنفسه بعض المعارك ضد الحركات المسلحة الأخرى من الطوارق والعرب.

كما شهدت الحركة الشعبية انشقاقات أخرى كانت في معظمها على أساس قبلي، حيث انشقت عنها قبائل "شامنمس" الطارقية وأسست "الجبهة الشعبية لتحرير أزواد"، وقبائل "الإيمغاد" التي أسست "الجيش الثوري لتحرير أزواد".

وكان للتحالف السريع الذي أبرمه إياد أغ أغالي مع الحكومة المالية الأثر الكبير في تأجيج صراع تصفية حسابات قديمة بين قبائل "الإفوغاس" وقبائل "الإيمغاد"، حيث تتهم قبائل "الإيمغاد" قبائل "الإفوغاس" باستغلال ذلك التحالف لضربهم والنيل منهم، في حين تقول قبائل الإيفوغاس: إن مقاتلين من "الإيمغاد" أوقفوا شيخ قبائل الإفوغاس انتالا أغ الطاهر ونجله "العباس" في إحدى مناطق أزواد، وأهانوهما وقتلوا بعض مرافقيهما، الأمر الذي دفع "الإفوغاس" إلى التحرك بعد أن نال "الإيمغاد" من شرفهم وهيبتهم بعد إذلال زعيمهم، وقد أبقت تلك الحرب على عداوة راسخة بين الطرفين ما تزال قائمة حتى الآن.

وقد انتهت الحرب بين الحكومة المالية والحركات المسلحة بـالتوقيع علـى اتفاقية سلام أخرى، وتنظيم حفل لتوقيع الاتفاقية تم خلاله تسليم أسلحة المتمردين وإحراقها فيما عُرف باسم "شعلة السلام" في مدينة تمبكتـو سـنة 1996، إلا أن الطوارق عادوا للتمرد ثانية سنتي 2005 و2006 متهمين الحكومة المالية بـالتنكر للاتفاقيات السابقة وعدم الوفاء بتعهداتها، وقد قاد جبهة التمرد حينها عدد مـن مساعدي إياد أغ أغالي بقيادة العقيـد إبـراهيم أغ بَاهَانْغَـا، وقـد تـوفي في أكتوبر/تشرين الأول عام 2011 في حادث سير قرب مدينة كيدال بشمال أزواد، والعقيد حسن أغ فغاغا وهو من القادة العسكريين حاليًا للحركة الوطنية لتحريـر أزواد، وأحمد أغ بيبـي والشيخ أغ أوسا اللذين شاركا لاحقًا في تأسيس جماعة أنصار الدين. واقتصر التمرد حينها على قبائل الإفوغاس، وعُرفت حركة التمـرد آنذاك باسم "التحالف الديمقراطي لـ 23 مايو من أجل التغيير في شمـال مـالي"، وقد انتهى القتال بعد وساطة جزائرية، وضغوط من الزعيم الليبـي معمر القذافي. وقد علمتُ من بعض المشاركين في تلك الحرب أن إياد أغ أغالي كـان داعمًـا لحركة التمرد وعلى اتصال بقائد المتمردين إبراهيم باهانغا، رغم أن إيـاد كـان موجودًا حينها في المملكة العربية السعودية نائبًا للقنصل المالي.

وخلال تلك الحرب التي نجحت الحكومة المالية في إعادة توجيـه مسـارها، وحوَّلتها إلى مواجهات بين العرب والطوارق بطريقة ذكية، وذلك عندما كلفـت الضابط العربـي في الجيش المالي محمد ولد ميدو بقيادة الحملة العسكرية للتصدي للمتمردين الطوارق، مقابل تلبية بعض المطالب للمجموعة العربية في أزواد، مـن أبرزها إدماج خمسمائة مقاتل من شباب القبائل العربية في الجيش المالي، وقد لجـأ ولد ميدو بمساعدة الضباط العرب في الجيش المالي إلى استدعاء عشرات الشـباب من عرب أزواد من ذوي الخبرة العسكرية الذين قاتلوا في صفوف الجبهة العربيـة الإسلامية لتحرير أزواد أيام التمرد في التسعينات، وجنَّـدهم لقتـال المتمـردين الطوارق، إلا أن المقاتلين العرب في تلك الحرب يقولون: إن السـبب الحقيقـي لاندفاع العرب في قتال الطوارق ساعتها لم يكن طاعة الحكومة المالية أو رغبة فيما عندها، ويحمِّلون قادة التمرد من الطوارق المسؤولية عن استفزاز العرب وإقحامهم

في تلك الحرب؛ إذ إن الهجمات الأولى التي نفذّها المتمردون الطوارق بقيادة إبراهيم باهانغا استهدفت معسكرات للجيش المالي معظم قادتها وعناصرها من العرب، وقتلت عددًا منهم، الأمر الذي ساهم في تأجيج الصراع القديم بين الطرفين، واستنفر الحميَّة في صفوف القبائل العربية، فانخرط أبناؤها في قتال المتمردين الطوارق تحت راية الجيش المالي.

وبعد انتهاء الحرب ومغادرة إبراهيم باهانغا ورجاله إلى ليبيا، لم تتمكن القبائل العربية من الاتفاق على توزيع الأعداد الممنوحة لها من الشباب الذين سيتم دمجهم في الجيش المالي، خصوصًا القبائل المتمركزة في مدينة تمبكتو وضواحيها، الأمر الذي أوقف تنفيذ ما كان مقررًا بهذا الشأن.

وإضافة إلى تجنيد القبائل العربية ضد المتمردين الطوارق، نجحت الحكومة المالية أيضًا في الاستفادة من العداوة التاريخية بين قبائل "الإفوغاس" التي تقود التمرد، وقبائل "الإيمغاد" الموالية لها، وكلاهما من قبائل الطوارق، فأقحمت رجال "الإيمغاد" وكبار ضباطهم في المعركة ضد المتمردين من "الإفوغاس"، فكان قتالهم ضد المتمردين طلبًا للثأر أكثر مما هو رغبة في الدفاع عن مالي.

وفي عام 2011 وبعد سقوط نظام الرئيس الليبي الراحل معمر القذافي الذي كان يحتضن آلاف المقاتلين الطوارق من أزواد ضمن قوات المغاوير التي تعتبر نخبة كتائب القذافي، فضلاً عن احتضانه عشرات من قادة التمرد في ليبيا[1]، عاد المسلحون الطوارق إلى أزواد بقيادة العقيد محمد أغ ناجم، والعقيد مشكناني أغ بلال، وآخرين، وانضم إليهم عدد من الضباط الطوارق الذين كانوا في الجيش المالي، من أبرزهم الصلاة أغ خبي وامبارك أغ أكلي وحسين أغ هبري وبونا أغ الطيب؛ ليشكلوا بذلك نواة للحركة الوطنية لتحرير أزواد، التي استأنفت التمرد بالتوازي مع حركات مسلحة أخرى سيطرت مجتمعة على الإقليم سنة 2012، في أكبر هزيمة تعرفها الدولة المالية في تاريخها الحديث.

---

1 محمد الحافظ الغابد، "الطوارق بين طموح الاستقلال وسيناريوهات التوظيف".
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/d41dcaff-cc11-42b3-ba82-a3f147fb7f7e

ولم تكن هزيمة الدولة المالية وخروج قواتها من أزواد في نهاية مارس/آذار عام 2012 سوى ثمرة لتراكمات عديدة، أسفرت عن ظهور عـــدد مـــن الحركـــات المسلحة، أغلبها تتبنى الفكر السلفي الجهادي، فضلاً عن الحركة الوطنية لتحريـــر أزواد الانفصالية. وسنتطرق في الفصل القادم لأبرز تلك الحركات المسلحة الـــتي أخرجت الماليين من إقليم أزواد وسيطرت عليه.

## الفصل الثاني

# تنظيم القاعدة
# ببلاد المغرب الإسلامي
# (إمارة الصحراء)

تعود أصول تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي إلى ما عُرف في بداية تسعينات القرن الماضي بـ "الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر"، التي ظهرت عقب إعلان الجنرالات في الجزائر عن إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية في 12 يناير/كانون الثاني 1992، والتي كانت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بقيادة الثنائي عباسي مدني وعلي بلحاج قد فازت بها، فضلاً عن إصدار السلطات الجزائرية قرارًا بحل الجبهة وحظر نشاطاتها، وقد أعقب إعلان إلغاء الانتخابات وحظر الحزب الفائز بها، موجة عنف كبيرة راح ضحيتها مئات الآلاف من الجزائريين.

ورغم أن الإعلاميين والمحللين يرجعون السبب المباشر لظهور تلك الجماعات المسلحة إلى مرحلة ما بعد إلغاء تلك الانتخابات، إلا أن المتتبعين للتاريخ الجزائري المعاصر يرون أن النواة الأولى لتلك الجماعات المسلحة، كانت الحركة التي أسسها الشيخ مصطفى بويعلي، بداية ثمانينات القرن الماضي تحت اسم "الحركة الإسلامية المسلحة"، وكان من دواعي تأسيسها وحملها السلاح ضد الدولة الجزائرية، كما يقول مؤسسوها، موقف الحكومة الجزائرية في بداية الثمانينات المؤيد للاتحاد السوفيتي الذي كان في ذلك الوقت يحتل أفغانستان ويخوض الحرب ضد "المجاهدين" من الأفغان والعرب، وهو موقف أملته ثنائية القطبين آنذاك، حيث كانت الجزائر إحدى دول القطب الاشتراكي السوفيتي، في مقابل القطب الغربي الرأسمالي الأميركي، وشكلت أفغانستان حينئذ واحدة من أبرز نقاط الاحتكاك والصراع بين القطبين؛ لذلك كان استهداف المصالح السوفيتية أحد الشعارات البارزة للحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر.

ونفذت الحركة عدة عمليات مسلحة في الجزائر، قبل أن تتمكن القوات الجزائرية من إنهاء نشاطاتها بعد قتل زعيمها الشيخ مصطفى بويعلي وبعض قادتها سنة 1987 أثناء تنفيذهم عملية لنقل كميات من الأسلحة، حيث نصبت لهم

كمينًا بالتنسيق مع سائقهم، الذي اتهمه عناصر الحركة بالعمل مع المخابرات الجزائرية، حيث يقولون إنه بدأ فجأة أثناء تحرك المجموعة يشع الأضواء بطريقة غير عادية، وكانت تلك إشارات لقوات الدَّرَك التي تكمن في المنطقة، وفجأة أُنيرت الأضواء الكاشفة، ودخلت المجموعة في مواجهة حقيقية مع قوات الدرك التي تمكنت من قتل الشيخ مصطفى بويعلي وإصابة مرافقيه[1]، وقد ساهم بعض أتباع مصطفى بويعلي في تشكيل الجناح العسكري للجبهة الإسلامية للإنقاذ، وما انبثق عنها لاحقًا من حركات مسلحة.

لكن الظهور الفعلي لتلك الجماعات المسلحة في الجزائر كان نتيجة للانقلاب الذي نفّذه الجنرالات في الجزائر بإلغاء نتائج الانتخابات التشريعية التي نظمت في نهاية عام 1991 بعد أن فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وهي حزب إسلامي ذو ميول سلفية تأسس في الجزائر بداية عام 1989، ومن أبرز قادته: عباسي مدني، وهو من المشاركين في حرب التحرير ضد الاستعمار الفرنسي، وقد اعتُقل على يد الاحتلال الفرنسي وأمضى في السجن سبع سنين، وحصل سنة 1978 على دكتوراه في التربية المقارنة من لندن، كما اعتقل عدة مرات على يد السلطات الجزائرية. إضافة إلى الشيخ علي بلحاج، الذي يعتبر والده أحد شهداء الثورة الجزائرية، وقد دخل السجن ما بين 1983 و1987 بتهمة المشاركة في حركة مصطفى بويعلي التي تحدثنا عنها سابقًا، وتم اختياره نائبًا لرئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد تأسيسها، واعتقل عدة مرات. هذا إضافة إلى العديد من الدعاة والنشطاء الإسلاميين الآخرين، ويلخص الصحفي كمال الطويل خارطة نشأة الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالقول: إن فكرة تأسيسها حملها من شرق الجزائر سعيد قشي، ومن الوسط علي بلحاج والهاشمي السحنوني وعباسي مدني، ومن الغرب محمد كرار[2].

---

1 يحيى أبو زكريا، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر 1978-1993، (بيروت: مؤسسة المعارف للمطبوعات، 1993)، ص 41.

2 كمال الطويل، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر من "الإنقاذ إلى الجماعة" (بيروت، دار النهار، ط1، 1998)، ص 18.

وعشية أول انتخابات تنظم بعد الإعلان عن التعددية في الجزائر سنة 1990، تمكنت الجبهة الإسلامية للإنقاذ من اكتساح المشهد البلدي، بعد أن فازت بما مجموعه 953 مجلسًا بلديًا من أصل 1539، و32 مجلس ولاية من أصل 48 مجلسًا.

وقد أدت هذه النتائج إلى توتر في العلاقة بين الحزب والنظام الحاكم في الجزائر، خصوصًا الجنرالات، الذين فاجأهم الاكتساح الشعبي للحزب الإسلامي الوليد، وشهدت الجزائر صدامات عنيفة بين الأمن والمتظاهرين، وبات قادة الحزب مستهدفين من قِبل السلطات الأمنية، وتم اعتقالهم عشية الإضراب الذي نُفِّذ في بداية يونيو/حزيران عام 1991. وفي 21 نوفمبر/تشرين الثاني من نفس السنة، وقع التطور الأسوأ في العلاقة بين الطرفين، حين تعرضت ثكنة عسكرية لهجوم قُتل فيه عدد من العسكريين، ونُهبت كميات من الأسلحة، فسارعت السلطات إلى اتهام ناشطين في الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالمسؤولية عن الحادث، وهو ما نفته الجبهة جملة وتفصيلاً. ورغم أن تلك الحادثة وصفها الكثيرون بـ "المدبَّرة" بُغية إبعاد الشارع الجزائري عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتنفيره منها، إلا أن الانتخابات التشريعية التي جرت بعد أقل من شهر من تلك الحادثة في 26 ديسمبر/كانون الأول أكدت تصاعد شعبية الجبهة الإسلامية للإنقاذ، التي حصدت 188 مقعدًا من أصل 231، أي ما يمثل نسبة 82 بالمائة. حينها أدرك حكام الجزائر وكبار القادة العسكريين والأمنيين فيها أن الأمور بدأت تخرج عن سيطرتهم، فأعلن الرئيس الشاذلي بن جديد استقالته في 11 يناير/كانون الثاني 1992، ونشرت وسائل الإعلام حينها اتهامات للجنرالات بأنهم دفعوه إلى الاستقالة، وتم تشكيل مجلس أعلى للدولة برئاسة وزير الدفاع الجنرال خالد نزار، وأعلن المجلس في 12 يناير/كانون الثاني إلغاء الانتخابات التشريعية التي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وفرض حالة الطوارئ، وحل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وشنت أجهزة الأمن حملة اعتقالات واسعة في أوساط قادتها ونشطائها، وتحدثت بعض المصادر عن اعتقال أزيد من 20 ألف شخص خلال أيام معدودات، وامتلأت المعتقلات في الصحراء بالمعتقلين؛ ونتيجة لذلك أعلن المئات من أنصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ الجهاد ضد النظام، وصعدوا إلى الجبال.

وكانت جماعات موالية للجبهة الإسلامية للإنقاذ قد بدأت مبكرًا في الدعوة إلى العمل المسلح منذ منتصف عام 1991[1]، وكان من أوائل الذين دعوا إلى العمل الجهادي المسلح وبادروا إلى تنظيمه عبد القادر شبوطي الذي شكّل بالاشتراك مع الناشطين الإسلاميين المعروفين: السعيد مخلوفي وعز الدين باعة، جماعة مسلحة تحت اسم "حركة الدولة الإسلامية"، التي ظهرت أواخر شهر مارس/آذار عام 1992، وضمت عناصر مؤيدين لجبهة الإنقاذ بدؤوا في النشاط السري عقب إعلان إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية، أو الذين لجؤوا إلى السرية خلال ما عُرف باضطرابات العصيان المدني في يونيو/حزيران عام 1991، وما رافقها من دعوات داخل الجبهة لإعلان الجهاد في تلك الفترة.

ومع صعود آلاف الشباب من مؤيدي الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى الجبال، أُعلن هناك عن تأسيس عدد من التنظيمات المسلحة، من أبرزها الجيش الإسلامي للإنقاذ الذي مثّل الجناح العسكري للجبهة الإسلامية للإنقاذ، وقد أُعلن رسميًّا عن تأسيسه سنة 1993 على جبهتين: إحداهما تُعرف باسم "اللجنة العسكرية بالشرق"، والثانية عُرفت باسم "اللجنة العسكرية بالغرب". وفي سنة 1994 تم توحيد الفصيلين تحت قيادة مدني مزراق. وكان هذا التنظيم يضم في صفوفه قرابة سبعة آلاف من الشباب، وشهدت علاقته بالتنظيم المسلح الثاني "الجماعة الإسلامية المسلحة" الذي كان يشاطره اللجوء إلى الجبال ومحاربة النظام الجزائري-توترات وصلت إلى حد الاقتتال عام 1995.

وفي عام 1997 دخل قائد الجيش الإسلامي مدني مزراق للإنقاذ في مفاوضات مع السلطات الجزائرية انتهت بتخليه عن العمل المسلح، وذلك برفقة حوالي أربعة آلاف من مقاتليه من الجبال وسلّموا أسلحتهم في أكتوبر/تشرين الأول عام 1997، مستفيدين من عفو عام أصدره الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة.

أما الفصيل الثاني المسلح الذي كان يتقاسم مع الجيش الإسلامي للإنقاذ الجبال ويشاطره محاربة الجيش الجزائري فهو الجماعة الإسلامية المسلحة، والتي

1 كمال الطويل، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر من "الإنقاذ إلى الجماعة"، ص 103.

ستشكل لاحقًا نواة للجماعة السلفية للدعوة والقتال التي تحوَّلت بعد ذلك إلى تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وقد تبنَّت الجماعة الإسلامية المسلحة الكثير من العمليات التي أودت بحياة آلاف الجزائريين.

لكن مصادر عديدة تحدثت عن تورط أجهزة المخابرات الجزائرية وبعض القيادات العسكرية في بعض العمليات المسلحة المنسوبة إلى المسلحين الإسلاميين؛ بهدف تشويه صورة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وتنفير الناس منها، وتبرير قرار حلها ومنعها من الوصول إلى السلطة. ومن أشهر العمليات التي حامت حولها شبهات عديدة وأُسيل بشأنها حبر كثير، عملية تفجير مطار هواري بومدين في أغسطس/آب عام 1992؛ إذ يقول الصحفي الجزائري يحيى أبو زكريا: إن من بين ما أثير بشأنها وشكَّك في مصداقية اتهام السلطات للجبهة الإسلامية للإنقاذ بالمسؤولية عنها، الحرفيَّة العالية التي نُفِّذت بها، وكون العبوة الناسفة وضعت في حقيبة دبلوماسية ووضعت الحقيبة في بهو المطار، الأمر الذي يثير تساؤلات عديدة حول اختراق التحصينات والإجراءات الأمنية في المطار، كما تم تفجير العبوة عن طريق جهاز التحكم عن بُعد، وهو ما لا يملكه الإسلاميون ساعتها، وفي نفس الوقت الذي انفجرت فيه قنبلة مطار هواري بومدين، عَثَر المواطنون على قنبلة في مستشفى مدني قرب بلدة الحراش. ويضيف يحيى بوزكريا أن هناك مؤشرات تشي بأن العملية التي أسفرت عن مقتل عدد كبير من المواطنين وإصابة آخرين، تقف وراءها أجهزة المخابرات، وأُريد منها أن تُحدث صدمة لدى المواطنين الجزائريين، ودفعهم للالتفاف حول المجلس الأعلى للدولة الذي كان يعاني من انعدام الشعبية حينها، كما استهدفت اغتيال رئيس الوزراء بلعيد عبد السلام الذي كان ساعتها موجودًا في المطار، وذلك في إطار حرب الأجهزة الجزائرية الداخلية[1].

ويقول الباحث المغربي في قضايا الجماعات الإسلامية المسلحة محمد ضريف: إن الجماعة الإسلامية المسلحة اتبعت أربع خطوات تمهيدًا لتأسيسها، حيث تمثلت الخطوة الأولى في تأكيد الحضور من خلال الهجوم المثير الذي قاده الطيب

1 يحيى أبو زكريا، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر 1978-1993، ص 86.

الأفغاني ضد ثكنة (غمار) سنة 1991، وتجسَّدت الخطوة الثانية في اختراق التنظيمات المسلحة كجماعة التكفير والهجرة حيث كان الأفغان الجزائريون يشرفون على تدريب أعضائها، والحركة الإسلامية المسلحة حيث مورست عملية استقطاب ممنهجة لعناصرها؛ مما أفضى إلى إضعافها. وارتبطت الخطوة الثالثة بتأسيس تنظيمات مسلحة صغيرة ذات قاعدة (أفغانية) مثل "كتائب القدس" و"جماعة السنة والشريعة"، بينما تجلت الخطوة الرابعة في الدعاية لتيار الأصولية الأفغانية عبر توزيع المنشورات، خاصة من قِبل جعفر الأفغاني (مراد سيد أحمد) الذي كان يدعو سنة 1992 إلى إعلان الجهاد وقتل الطاغوت المتجسد في موظفي الدولة ورموز السلطة. وانتهى هذا المسار بتأسيس "الجماعة الإسلامية المسلحة" سنة 1992 انطلاقًا من تحالف أربعة تنظيمات مسلحة هي: "المنشقون عن الحركة الإسلامية المسلحة" و"كتائب القدس" و"الشريعة والسنة" و"الباقون على العهد"، وتم اختيار عبد الحق العيادة كأول أمير للتنظيم الجديد، وبعد اعتقاله في المغرب في مايو/أيار عام 1993 وتسليمه للجزائر حيث أُعدم، عُيِّن عيسى بن عمار أميرًا للجماعة لكن إمارته لم تدم أكثر من شهر تقريبًا، حيث قتل في أغسطس/آب عام 1993 على يد القوات الجزائرية، ثم عُيِّن سيد أحمد مراد المكنى جعفر الأفغاني أميرًا، إلى أن قُتل في مارس/آذار عام 1994، ثم تولى من بعده شريف قوسمي المكنى "أبو عبد الله أحمد"، وبعد مقتله تولى جمال زيتوني المكنى "أبو عبد الرحمن" أمين منصب أمير التنظيم.

وبلغت الجماعة الإسلامية المسلحة أَوْجَهَا في التطرف والدموية خلال مرحلة قيادة جمال زيتوني لها، الذي تولى إمارتها في الفترة ما بين سبتمبر/أيلول 1994 إلى غاية مقتله في شهر يوليو/تموز عام 1996، ثم تولى من بعده خلفه عنتر زوابري المكنى "أبو طلحة" قيادة التنظيم، فكان أشد بطشًا ودموية، وأصدر في 26 سبتمر/أيلول عام 1997 بيانه المشهور "صدّ اللثام عن حوزة الإسلام"، والذي أعلن فيه كفر الشعب الجزائري واستباحة دمائه وأمواله، وتبنّى المذابح الدموية التي عرفتها الجزائر في تلك الحقبة.

وقد استمرت فترة قيادة الزوابري للجماعة من يوليو/تموز 1996 إلى غاية شهر فبراير/شباط 2002، وهي الفترة التي شهدت انشقاق عدد كبير من قادة

الجماعة الإسلامية المسلحة، وبدأت الجماعة تتلاشى في عهده إلى أن اختفت نهائيًّا، كما ظهرت خلال تلك الفترة كتائب وتنظيمات مسلحة اقتتلت فيما بينها، ومن أبرزها: "جماعة حماة الدعوة السلفية"، و"كتيبة الأهوال"، و"رابطة الدعوة والجهاد"، و"جماعة الباقون على العهد"، فضلاً عن "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" التي أُعلن عن تأسيسها سنة 1998، والتحق بها معظم عناصر تلك الجماعات، وأصدر مؤسسوها بيانًا عُرف باسم بيان "الجماعة رحمة"، وصفوا فيه تولي عنتر زوابري لقيادة الجماعة بأنه "استيلاء"، واتهموه بإحداث فساد عظيم بانحرافه عن منهج الجماعة وهو المنهج "السلفي"، ووصفوا الموالين له من عناصر الجماعة الإسلامية بالتكفيريين الخوارج.

ومع ظهور الجماعة السلفية للدعوة والقتال المنشقة عن الجماعة الإسلامية المسلحة، يمكن القول: إن معظم قادة السرايا والكتائب والجهات في الجماعة الإسلامية المسلحة وغيرها من الجماعات أعلنوا الانضمام للجماعة السلفية، فبدأ نفوذ باقي تلك الجماعات، بما فيها جماعة عنتر زوابري يتضاءل، وأتباعه يتناقصون إلى أن قُتل سنة 2002، واختفى تنظيمه بعد ذلك.

ويمكن القول: إن الجماعة السلفية للدعوة والقتال جاءت كمحاولة لتلمس موقف وسط بين تيارين ظهرا في الجماعات الإسلامية المسلحة في الجزائر خلال النصف الثاني من عقد التسعينات، أوّلهما تيار "الزوابرية"، وهم المسيطرون على الجماعة الإسلامية المسلحة، ويرون تكفير المجتمع؛ لأنه لا يقاتل الحكام المرتدين حسب تصنيفهم، وقد نفّذ هؤلاء عمليات قتل ضد المدنيين وسكان القرى والأرياف وعلماء الدين، وكل من تصله أيديهم، وأحرقوا بعض المساجد. أما التيار الثاني فهو الداعي للانخراط في سياسة المصالحة الوطنية التي دعا إليها الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة وتسليم السلاح وإنهاء القتال، ويمثل هذا التيار الجيش الإسلامي للإنقاذ بقيادة مدني مزراق، فظهرت الجماعة السلفية للدعوة والقتال كتنظيم رافض لوضع السلاح والنزول من الجبل، ومتمسك بقتال النظام الجزائري، لكنه أيضًا يرفض تكفير عامة الشعب الجزائري، ولا يقبل باستباحة دمائه، ويصف تصرفات "الزوابريين" بالجرائم الدموية التي يرتكبها الخوارج.

ولئن كانت الجماعة السلفية للدعوة والقتال قد أعرضت عن تكفير عامة الشعب الجزائري واعتبرته شعبًا مسلمًا كسائر الشعوب الإسلامية، فإنها أصرت على تكفير قيادة الدولة وحكامها باعتبارهم "يحكمون بغير ما أنزل الله"، شأنهم في ذلك شأن "حكام معظم البلدان الإسلامية" الأخرى، كما تمسكت بتكفير أفراد الجيش وقوات الأمن ووصفتهم باليد الضاربة عسكريًا وأمنيًا للنظام الكافر، حسب تصورها. وامتد تكفيرها إلى البرلمانيين باعتبارهم مشرعين من دون الله، وواصلت هذه الجماعة حربها ضد الحكومة الجزائرية، قبل أن تعلن مطلع عام 2007 عن بيعتها لزعيم تنظيم القاعدة في أفغانستان أسامة بن لادن، وتغيِّر اسمها لتصبح تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.

وتعاقب على قيادة الجماعة السلفية للدعوة والقتال منذ تأسيسها وحتى اليوم أربعة قادة، هم: عبد المجيد ديشو الملقَّب "أبو مصعب عبد المجيد" خلال الفترة ما بين عامي 1998 و1999، وبعد مقتله على يد القوات الجزائرية عُيِّن حسن حطاب أميرًا لها، وتولى قيادتها خلال الفترة ما بين عامي 1999 و2002، وتم عزله بعد أن أظهر توجُّهًا لإنهاء العمل المسلح والاستفادة من قانون الوئام المدني، وتولى بعده إمارة التنظيم نبيل صحراوي المكنى "أبو إبراهيم مصطفى" خلال الفترة ما بين عامي 2002 و2004، وبعد مقتله على يد الجيش الجزائري عُيِّن عبد الملك دوركدال المكنى "أبو مصعب عبد الودود" أميرًا للتنظيم، وفي عهده أصبح التنظيم فرعًا من تنظيم القاعدة، وغيَّر اسمه ليصبح القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وما يزال أبو مصعب عبد الودود حتى الآن هو الأمير العام للتنظيم.

## "فتح الصحراء"

كان المسلحون السلفيون في الجزائر قد تعرَّفوا على صحراء أزواد في شمال مالي منذ عام 1994 حين كانوا يعبرونها باتجاه النيجر في رحلات لشراء السلاح والدواء، لكن أيًّا منهم لم يستقر به المقام في أزواد، إلى أن كان مساء ذات يوم من نهاية شهر يونيو/حزيران عام 2000 حينما لجأ أمير المنطقة الصحراوية التاسعة في تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال مختار بلمختار المكنى "خالد أبو العباس"

والمعروف بلقبه "بلعور" برفقة ستة عشر من عناصره كلهم جزائريون، إلى صحراء أزواد بعد يوم من ملاحقة القوات الجزائرية لهم، وقصفهم بالطائرات. وكان من بين مرافقي مختار بلمختار عند وصوله إلى صحراء أزواد سنة 2000 اثنان من أبرز قادة التنظيم هما: إبراهيم غريقة المكنى "أبو إسحاق الأفغاني"، وهو جزائري ينحدر من مدينة غرداية التي ينحدر منها بلمختار نفسه، وصديق قديم له التحق معه بالمقاتلين العرب في أفغانستان عام 1991، حيث تلقى دورة تدريبية عسكرية لمدة ثمانية أشهر في معسكر "صدى" التابع لتنظيم القاعدة هناك، خصوصًا في مجال صناعة المتفجرات، وأصبح أحد خبراء المتفجرات. ومع تصاعد أعمال العنف في الجزائر التي أعقبت إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية التي فاز بها الإسلاميون في نهاية ديسمبر/كانون الأول 1991، وإطلاق الجماعات السلفية العمل المسلح ضد الدولة، عاد إبراهيم غريقة إلى الجزائر سنة 1993، والتحق بمسلحي الجماعة الإسلامية المسلحة في منطقة "الشلف"، ثم انتقل إلى المنطقة العسكرية الثالثة المعروفة باسم "كتيبة تيارت"، ويقول رفاقه: إنه من أوائل الذين أدخلوا العمل التفجيري إلى الجزائر، بعد أن أتقنه خلال وجوده في أفغانستان، وقد كوَّن عددًا من خبراء المتفجرات من بين عناصر الجماعة الإسلامية المسلحة الذين شاركوا في إعداد وتنفيذ تفجيرات كبيرة شهدها الجزائر في مرحلة ما عُرف بالعشريَّة السوداء.

وفي سنة 1995 التحق بالمنطقة الصحراوية الجنوبية في الجماعة الإسلامية المسلحة، مُكلَّفًا بمهمة تكوين عدد من خبراء المتفجرات، وفي سنة 1996 عينه التنظيم مستشارًا لأمير المنطقة الصحراوية مختار بلمختار، وانشق برفقته عن الجماعة الإسلامية المسلحة ليلتحقا مع عناصرهما بالجماعة السلفية للدعوة والقتال عند تأسيسها سنة 1998، وظل يعمل تحت إمرته، وكان بمثابة ساعده الأيمن ورجل الثقة لديه، إلى أن قُتل في يونيو/حزيران سنة 2005 في هجوم نفَّذه مقاتلو المنطقة الصحراوية على ثكنة "لمغيطي" العسكرية في شمال موريتانيا، وقد أسندت إليه في ذلك الهجوم مهمة قيادة مجموعة الاقتحام التي كُلِّفت باقتحام الثكنة العسكرية بعد قصفها من قبل المهاجمين.

أما ثالث أهم شخصية وصلت من التنظيم مبكرًا إلى أزواد مع مختار بلمختار وإبراهيم غريقة، فهو القيادي في التنظيم ناصر مليك المكنى "أيوب أبو عبيدة"، وهو من الذين التحقوا بالعمل المسلح في الجزائر مبكرًا، حيث انضم إلى الجماعة الإسلامية المسلحة سنة 1992 عشية انطلاق عملياتها المسلحة، ثم انشق عنها والتحق سنة 1998 بالجماعة السلفية للدعوة والقتال بعد تأسيسها، وقد عاد من صحراء أزواد إلى الجزائر واستقر في الجبال ضمن صفوف المقاتلين الإسلاميين إلى أن قُتل سنة 2005 في مدينة بومرداس.

وقد وصل برفقة هؤلاء الثلاثة (مختار بلمختار، إبراهيم غريقة، ناصر مليك) إلى صحراء أزواد في شمال مالي أربعة عشر من المسلحين هم: عبد الرحمن المهاجر، وهو مقاتل ينحدر من مدينة غرداية الجزائرية، وقد عاد إلى الجزائر وقُتل في جبال بوكحيل بولاية الجلفة خلال مواجهات مع القوات الجزائرية، وعبد العزيز من مدينة ورقلة في جنوب الجزائر، وقُتل في قصف نفذه الطيران الجزائري يوم 30 يونيو/حزيران 2005 في شمال مالي قرب الحدود مع الجزائر، وآخر يُدعى "بلال" وينحدر من مدينة البويرة الجزائرية، و"حسان" وينحدر من مدينة الجلفة، و"منصور" الذي ينحدر من "عين طاية" وقد عاد هو الآخر إلى الجزائر وقتل في جبال بوكحيل 2001، ومسعود البارا المنحدر من "باريكة" وقتل هو الآخر بضواحي "بوسعادة" بولاية المسيلة سنة 2001 بعد عودته إلى الجزائر، وعبد الفتاح الشاعر من "الجلفة" وقد قُتل بمنطقة "تادمايت" وسط الجزائر سنة 2004، ويُصنف كأحد شيوخ الجماعة السلفية للدعوة والقتال، و"إدريس" وينحدر من "مسعد" بالجلفة وقد قتل مع عبد الفتاح الشاعر في وسط الجزائر سنة 2004، و"أبو بلال" من مدينة "ورقلة" جنوب الجزائر وقد قتل هو الآخر في انفجار لغم بسيارته أثناء عودته إلى صحراء أزواد، وعمي عبد الله من مدينة "المنيعة" وقتل مع أبو بلال، و"إبراهيم" من مدينة "جامعة" وقتل في جبال "بوكحيل" سنة 2004 على يد القوات الجزائرية، و"أبو رواحه" وينحدر من "الأغواط" وقد قتل في تشاد مع عدد من رفاقه سنة 2004 في اشتباك مع الجيش التشادي حين كان ضمن مجموعة يقودها عمار الصايفي المكنى "عبد الرزاق البارا" قائد المنطقة الخامسة في الجماعة

السلفية للدعوة والقتال، ومعهم مقاتل آخر يدعى "عتبة"، أما المقاتل الرابع عشر فلم أتمكن من معرفة اسمه، وهو من مدينة أولاد جلال التابعة لولاية بسكرة، وكان ضمن المجموعة التي اعتقلت مع عبد الرزاق البارا على يد المتمردين التشاديين سنة 2004، وسُلِّم للسلطات الجزائرية.

لكن بلمختار قرر مغادرة أزواد والعودة إلى الجزائر ثانية سنة 2002 لحضور اجتماعات مجلس الشورى والهيئات القيادية للجماعة السلفية للدعوة والقتال، لتأتي بعد ذلك محاولة الدخول الثانية إلى صحراء أزواد في النصف الثاني من عام 2003، عندما قام عمار الصايفي باختطاف أكثر من ثلاثين سائحًا أوروبيًّا من جنوب الجزائر، وعبر بهم الحدود باتجاه شمال مالي، قبل أن تنتهي محنتهم بدفع حكوماتهم فديات مالية ضخمة مقابل الإفراج عنهم، لكن عبد الرزاق البارا كان يسعى لاكتشاف مزيد من المناطق الآمنة بُغية توفير أكبر مساحة للتحرك والمناورة، فقام بعد أشهر من وصوله إلى أزواد باصطحاب مجموعة من مقاتليه في رحلة استكشافية نحو "جبال تبستي" في تشاد مرورًا بالنيجر، وبعد وصوله إلى تشاد اشتبك مع وحدة من القوات التشادية أرغمته على اللجوء إلى الجبال، حيث وقع في قبضة متمردي "الحركة من أجل العدالة والديمقراطية" التي تقاتل ضد نظام الرئيس التشادي إدريس ديبي، فاعتقلته ورفاقه وسلمتهم للجزائر بوساطة من ليبيا، وكان البارا ساعتها مطلوبًا من عدة بلدان غربية، تتهمه باختطاف رعاياها، إلا أن الجزائر احتفظت به في سجونها ورفضت تسليمه لأي بلد آخر، وكان البارا عند مغادرته صحراء أزواد باتجاه تشاد قد ترك مجموعة من مقاتليه في شمال مالي، واستخلف على قيادتهم عبد الحميد أبو زيد، وهي المجموعة التي عُرفت لاحقًا باسم "الفاتحين" قبل أن يتم ضمها سنة 2007 إلى إمارة الصحراء ويصبح اسمها "كتيبة طارق بن زياد"، ضمن عملية إعادة هيكلة قامت بها قيادة التنظيم لإمارة الصحراء.

وفي النصف الأخير من عام 2004 قرر أمير المنطقة الصحراوية في الجماعة السلفية للدعوة والقتال مختار بلمختار العودة ثانية إلى صحراء أزواد في شمال مالي، لكن هذه المرة جاء للإقامة فيها، حيث اتخذ منها مقرًّا له، وقاعدة خلفية للتنظيم

الذي ينشط في الجزائر بقيادة أميره الحالي أبـي مصعب عبد الـودود، ويقـول الحسن ولد اخليل المكنى "جليبيب" مسؤول الإعلام السابق في إمارة الصحراء: إن قدوم عناصر الجماعة السلفية للدعوة والقتال إلى صحراء أزواد شمال مالي جاء بعد دراسة وتقييم لما آل إليه الحال في الجزائر، فحاول الإخوة -حسب قولـه- بهـذه الخطوة فك الطوق وإعطاء متنفس للمجاهدين في الجزائر عـبر توسـع جديـد وانتشار على رقعة أكبر، وتوفير ملاذ آمن يستطيعون من خلالـه تـوفير قاعـدة للجهاد.

وتمثلت مهام قيادة إمارة الصحراء بأزواد في توفير المال والسلاح، واكتتـاب المقاتلين من دول الساحل والصحراء والمغرب العربـي وتدريبهم وإرسـالهم إلى جبال الجزائر للقتال ضد القوات الجزائرية، فضلاً عن اختطاف الرعايـا الغـربيين ومقايضتهم بالمال، أو بسجناء من التنظيم. وقد أطلقت الجماعة السلفية للـدعوة والقتال على صحراء أزواد اسم "صحراء الإسلام"، و"أرض العـزة". ورغـم أن مجال تحركهم كان واسعًا في تلك الصحراء إلا أنهم اتخذوا مـن سلسـة "جبـال الإفوغاس" في أقصى شمال أزواد معقلاً شبه ثابت لهم، خصوصًا جبل "تغرغارت" الذي تحوَّل إلى نقطة تمركز لهم، وأطلقوا عليه اسم "تورا بورا المغرب الإسلامي"؛ تيمنًا بجبال "تورا بوار" في أفغانستان التي لجأ إليها زعيم تنظيم القاعدة السـابق في أفغانستان أسامة بن لادن ومقاتلوه بعد الهجوم الأميركي على أفغانسـتان عقـب أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام 2001، هذا إضافة إلى جبال "تساليت" و"تيمدقين" وغيرها. ويقيم عناصر التنظيم في تلك الصحراء والجبال على ظهـور السيارات وتحت الأشجار، وأحيانًا يقومون بنصب خيـام عسـكرية يملكونهـا، ويستخدمونها عادة في الأماكن الصحراوية المفتوحة، التي لا توجد بها أشـجار أو جبال يؤوون إليها، ويتعمدون التنقل بشكل دائم، إذ لا يبيتون في موقع أمضوا فيه سحابة اليوم، باستثناء بعض المواقع الحصينة في جبل "تغرغارت"، فإنهم يتخـذون منها مقرات شبه دائمة، وإن كانوا يتنقلون عنها في أغلب الأوقـات ثم يعـودون إليها، مع الاحتفاظ بحراسات دائمة فيها. ومع إحساس قـادة هـذه الجماعـات بالمتابعة والرصد، عمدوا إلى استراتيجية تقوم على التحـرك لـيلاً بالسـيارات

والتوقف نهارًا وإخفاء السيارات تحت الأشجار وفي كهوف الجبال. وفي مجال الاتصالات يستخدم عناصر التنظيم فيما بينهم أجهزة الاتصال اللاسلكي، كما يعتمدون على شبكات الهاتف الأرضية المالية، وفي حالات نادرة الجزائرية والنيجرية، فضلاً عن الهواتف التي تعمل عبر الأقمار الاصطناعية، خصوصًا هاتف شبكة "الثريا".

وقد قام أمير الصحراء مختار بلمختار بعد وصوله إلى أزواد -شأنه في ذلك شأن قادة الجماعات المسلحة في الجزائر- بتوفير ملاذ آمن للمطاردين من عناصر الجماعة الإسلامية المقاتلة في ليبيا، والجماعة الإسلامية المقاتلة في تونس، وبعض الجماعات الجهادية والأفراد من المغرب وموريتانيا ونيجيريا، وقد حظي بعضهم بتلقي تعليم ديني في موريتانيا وليبيا والمغرب، وشكلوا طليعة ما عُرف بـ "مجاهدي المغرب الإسلامي".

وكانت القبضة الحديدية التي واجهت بها أنظمة قمعية في المنطقة مثل نظام العقيد الليبي معمر القذافي، وزين العابدين بن علي في تونس، ومعاوية ولد الطايع في موريتانيا، قد ساعدت تلك الجماعات في الصحراء على استقطاب عشرات من الشباب المتدينين الفارّين من الاعتقال والسجون، حيث التحق العديد من الشباب التونسي والموريتاني والليبي والمغربي بمعسكرات التنظيم؛ طلبًا للحماية وليس قناعة بالفكرة أو سعيًا للقتال في بلدانهم، ليتحوَّلوا لاحقًا إلى عناصر جهادية نشطة في التنظيم.

## المصاهرة والاحتواء

عمد مختار بلمختار إلى ربط علاقات اجتماعية وأواصر مصاهرة مع السكان المحليين في أزواد، حيث تزوج هو نفسه من ابنة إحدى الأسر العربية الأزوادية، وهي أم ولده إبراهيم الذي ولد سنة 2008، ووالدها القيادي المعروف في القاعدة عمر ولد حماه، الذي ينتمي إلى قبيلة "أولاد إدريس" البربوشية الأزوادية. ويعتبر عمر ولد حماه -صهر بلمختار- من أبرز قادة كتيبة "الملثمين" المعروفين قبل أن يؤسس نهاية عام 2012 تنظيمًا يحمل اسم "أنصار الشريعة" يضم مقاتلين من قبائل

البرابيش العربية، كما عمد باقي عناصر تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال في أزواد إلى الزواج من بنات القبائل العربية والطارقية هناك، وكذلك بعض أسر قبائل الفُلان الإفريقية، وحفر التنظيم بعض الآبار في تلك الصحراء، وسعى إلى توفير الأدوية للمرضى في الأحياء البدوية، وتقديم الهدايا في المناسبات الدينية وغيرها لشيوخ القبائل ومسؤولي الأحياء، و لم تكن حملة بلمختار "الدبلوماسية" لتقتصر على السكان، فقد كانت له علاقات مع بعض المهربين الذين سعى لتجنب المواجهة معهم، وإغرائهم بالانضمام له، واستغلالهم في مهام تخدم التنظيم، عبر إبرام صفقات معهم لتوفير السلاح والغذاء والدواء، ورصد الرعايا الغربيين في المنطقة، وتوفير أخبار الأماكن والبلدان التي يدخلونها. واستغل التنظيم غياب أي نشاط دعوي أو خيري أو إنساني عن تلك المنطقة النائية، فاعتمد المساعدات وسيلة لكسب الناس، وبدأت عناصره في التبشير بدعوتهم السلفية وتقديمها للمجتمع الأزوادي ونشرها باعتبارها تمثل الإسلام الحقيقي، وقد ساعدهم على ذلك انتشار الأمية والجهل بين الناس، فلم تواجه الأيديولوجية السلفية الجهادية أي مقاومة فكرية أو علمية من طرف السكان، باستثناء بعض المرجعيات الصوفية القليلة، وكان لتلك الدعوة تأثيرها الكبير في صفوف شباب قبائل أزواد من العرب والطوارق، الذين كان الكثير منهم يُستغل كرجال عصابات تهريب المخدرات والميليشيات القبلية، فاحتفظوا بسلاحهم ونشاطهم وتحولوا من "مهربين" يقودهم زعماء العصابات، إلى "مجاهدين" يقودهم أمراء الجماعة، كما حاول قادة التنظيم أن يقوموا ببعض الوساطات لإصلاح الخلافات التي تعصف بالقبائل والأسر في المنطقة. وهنا لابد من التذكير بأن منطقة أزواد كانت خلال العقود الماضية مسرحًا للعديد من الصراعات والحروب الدامية بين العرقيات والقبائل التي تقطن الإقليم، حيث شهدت حروبًا ضارية بين السود والبيض، وبين العرب والطوارق، وحتى بين قبائل المجموعة العرقية الواحدة، فقد دارت حروب عنيفة بين قبائل "الإفوغاس" وقبائل "الإيمغاد" وكلاهما من الطوارق. كما شهدت المنطقة حروبًا شرسة بين قبائل "كنتة" العربية، ومجموعات قبائل "عرب تلمسي"، وكان زعماء هذه المجموعات من عناصر الجيش المالي وضباطه يستغلون أسلحة ومعدات الجيش

المالي في حروبهم الداخلية، بل إن القوات المالية التي كانت توجد في تلك المنطقة لم تكن سوى أداة لتصفية تلك الحسابات، فقد حدثني أحد الضباط العرب في الجيش المالي، أنهم خلال مواجهتهم للتمرد الذي قاده العقيد الطارقي إبراهيم باهانغا سنة 2006، كان عناصر قبائل "الإيمغاد" في الجيش المالي هم الأكثر حماسًا للقتال؛ لأن المتمردين من خصومهم "الإفوغاس"، وكلما وقع أسرى من متمردي "الإفوغاس" في قبضة القوات المالية سارع عناصر "الإيمغاد" إلى التنكيل بهم وتصفيتهم جسديًّا، الأمر الذي دفع الضباط من العرقيات الأخرى إلى محاولة توفير حماية خاصة للأسرى ومنع الجنود المنحدرين من "الإيمغاد" من الوصول إليهم، كما كان الأسرى من "الإيمغاد" لدى المتمردين الإفوغاس عرضة للتصفية والتنكيل. كما استخدم الضباط العرب في الجيش المالي من قبائل "كنتة" و"عرب تلمسي" وحداتهم القتالية في الحرب بين القبيلتين سنة 2004.

وبالعودة إلى سياسة الاحتواء التي اعتمدها زعيم إمارة الصحراء مختار بلمختار في أزواد، وحرصه على اتباع استراتيجية التوغل الاجتماعي لاستقطاب السكان، فقد أعطى توصيات لعناصره الذين يتزوجون من بنات الأحياء البدوية في تلك الصحراء بحسن المعاملة وعدم التسرع في الطلاق، محاولاً بذلك تقديم رجاله باعتبارهم بدائلَ أفضل من رجال المجتمع الأزوادي الذي ينتشر فيه الطلاق بشكل كبير، إذ لا تكاد توجد فتاة تجاوز عمرها 18 سنة إلا وهي مطلقة أو متزوجة للمرة الثانية. وهنا أستطرد قصة رواها لي أحد عناصر كتيبة "الملثمين"، قال فيها: إن هذه التعليمات كلفتهم ثمنًا باهظًا ذات يوم، لكنها جلبت لهم ثقة السكان ودفعتهم إلى القبول بهم أزواجًا لبناتهم، وبالتالي سمحت لهم بالتوغل في المجتمع وكسب ثقته كحاضنة اجتماعية. ففي خريف عام 2009 غادر عدد من المقاتلين معسكر كتيبة "الملثمين" بجبل "تغرغارت" في إجازة لمدة أسبوع، وكانوا يرغبون في الزواج من بنات بعض الأحياء البدوية، وتقدم أحدهم وهو شاب موريتاني يكنى "الشريف" كمرشح أول للزواج عند أول حي يمرون به، لكن بعض الأسر التي زاروها رفضت تزويجه من بناتها، واختارت غيره من رفاقه في تلك الرحلة، كما أن بعض الأسر كانت ترفض تزويج بناتها من العناصر غير القياديين في التنظيم، فقال الشاب في

لحظة غضب لرفاقه إنه سيتزوج أكثر من فتاة أزوادية وسيطلقهن جميعًا؛ عقابًا لهن على رفضه، وعلى الفور رد أمير المجموعة ويدعى الطيب ولد سيدي عالي، بأنه سيمنعه من الزواج في تلك الرحلة إلى أن يعود للأمير بلمختار ليتخذ قرارًا بشأن زواجه، واعتبر "أمير المجموعة" أن تصريح زميله "الشريف" عن عزمه الزواج بأكثر من واحدة وتطليقهن يتنافى مع استراتيجية أمير الصحراء وتوصياته التي تقوم على تقديم صورة جيدة عن مقاتلي التنظيم للمجتمع الأزوادي عبر الانضباط الاجتماعي، غير أن "الشريف" الذي أحس بجرح عميق في كرامته وكبريائه بعد رفض عدة فتيات له، وقبولهن بالزواج من زملائه، وقرار أميره منعه من الزواج في تلك الرحلة، أصرَّ على الانتقام من الجميع، وقبل انتهاء الإجازة بيوم واحد أخذ السيارة الوحيدة التي كانت مع المجموعة في إجازتها، وابتعد عن الحي الذي كانوا يوجدون به، وتوارى خلف بعض الأشجار للاستحمام، لكنه انتهز الفرصة وهرب بالسيارة، تاركًا زملاءه عند الحي دون وسيلة نقل، وبعد أربع وعشرين ساعة وصلتهم سيارة نجدة من الكتيبة، وأثناء تعقبهم للفتى الهارب عثروا على السيارة التي فرَّ بها غير بعيد من الحدود الموريتانية المالية قرب مدينة غوندام (90 كلم شمال غرب مدينة تمبكتو)، لكن "الشريف" اختفى ومعه جهاز حاسوب كان في السيارة هو عبارة عن الذاكرة الإعلامية والاستراتيجية للتنظيم في الصحراء، فكان ذلك ثمنًا باهظًا تسبب في إحراج كبير للكتيبة التي بات قادتها على يقين أن أسرارهم أصبحت في أيدي الأعداء، والسبب -كما يقول محدثي- هو الصرامة في تطبيق تلك السياسة الاجتماعية التي تسعى لاستقطاب واستمالة السكان، وتقديم صورة جيدة لهم عن مقاتلي "إمارة الصحراء".

## الاكتتاب والبيعة

تكتيكيًّا اعتمد التنظيم في استراتيجيته التوسعية على شبكات اكتتاب تابعة له في دول المنطقة، حيث أوفد عناصر للإقامة في موريتانيا والنيجر ومالي والسنغال، وكلفهم باكتتاب العناصر الراغبين في الانضمام للتنظيم ومبايعته، وتؤخذ البيعة ثلاثة أشكال:

أولاً: أن تتم بشكل مباشر بين الفرد والجماعة، وهذه الحالة تتم غالبًا من طرف الأشخاص الذين يصلون إلى معسكرات التنظيم طلبًا للالتحاق به، حيث يقوم أمراء التنظيم بدعوهم لمبايعتهم بشكل مباشر، وهذا ما حصل مع أغلبية أعضاء التنظيم الذين يتم تجنيدهم من طرف العناصر المقيمين في بلداهم، والذين يقومون بإرسالهم إلى المعسكرات في شمال مالي؛ ليقدموا البيعة للأمراء بشكل مباشر.

ثانيًا: أن تتم البيعة بواسطة شخص مأذون له من طرف أحد أمراء التنظيم، يأخذ البيعة لنفسه نيابة عن الأمراء من العناصر الراغبين في الانتماء للتنظيم بعد أن يُطلِعهم على أنه مفوَّض لأخذ البيعة من ذلك الأمير، وتكون تلك البيعة في النهاية للتنظيم لكنها بواسطة شخص مأذون له، وهذا ما حصل مع عناصر تنظيم "أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط" في موريتانيا، الذين أخذ منهم زعيم التنظيم الخديم ولد السمان المكنى "أبو بكر السباعي" البيعة له، على أنه هو نفسه بايع مختار بلمختار أمير الصحراء، وهذا الأخير بايع قيادة التنظيم في الجزائر، وبالتالي يكون هؤلاء العناصر قد بايعوا قيادة التنظيم عبر سلسلة من الوسطاء.

ثالثًا: أن يأخذ الشخص البيعة لنفسه من العناصر الراغبين في مبايعته، دون أن يكون مخولاً أو موفدًا من طرف أيٍّ من قادة التنظيم، ثم يقوم هو بمبايعة قادة التنظيم بعد ذلك باسمه وباسم العناصر الذين بايعوه سابقًا، وقد حصلت مثل هذه البيعة -على سبيل المثال لا الحصر- مع أمير "كتيبة صلاح الدين" في جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا سلطان ولد بادي المكنى "أبو علي"، حين قرر نهاية عام 2012 الانفصال عن تنظيمه ومبايعة جماعة أنصار الدين، فقام بمبايعة زعيم جماعة أنصار الدين إياد أغ أغالي باسمه ونيابة عن عناصر الكتيبة الذين بايعوه قبل ذلك.

أما صيغ لفظ البيعة فهي متعددة، لكن أشهر صيغة متداولة بين أعضاء التنظيم والأمراء للبيعة هي: "**أبايعك على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وفي العسر واليسر، وعلى أثرة عليَّ، وأن لا أنازع الأمر أهله، إلا أن أرى كفرًا بواحًا عندي من الله فيه برهان**".

كما أن هناك بيعة أخرى تتجدد بشكل دائم، ويتم أخذها من عناصر التنظيم رغم مبايعتهم السابقة، وهي بيعة أمراء المهام؛ حيث يقوم أمير الكتيبة أو السرية بتعيين أمير على أي مجموعة يرسلها في مهمة، وغالبًا ما تكون تلك المهمة قتالية أو محفوفة بالمخاطر، وعند اقتراب اللحظات الحاسمة في المهمة، يقوم أمير تلك المجموعة بأخذ البيعة على الموت من عناصره الذين ينفذون معه المهمة، حيث يلتزم أصحاب بيعة الموت عادة لأميرهم أن يقاتلوا معه حتى يهلكوا أو ينتصروا، وأن لا يفروا من أرض المعركة ولا يستسلموا إلا إذا نفدت ذخيرتهم وأحيط بهم. لكن هذه البيعة تنقضي بانتهاء المهمة التي كلفت بها المجموعة، كما تنتهي معها إمارة أمير المجموعة بمجرد تنفيذ المهمة والعودة إلى معسكرات التنظيم.

ومع اشتداد الخلاف بين أمراء الصحراء أصبح أمير كل كتيبة أو سرية يشترط على العناصر الراغبين في الالتحاق بكتيبته أو سريته أن يبايعوه هو شخصيًّا، وقد شهدت سنوات ما بعد 2007 وحتى 2010 حركيَّة في التنقل بين الكتائب والسرايا بعد عزل مختار بلمختار عن إمارة الصحراء واحتفاظه بقيادة كتيبة "الملثمين" وحدها، فقد غادر عدد كبير -وبشكل متفاوت- كتيبة "الملثمين"، وبايعوا أمراء السرايا والكتائب التي شكلها التنظيم (كتيبة طارق بن زياد، وسرية الفرقان، وسرية الأنصار)، رغم أنهم سبق أن بايعوا مختار بلمختار كأمير للصحراء، وقد حرص أمير كل سرية أو كتيبة على أخذ البيعة لنفسه من أي عنصر يلتحق به قادمًا من معسكرات كتيبة مختار بلمختار.

## في مرمى نيران "بلمختار"

بعد حوالي تسعة أشهر من استقرار مختار بلمختار في صحراء أزواد، وبالتحديد في منتصف عام 2005 قرر توسيع نشاطه العسكري ليشمل موريتانيا، فنفَّذ في الرابع من يونيو/حزيران عام 2005 هجومًا على حامية للجيش الموريتاني في بلدة "لمغيطي" بولاية تيرس زمور شمال البلاد، وخلال الهجوم قُتل 17 عسكريًّا موريتانيًّا، بينهم قائد الحامية وهو ضابط برتبة نقيب، كما استولى عناصر بلمختار

على سيارات عسكرية وكميات من الأسلحة والذخيرة. وقد حرص مختار بلمختار خلال العملية التي نفذها ضد القوات الموريتانية على اصطحاب خمسة موريتانيين كانوا معه في الكتيبة ساعتها؛ ليشاركوا في تنفيذ العملية، وكان من بينهم الحاج ولد عبد القادر المكنى "أبو يونس الموريتاني"، وكان حينها يُعرف بلقب يوسف الأفغاني؛ نظرًا لسابقة سفره إلى أفغانستان، حيث اعترف بلمختار خلال مقابلة أجريتها معه في نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011، بأنه (أي يوسف الأفغاني) كان أول قناة اتصال بين الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية وتنظيم القاعدة بأفغانستان، وقد اعتقلته السلطات الباكستانية في سبتمبر/أيلول عام 2011 وسلمته للأميركيين الذين نقلوه إلى قاعدة باغرام الجوية في أفغانستان، قبل تسليمه لموريتانيا بداية شهر يونيو/حزيران عام 2013، إضافة إلى الحسن ولد اخليل، الذي أصبح لاحقًا مسؤول الإعلام في إمارة الصحراء بتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، والشخصية الثانية في كتيبة "الملثمين"، والخديم أحمدو بما المكنى "أبو محمد الموريتاني"، وهو مهندس تخرج في الجامعات الأردنية، وقد التقى خلال إقامته في الأردن ببعض شيوخ التيار السلفي الجهادي هناك، خصوصًا أبا محمد المقدسي الذي يتخذ منه تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال مرجعًا فكريًّا وأيديولوجيًّا، وقد قُتل أبو محمد الموريتاني في عملية لمغيطي.

كما قام بلمختار بعد العملية مباشرة بجمع الجنود الموريتانيين الذين وقعوا في قبضته، وخطب فيهم محذرًا من الاستمرار في الدفاع عمّا سمَّاه نظام الطاغوت الكافر في نواكشوط، قبل أن يتركهم في موقع الحامية ويغادرها. وكانت هذه الحادثة نادرة في مسيرة تعاطي المسلحين السلفيين الجزائريين مع القوات التي تقاتلهم، فقد جرت العادة أن يقوموا بقتل الجنود الذين يقعون في قبضتهم، وقد فَقَد بلمختار في تلك العملية ستة من عناصره، أبرزهم إبراهيم أبو إسحاق الأفغاني.

ويعتبر الهجوم على حامية لمغيطي العسكرية في شمال موريتانيا أوَّل خروج للتنظيم بنشاطاته الحربية الموجهة عن الجزائر، حيث أصبحت موريتانيا ثاني بلد يستهدفه التنظيم بعملياته العسكرية بعد الجزائر، وإن كان يقيم في شمال مالي إلا أنه ظل يتجنب المواجهة مع قواتها، وتولى مختار بلمختار بنفسه قيادة تلك العملية.

وكانت فكرة نقل العمليات القتالية إلى موريتانيا قد نوقشت داخل التنظيم سنة 2004 بعد وصول مجموعة من نشطاء التيار السلفي في موريتانيا إلى معسكرات "الفاتحين" بقيادة عبد الحميد أبو زيد شمال مالي، لكن عددًا من الموريتانيين الذين كانوا يتلقون تدريبًا عسكريًّا في معسكرات التنظيم رفضوا تلك الفكرة، واعتبروا أن موريتانيا ليست دار حرب شرعية، غير أن مختار بلمختار قرَّر أن يكون السباق إلى تدشين العمل المسلح ضد موريتانيا، فنفَّذ هجوم لمغيطي الآنف الذكر.

ويدافع مختار بلمختار عن توسيع عملياته العسكرية نحو موريتانيا بالقول إنها جاءت في ظروف خاصة وبسبب دوافع استثنائية، وقد رفض في مقابلة أجريتُها معه أن يكون هجومه على ثكنة لمغيطي العسكرية بداية لإعلان الجماعة السلفية للدعوة والقتال الحرب على موريتانيا، وقال إنهم توصلوا حينها بمعلومات تفيد بقيام القوات الموريتانية في المنطقة الشمالية بمناورات عسكرية مع قوات المارينز الأميركية، وأن الجنود الذين وقعوا في قبضتهم بعد هجومهم على الحامية العسكرية أكدوا لهم تردُّد قوات أميركية على تلك الثكنة خلال الأيام والأسابيع التي سبقت الهجوم، كما سرد بلمختار من بين مبررات ذلك الهجوم وجود سفارة إسرائيلية في موريتانيا، واعتقال عدد من الأئمة والعلماء ضمن حملة كان نظام الرئيس الأسبق معاوية ولد سيدي أحمد الطايع يشنها على التيارات الإسلامية آنذاك[1].

لكن الواقع أن الهجوم على الحامية العسكرية في لمغيطي منتصف عام 2005 لم يكن إلا بداية لسلسة نشاطات مسلحة سيقوم بها التنظيم بعد ذلك في موريتانيا، حتى وإن رفض تسميتها بالعمل العسكري الموجَّه ضد القوات أو الحكومة الموريتانية. ففي نهاية عام 2007 قام ثلاثة عناصر من التنظيم بقتل أربعة سياح فرنسيين قرب مدينة ألاك شرق العاصمة نواكشوط، وقد نفَّذ تلك العملية كل من: محمد ولد شبارنو المكنى "أبو مسلم"، وسيدي ولد سيدينا المكنى "أبو جندل"، ومعروف ولد هيبة المكنى "أبو قتادة الشنقيطي"، وقد حاول الشبان

1 أخبار نواكشوط، 9 نوفمبر/تشرين الثاني 2011.

الثلاثة اختطاف الرعايا المستهدفين، لكن المحاولة تحولت إلى مجزرة قُتل فيها أربعة من السياح بالرصاص وأصيب خامسهم بجراح، بعد أن اشتبه الخاطفون بمحاولة أحد السياح مقاومتهم، فأطلقوا عليه النار وعلى باقي المجموعة، ولاذوا بالفرار. وقد تبيَّن لاحقًا أن العملية كانت بمبادرة من منفذيها ولا علاقة لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي بها، كما لم يكن لتنظيم "أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط" الموجود في نواكشوط حينها أي علم بها، بل إن منفذيها الثلاثة كانت تحوم حولهم شكوك بالنسبة لعناصر التنظيم تتعلق باحتمال وجود علاقات مشبوهة بينهم وبين أجهزة الأمن الموريتانية، فقرروا القيام بتلك العملية لإثبات ولائهم للتنظيم وتبرئة ساحتهم من تلك الشُّبَه، كما أن التنظيم لم يعلن عن تبنِّيه لتلك العملية، و لم يصدر بيانًا بشأنها على الإطلاق.

وقد حاول الشبان الثلاثة الذين نفذوا العملية ربط الاتصال بقادة التنظيم في الصحراء لتبني العملية، وقاموا بعدة محاولات لذلك الغرض، حيث قام محمد ولد شبرنو بعد نجاحه مع زميليه في العبور إلى السنغال المجاورة عقب الحادثة بيومين، بالاتصال بأمير الصحراء حينها يحيى جوادي المكنى "يحيى أبو عمار"، وأبلغه بأنهم هم مَن قتلوا السياح الفرنسيين، وأن لديه مقتنيات الضحايا كدليل على ذلك، ويريدون من التنظيم أن يعلن الخبر ويتبنى العملية. وقد أرسل يحيى جوادي أحد عناصره ويدعى "أبو بكر"، كان موجودًا في السنغال ليتسلم تلك المقتنيات من منفذي الهجوم، وهي عبارة عن جواز سفر لأحد الضحايا وبعض الوثائق الأخرى، وكاميرا صغيرة للتصوير كانت مع السياح المستهدفين، وقد تمكن أحد منفذي الهجوم وهو معروف ولد هيبة من الالتحاق بمعسكرات التنظيم بعد أن غادر السنغال إلى باماكو، ومنها إلى مدينة تمبكتو، ثم لحق بمعسكرات التنظيم في صحراء أزواد، بناء على طلب من يحيى جوادي؛ وذلك لأن معروف ولد هيبة لم يكن ساعتها معروفًا لدى أجهزة الأمن الموريتانية، أما زميلاه محمد ولد شبارنو وسيدي ولد سيدينا المعروفان لدى الأمن الموريتاني نظرًا لاعتقالهما سابقًا، فقد غادرا السنغال متوجهين إلى غامبيا حيث أقاما في العاصمة بانجول ثلاثة أيام ثم توجها إلى غينيا بيساو في طريقهما إلى غينيا كوناكري، التي كانا ينويان منها

دخول مالي، والتوجُّه نحو معسكرات التنظيم في أزواد، لكنهما اعـتقلا في أحـد فنادق العاصمة البيساوية ورحلا إلى موريتانيا.

ورغم أن التنظيم حصل على الوثائق والمقتنيات التي كانـت مـع السـياح الفرنسيين الذين قتلوا، إلا أنه أعرض في النهاية عن تبني العملية أو الإعلان عنها.

## "أنصار الله المرابطون في بلاد شنقيط"

وفي إطار مساعيه للتوسع كذلك، عمد مختار بلمختار إلى محاولة تشكيل نواة للتنظيم يكون تابعًا له في موريتانيا تحت اسم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط، واستدعى القيادي الموريتاني في التنظيم الخَدِيم ولد السَّمَّان من مخبئه في العاصـمة السنغالية داكار، بعد أن صدر عليه حكم بالسجن لمدة سنة بتهمة تزوير وثـائق سفر، وكلفه بتشكيل تنظيم تابع له في موريتانيا وعينه أميرًا عليه، وطلـب منـه اكتتاب عناصره وأخذ البيعة منهم لصالحه[1].

وقد شرع الخديم ولد السمان بعد عودته إلى نواكشوط قادمًا من الصحراء في تشكيل التنظيم الجديد خلال النصف الثاني من عام 2007، وأخذ البيعة من عشرات الشباب الموريتانيين، وهي بيعة يقول عنها المقاتل السابق في كتيبة "الملثمين" الطالب ولد احمدناه المكنى "أبو البراء" في مقابلة أجريتها معه في شهر فبراير/شباط عام 2010 إنها كانت خطأً ارتكبه الخديم ولد السمان، وأن مختار بلمختار غضب حين علم بها وأمر بتوقيفها فورًا، وطلب من الخديم ولد السمان الالتحـاق بـه في معسـكرات التنظيم بشمال مالي، لكن هذا الأخير ظل يماطـل في مغـادرة نواكشـوط إلى أن اعتقل؛ وذلك خوفًا من تعرضه للعقاب من طرف قادة التنظيم[2].

ويعزز هذه الاتهامات ما حصل بعد الاشتباك المسلح الذي وقع في حي تفرغ زينة بنواكشوط مساء السابع من إبريل/نيسان عام 2008، بين عناصر من تنظـيم

1 "القصة الكاملة لتنظيم أنصار الله المرابطين في موريتانيا".
http://essirage.net/index.php/news-and-reports/447-2010-10-18-22-11-44.html

2 أخبار نواكشوط، 10 فبراير/شباط 2010.

أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط وقوات الأمن الموريتانية، حينما أفلت عناصر التنظيم من الحصار الذي فُرض عليهم، وتمكن كل من عبد الرحمن النيجري المكنى "أبو دجانة" والتقي ولد يوسف المكنى "التراد" وأحمد ولد العامر المكنى "أحمد الأزوادي" من الخروج من العاصمة في سيارة رباعية الدفع، وعلى الطريق الرابط بين نواكشوط ومدينة أكجوجت في الشمال، اتصلوا بالخديم ولد السمان وطلبوا منه الالتحاق بهم مع عناصره الذين تمكنوا من الإفلات من حصار الشرطة للمنزل الذي كانوا يتحصنون فيه، لكن الخديم ولد السمان رفض طلبهم، وعلّل ذلك بالقول: إن قوات الأمن أغلقت منافذ العاصمة بعد الاشتباك معهم، وأن أي محاولة للخروج منها غير آمنة له ولرفاقه، فواصل عبد الرحمن النيجري ورفيقاه رحلتهم إلى معاقل التنظيم في صحراء أزواد، وبقي الخديم ولد السمان ومن معه من عناصر تنظيمه في نواكشوط، إلى أن اعتقل بعد ذلك بثلاثة أسابيع في حي شعبي بمقاطعة عرفات جنوب العاصمة نواكشوط، كما اعتقل معظم العناصر الذين بايعوه، وصدرت بحقهم أحكام بالسجن لفترات متفاوتة.

وقد نفّذ تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط التابع لأمير الصحراء مختار بلمختار قبل تفكيكه واعتقال قادته، عمليتين: الأولى منهما تمثلت في السطو على سيارة كانت تحمل أموالاً تابعة لإدارة ميناء نواكشوط البحري متجهة إلى الخزينة العامة وسط نواكشوط، وذلك في أكتوبر/تشرين الأول عام 2007، وخلال العملية اعترض الخديم ولد السمان وبرفقته اثنان من عناصر التنظيم، سيارةَ الأموال واستولوا على مبالغ مالية تُقدر بحوالي 56 مليون أوقية موريتانية (ما قيمته آنذاك حوالي 300 ألف دولار أميركي)، أرسل منها مبلغ 250 ألف دولار إلى مختار بلمختار في المعسكرات، واحتفظ هو بالباقي. أما العملية الثانية فكانت هجومًا استهدف السفارة الإسرائيلية في نواكشوط مطلع شهر فبراير/شباط عام 2008، وذلك بتعليمات مباشرة من مختار بلمختار، وكان الهدف من ذلك الهجوم هو استدراك ما خلّفته عملية قتل السياح الفرنسيين الأربعة نهاية عام 2007 قرب مدينة ألاك من استياء في أوساط الشارع الموريتاني، وقد خطط التنظيم للعملية في نواكشوط، ونفذها مجموعة من أعضائه بقيادة الخديم ولد السمان وبرفقته أحمد

ولد الراظي المكنى "أبو معاذ" وموسى ولد محمد ولد انديه المكنى "أسامة أبو ناصر" والطيب ولد سيدي عالي المكنى "عبد الرحيم"، وقد أسفر الهجوم عن إصابة ثلاثة أشخاص كانوا في مطعم وملهى ليليّ مقابل للسفارة الإسرائيلية، ويقول السجين السلفي الطالب ولد احمدناه في مقابلتي معه: إن مختار بلمختار طلب من الخديم ولد السمان القيام بعملية نوعية ضد السفارة الإسرائيلية تكون حاسمة؛ وذلك لرد الاعتبار للتنظيم بعد عملية مقتل السياح الفرنسيين التي أثارت استياء واسعًا في الشارع الموريتاني، لكن الخديم ولد السمان -يضيف ولد احمدناه- هاجم السفارة ليلاً وهي خالية من الدبلوماسيين والموظفين، وانسحب بسرعة، مما جعل العملية تعتبر فاشلة؛ لأنها لم تخلف الخسائر التي كانت مرجوة منها[1].

وفي مقابلة أجريتها مع مختار بلمختار في نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011 اعترف بمسؤوليته عن تلك العملية، وكشف عن مخطّط سابق قام به تنظيمه لاغتيال السفير الإسرائيلي بنواكشوط، لكنه لم يُفصح عن تاريخ ذلك المخطط ولا طبيعته، ولا عن أسباب فشله[2].

كما نفّذ تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط عمليات سطو مسلحة استهدفت بعض السيارات الحكومية والأجنبية في موريتانيا، من بينها سيارة لدبلوماسي روسي استولى عليها عناصر من التنظيم أثناء توقف سائقها أمام مباني السفارة الفرنسية بنواكشوط، وسيارة أخرى قام أيضًا عناصر التنظيم بسلبها من السفير الموريتاني في واشنطن تحت تهديد السلاح أثناء توقفه أمام منزل أحد أقاربه في غرب العاصمة نواكشوط.

وقد قام مختار بلمختار بتمويل وتسليح تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط، حيث أرسل لهم كدفعة أولى مع عبد الرحمن النيجري نهاية عام 2007، مبلغًا ماليًّا يناهز 7 آلاف دولار أميركي، وكيسين من المواد التي تستخدم في صناعة المتفجرات يزن كل واحد منهما 50 كلغ، وكمية من مادة "تي إن تي"

1 أخبار نواكشوط، 9 نوفمبر/تشرين الثاني 2011.
2 أخبار نواكشوط، 9 نوفمبر/تشرين الثاني 2011.

(TNT) الشديدة الانفجار، وعددًا من الصواعق التي تستخدم في تفجير العبوات الناسفة عن بُعد، وأعطى تعليماته لأمير التنظيم الخديم ولد السمان بتكليف أحمد ولد الراظي -وهو خبير في صناعة المتفجرات تدرب في معاقل التنظيم بشمال مالي قبل أن يعود إلى نواكشوط- بصناعة عدد من العبوات والأحزمة الناسفة لاستخدامها لاحقًا في عمليات التنظيم التي سيأمر هو بها. وقد تمكن أحمد ولد الراظي من صناعة عدد من العبوات والأحزمة الناسفة، وقام فعلاً بتجريب إحدى العبوات الناسفة خارج العاصمة، وقد كان من المفترض أن تستخدم في الهجوم على السفارة الإسرائيلية، لكن الخديم ولد السمان أعرض عن استخدامها، واكتفى بإطلاق النار على مبنى السفارة وإلقاء ثلاث قنابل يدوية باتجاهها، معللاً ذلك بالقول إنه يخشى في حال استخدام تلك العبوات الناسفة من وقوع دمار هائل يلحق أضرارًا بالمباني القريبة من السفارة، وقد وقعت تلك العبوات والأحزمة الناسفة في يد قوات الأمن الموريتانية بعد تفكيك التنظيم.

وفي نهاية شهر فبراير/شباط عام 2008 طلب مختار بلمختار من أمير تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط الخديم ولد السمان، التخطيط لاختطاف نائب السفير الألماني في نواكشوط، وإرساله إليه في صحراء أزواد؛ ردًّا على تصريحات أدلى بها وزير الداخلية الألماني حينها فولغانغ شوييل دعا فيها كل الصحف الأوروبية إلى نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على غرار نشر الصحافة الدنماركية لها، وقد أرسل مختار بلمختار ثلاثة من عناصر كتيبة "الملثمين" إلى نواكشوط لهذا الغرض وهم: عبد الرحمن النيجري المكنى "أبو دجانة"، والذي ينحدر من قبيلة "النواجر" العربية في النيجر، وقد قتل أثناء قيادته لعملية اقتحام مصنع "عين أميناس" في جنوب الجزائر خلال شهر يناير/كانون الثاني 2013، ومعروف ولد هيبة المكنى "أبو قتادة الشنقيطي" والمعتقل في السجون الموريتانية من شهر إبريل/نيسان عام 2008، حيث يواجه حكمين بالإعدام، وأحمد ولد العامر المكنى "أحمد الأزوادي"، الذي انسحب من تنظيم القاعدة لاحقًا وشارك في تأسيس "جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا"، وغيَّر كنيته لتصبح "أحمد التلمسي". وقد أبلغ بلمختار الموفدين الثلاثة أن عناصر تابعين

للخديم ولد السمان في نواكشوط سيختطفون نائب السفير الألماني ويسلمونه إياهم، وأن دورهم (أي الثلاثة) هو الخروج به من موريتانيا وإيصاله إلى معسكرات التنظيم في أزواد، لكن العملية فشلت بعد اختفاء الهدف عن الأشخاص المكلفين بمراقبته.

وبالتزامن مع ذلك تمكن السجين السلفي سيدي ولد سيدينا المتهم بالمشاركة في قتل أربعة سياح فرنسيين قرب ألاك نهاية عام 2007 من الفرار من قصر العدالة بنواكشوط بعد مثوله أمام قاضي التحقيق، بداية شهر إبريل/نيسان عام 2008، وأثناء ملاحقة أجهزة الأمن الموريتانية له بالتعاون مع الفرنسيين، تبيَّن أن عناصر تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط وفَّروا له المأوى، وحينها لم يكن لدى السلطات الموريتانية أي علم بالتنظيم، ومساء السابع من إبريل/نيسان كان ولد سيدينا برفقة الخديم ولد السمان وعناصر من التنظيم في منزل بحي تفرغ زينة غرب نواكشوط، حينما تم رصد مكالمة هاتفية له، فحاصرت قوات الأمن الموريتانية المنزل الذي يتحصن فيه واشتبكت مع المسلحين داخله، حيث سقط قتيلان من عناصر التنظيم هما: موسى ولد محمد ولد انديه المكنى "يوسف أبو ناصر"، وأحمد ولد الراظي المكنى "أبو معاذ"، إضافة إلى ضابط من الشرطة الموريتانية، بينما تمكن باقي عناصر المجموعة من الإفلات من الحصار المفروض عليهم. وقد شنت أجهزة الأمن حملة اعتقالات واسعة انتهت بتفكيك التنظيم واعتقال معظم قادته وعناصره وهروب آخرين باتجاه صحراء أزواد شمال مالي، وقد أصدر القضاء الموريتاني أحكامًا بالإعدام في حق قادة تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط، ومن أبرزهم الخديم ولد السمان، ومعروف ولد الهيبة، وسيدي ولد سيدينا، ويوجدون حاليًا رهن الاعتقال في موريتانيا. وبعد تفكيك تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط، تراجع مختار بلمختار عن فكرة تشكيل تنظيم محلي في موريتانيا، مكتفيًا بإرسال عناصر إلى موريتانيا لتنفيذ مهام محددة، ومن ثَمَّ العودة إلى صحراء أزواد شمال مالي.

كما كانت لدى مختار بلمختار خيارات أخرى يجري تدارسها لتنفيذ أجندته في موريتانيا، وقد نوقشت في عدة اجتماعات داخل إمارة الصحراء، حيث

تم تداول العديد من الاحتمالات وفي مقدمتها مهاجمة الفنادق والمطاعم والمطارات التي تستقبل الرعايا الغربيين في موريتانيا؛ وذلك لاختطافهم أو قتلهم، كما نوقشت أفكار أخرى تتعلق بمهاجمة قيادة أركان الجيش الموريتاني ومقار الثكنات العسكرية ومخافر الأمن، وذلك عبر انتحاريين يستقلون سيارات مفخخة. والمتطوعون لمثل تلك العمليات الانتحارية يتم تسجيلهم في لوائح على مستوى الكتائب والسرايا التي تقوم بتحويلها إلى القيادة، ويمكن أن يتم استدعاء المتطوع للعمليات الانتحارية في أي لحظة، وتكليفه بالمهمة التي تطوع من أجلها.

وحدثني أحد عناصر جماعة "الملثمين" الذين تخلوا عن التنظيم أن مختار بلمختار قال لهم ذات مرة خلال اجتماع ببعض مقاتليه، إنه أرسل خمس مجموعات إلى موريتانيا لتنفيذ مهام محددة، لكن هذه المجموعات فشلت كلها؛ لذلك فهو مهتم بالبحث عن وسائل وآليات جديدة تضمن نجاح مهامه في موريتانيا. ولدى بلمختار قراءة تحليلية لأسباب فشل المجموعات التي يرسلها إلى موريتانيا في أداء مهامها على الوجه المطلوب، وتعتمد هذه القراءة على أبعاد سوسيولوجية وجغرافية، وفي مقدمتها طبيعة المجتمع الموريتاني ومنظومة قيمه وعاداته؛ إذ يعتبر مجتمعًا منفتحًا بحكم طبيعته البدوية، الجار فيه يصر على معرفة جاره والتواصل معه، ومعرفة نسبه وحاله، فضلاً عن كونه مجتمعًا محبًا للاستطلاع ومعرفة الأخبار، الأمر الذي يعرض المهام المنوطة بالسرية إلى الفشل بشكل دائم فيه، والسرية هي العامل الأساسي للنجاح في ميدان التنظيمات السرية، هذا فضلاً عن عدم وجود قاعدة شعبية في موريتانيا داعمة للفكر السلفي الجهادي؛ حيث تنتشر في المجتمع الموريتاني العقيدة الأشعرية والطرق الصوفية، ويعتمد الناس في الجانب الفقهي من حياتهم على كتب فروع المذهب المالكي، وينظرون بعين الريبة إلى كل دعوة جديدة ذات طابع ديني، هذا مع غياب وجود قاعدة ميدانية للتنظيم داخل موريتانيا يلجأ إليها عناصره المطاردون أو المكلفون بمهام إذا نفذوا مهامهم، ففي الغالب يلجأ عناصر التنظيم بعد انتهاء مهامهم أو فشلها إلى محاولة مغادرة البلاد إلى إحدى دول الجوار أو إلى صحراء أزواد، وهو أمر محفوف بالمخاطر

ويجعلهم عرضة للاعتقال بشكل كبير، الأمر الذي جعل بلمختار يفكر بجدية في إيجاد حلول تؤمن أكبر فرصة ممكنة لنجاح مهام التنظيم في موريتانيا، فكانت لديه فكرة إنشاء قاعدة خلفية للتنظيم في موريتانيا؛ لإيواء كل منفّذ لمهمة في موريتانيا، وتمكين العناصر من وضع اللمسات الأخيرة على مهامهم داخل موريتانيا وقريبًا من الأهداف المنشودة قبل تنفيذها. وفي أحد الاجتماعات رفض مختار بلمختار مقترحًا قدمه القيادي في التنظيم "الطيب ولد سيدي عالي" (موريتاني الجنسية) بإقامة معسكرات للتنظيم تكون قاعدة خلفية له في سلسلة الجبال الممتدة بين ولايتي تكانت وأدرار شمال موريتانيا، واعتبر بلمختار أن ذلك قد يشكل خطرًا على عناصر التنظيم، وأن تجربته في الجزائر أثبتت له أن اللجوء إلى الجبال قد يحمي من المطاردة بشكل مؤقت، لكنه يعرض المجموعات المطاردة للحصار المحكم، وبالتالي يعرضها للاستسلام أو الموت جوعًا وعطشًا، وبحث بلمختار مع بعض عناصره الموريتانيين إمكانية اللجوء إلى غابات ولايتي "غورغل" و"غيديماغا" جنوب شرق البلاد على الحدود مع مالي والسنغال؛ لاتخاذ قاعدة فيها تمكن من لجأ إليها وضاق عليه الخناق من مغادرتها والعبور إلى السنغال أو مالي بشكل أكثر أمانًا.

كما كان لدى بلمختار هاجس أرّقه كثيرًا وأخذ عليه تفكيره، وهو أن يتمكن الأميركيون من إقامة قاعدة عسكرية لهم في موريتانيا، ويعملوا على استمالة السكان البسطاء من الموريتانيين، عبر حفر الآبار وتقديم المساعدات الخيرية لهم، ووصل الأمر إلى حد أصبح يدرس فيه الأماكن المحتملة لاستضافة تلك القاعدة المفترضة، في مدينة النعمة بشرق البلاد، أو مدينة أطار في الشمال، وأرسل عدة رسل لدراسة تلك المدن، ومراقبة تحركات العسكريين الأميركيين فيها. وكان يفكر بجدية في القيام بعمل استباقي، حسب قوله، يحول دون ترسيخ الوجود الأميركي في المنطقة، أو يؤجله على الأقل، إلى أن يكون التنظيم جاهزًا لمواجهته. وفي هذا الإطار برّر قيامه بالهجوم على حامية لمغيطي العسكرية في شمال موريتانيا بالقول: إنه قام بذلك الهجوم بعد أن وصلت إليه معلومات تفيد بزيارة خبراء عسكريين أميركيين للمنطقة؛ بهدف التحضير لإقامة تلك القاعدة العسكرية.

## هجوم نواكشوط

كانت من آخر العمليات التي خطط لها مختار بلمختار حتى الآن في موريتانيا وأراد لها أن تكون عملية نوعية، هي محاولة القيام بهجمات عن طريق سيارات مفخخة وسط العاصمة نواكشوط، وكانت تستهدف وزارة الدفاع وإدارة الأمن العام قرب القصر الرئاسي، والسفارة الفرنسية بنواكشوط، فبعد عمليات التوغل التي قام بها الجيش الموريتاني في شمال مالي، ونجاحه في طرد عناصر التنظيم من غابة "واقادو" شمال مالي قرب الحدود الموريتانية، فكر مختار بلمختار في عملية نوعية ضد موريتانيا، حيث قام بإعداد خطة محكمة، تستهدف ضرب مناطق حيوية في العاصمة نواكشوط تكون بمثابة رسالة قوية للنظام الموريتاني؛ ولهذا الغرض أرسل سيارتين مفخختين ترافقهما سيارة دعم وإسناد لتنفيذ المهمة، وقد انطلق الموكب من جبل "تغغارت" في أقصى شمال شرق أزواد[1]، وكان على متن كل سيارة ثلاثة مسلحين، موزعين على النحو التالي:

السيارة الأولى وقد كلفت بالتوجه إلى مباني وزارة الدفاع وإدارة الأمن المجاورة لها قرب القصر الرئاسي، وعلى متنها محمد المختار ولد فال المكنى "أبو جندل"، المرشح لقيادة السيارة بوصفه انتحاريًّا وكان يرتدي حزامًا ناسفًا، وهو من الموريتانيين الأوائل الذين انضموا للجماعة السلفية للدعوة والقتال، وقد اعتقل مع عبد الرزاق البارا من طرف المتمردين التشاديين وسُلِّم للجزائر سنة 2004، لكن السلطات الجزائرية أفرجت عنه، فعاد أدراجه إلى أزواد وانضم إلى إمارة الصحراء من جديد، وكان برفقة أبي جندل في سيارته كل من محمد الأمين ولد امبالة، المكنى "معاوية"، وكان مكلفًا بالتغطية أثناء تنفيذ العملية، ومعهما الجزائري "سعد" وهو خبير متفجرات، وكان أيضًا يفترض أن يكون من بين الانتحاريين، وتتمثل مهمته في تجهيز ووضع اللمسات الأخيرة قبل تفجير السيارتين المفخختين. أما السيارة الثانية فكانت موجهة إلى السفارة الفرنسية بنواكشوط، وتحمل على متنها سيدي محمد ولد محمد الأمين المكنى "الزبير" وهو الانتحاري الذي كان

1 "الإرهابيون ينتحرون على أسوار نواكشوط"، أخبار الجيش، العدد (25)، 2011.

سيتولى قيادتها أثناء اقتحام السفارة، ومعه السالك ولد الشيخ المكنى "أبو قسورة"، ويوسف غاليسو المكنى "أبو جعفر الغيني" وكانا مكلفين بالتغطية أثناء العملية. أما سيارة الدعم والإسناد فكان على متنها كل من: الطيب ولد سيدي عالي المكنى "عبد الرحيم" وبيب ولد نافع وهما موريتانيان، وزكريا المالي وهو من الطوارق الماليين، وكانت مهمتهم تتمثل في مواكبة المنفذين وتصوير إحدى العمليتين أو كلتيهما، والانسحاب بعناصر التغطية الذين لم يُقتلوا أثناء العمليات. ويوم 29 فبراير/شباط عَبَر الموكب الحدود الموريتانية المالية عبر ولاية غيديماغا في جنوب شرق البلاد، حيث تم رصدهم من طرف الجيش الموريتاني، وبدأت عمليات الملاحقة، وبعد يومين عثر على السيارة التي كانت مخصصة لاقتحام السفارة الفرنسية وهي متعطلة قرب مدينة اركيز جنوب غرب البلاد وعلى متنها 1,5 طن من المتفجرات، واعتقل اثنان من طاقمها وهما: أبو جعفر الغيني، وأبو قسورة الموريتاني، بينما قتل الانتحاري "الزبير" خلال المواجهات مع الجيش الموريتاني أثناء محاولة اعتقاله في غابة "هولاند" قرب الحدود مع السنغال، كما قتل عنصر من الدَّرَك الموريتاني على يد المسلحين أثناء تلك المطاردة.

أما السيارة التي كانت مخصصة لاقتحام وتفجير وزارة الدفاع وإدارة الأمن، فقد تخلى عنها أحد عناصرها وهو "معاوية" بعد أن تأكد من حصول السلطات الموريتانية على معلومات بدخول سيارات مفخخة إلى البلد، وعاد أدراجه إلى مالي، بينما حاول الانتحاري "أبو جندل" وبرفقته "سعد الجزائري" التقدم بها نحو العاصمة نواكشوط في محاولة أخيرة للوصول بها إلى الهدف، لكن وحدة من الجيش الموريتاني (كتيبة الحرس الرئاسي) نصبت لهم كمينًا على مشارف العاصمة الجنوبية، وتمكنت من تفجير السيارة وقتل الانتحاريين، بينما تم رصد مكالمة هاتفية للمسلح الثالث "معاوية" بعد وصوله إلى الأراضي المالية، واعتقاله من طرف السلطات المالية التي سلمته للسلطات الموريتانية. أما الثلاثة الذين كانوا على متن سيارة الدعم والإسناد فقد نجحوا في العودة إلى معسكرات التنظيم، وقد عمد بلمختار إلى الاستعانة بعناصر تابعين لأمير سرية الفرقان يحيى أبو الهمام في تنفيذ العملية، وإن كان احتفظ هو لنفسه بالتخطيط والتحضير لها وتحديد أهدافها.

كما أرسل مختار بلمختار عددًا من عناصر "كتيبته" إلى كل من النيجر وموريتانيا؛ للبحث عن رعايا غربيين بهدف اختطافهم، وكانت تعليماته تقضي بالتركيز على رعايا الدول الإسكندينافية، وعدم متابعة أو مراقبة أو اختطاف رعايا الولايات المتحدة الأميركية وفرنسا وبريطانيا؛ لأن هذه الدول ترفض عادة دفع الفدية مقابل تحرير رهائنها، في حين يعتبر اللجوء إلى إعدام الرهينة بعد رفض تلبية المطالب فشلاً للتنظيم؛ لأن ذلك يشكل إخفاقًا في تحقيق الأهداف المنشودة من وراء عملية الاختطاف، سواء كانت فدية مالية أو تبادلاً للرهائن بمعتقلين من التنظيم أو مقربين منه.

وقد عمد بلمختار إلى تفادي قتل الرهائن المحتجزين لديه، و لم يُقتل أيٌّ من رهائنه سوى فرنسيين اختطفا من النيجر بداية شهر يناير/كانون الثاني عام 2011 لقيا مصرعهما أثناء محاولة تحريرهما من طرف الدَّرَك النيجري والقوات الفرنسية الخاصة، وقال عناصر التنظيم: إن إحدى الرهينتين قتل على يد القوات الفرنسية الخاصة بعد أن قصفت السيارة التي يحتجز فيها، وقتل المسلحون زميله بعد أن اعتقدوا أن القوات الفرنسية والنيجرية قد أحاطت بهم و لم يعُدْ أمامهم سبيل للنجاة، بينما قُتل ثلاث رهائن على الأقل على يد عبد الحميد أبو زيد ويحيى أبو الهمام (البريطاني أدون داير، والفرنسيان ميشيل جرمانو، فيلب فاردون) بعد فشل المفاوضات بشأنهما، أو انتقامًا لمقتل عناصر من التنظيم.

## العلاقة مع "بوكو حرام"

عمد مختار بلمختار ضمن مساعي التوسع في المنطقة إلى ربط الصلة مع جماعة "طالبان نيجيريا" التي تحوَّل اسمها لاحقًا إلى جماعة أهل السنة للتوحيد والجهاد وعُرفت إعلاميًّا باسم بوكو حرام، فأوفد إليها بعض النيجيريين الذين كانوا ضمن مقاتلي إمارة الصحراء وتدربوا في معسكراته، ومن أبرز قادة بوكو حرام الذين تلقوا تدريبات في معسكرات إمارة الصحراء شمال مالي وبايعوا بلمختار - "خالد برناوي" (نسبة إلى ولاية برونو في شمال شرق نيجيريا)، وهو المسؤول عن اختطاف وقتل الرهينتين البريطاني كريستوف ماكمانوس والإيطالي

فرانكو لامولينارا اللذين اختطفا في 12 مايو/أيار عام 2011، واحتجزا في مدينة سكوتو شمال نيجيريا قرب الحدود مع النيجر.

وقد تولى مختار بلمختار بنفسه المفاوضات بشأن تقرير مصير الرهينتين، وكان على وشك إنهاء اتفاق يقضي بإطلاق سراحهما مقابل فدية مالية، حيث تمكن مفاوضو بلمختار من الاتصال بذوي الرهينة البريطاني في مدينة مانشستر البريطانية، وطلبوا منهم فدية مالية قدرها خمسة ملايين يورو وتحرير بعض السجناء المحتجزين لدى حكومات المنطقة، قبل أن يدخل الإيطاليون على الخط للتفاوض بشأن رهينتهم. وبدأت المفاوضات بوساطة رجل الأعمال الموريتاني المصطفى ولد لمام الشافعي الذي يعمل مستشارًا سياسيًّا لرئيس بوركينا فاسو بليز كومباوري، كما كلف البريطانيون وسيطًا آخر يُعرف باسم "مستير بيجن" بالتفاوض باسمهم، ويقول مقربون من مختار بلمختار شاركوا في بعض مراحل المفاوضات: إن البريطانيين كانوا أكثر تشددًا من الإيطاليين أثناء المفاوضات، وكانوا يعرقلون مسارها بشكل دائم، وأن الخاطفين لاحظوا مماطلة من طرف البريطانيين عبر تكريرهم طلب تمديد المهلة. وفي مرحلة من المفاوضات طلب أهالي الرهينتين دليلاً على وجودهما على قيد الحياة قبل مواصلة المفاوضات بشأنهما، وذلك عبر الرد على سؤالين أحدهما يتعلق بالبريطاني كريستوف ماكمانوس الذي طلب ذووه من الخاطفين الرد على سؤال: "أين قضى شهر العسل مع زوجته؟"، أما السؤال الثاني فكان موجهًا إلى الرهينة الإيطالي فرانكو لامولينارا وهو: "أين تعرف على زوجته؟". وبعد فترة جاء الرد من الرهينتين عبر مفاوضي بلمختار، حيث قال البريطاني إنه قضى شهر العسل مع زوجته في مدينة مانشستر البريطانية حيث يقيم مع ذويه، بينما رد الإيطالي أنه تعرف على زوجته في روما. حينها تأكد أهالي الرهينتين من وجودهما على قيد الحياة من خلال المعلومتين السابقتين، وتواصلت المفاوضات على أمل تحريرهما. ومع استمرار الوقت قدَّم بلمختار تنازلات بسبب طول فترة احتجاز الرهينتين، فقَبِل بإشراك الرهينة الإيطالي في الصفقة المالية وتنازل عن المطالبة بالإفراج عن بعض السجناء، لكن المفاوضات بقيت تدور حول قيمة الفدية المطلوبة، وكان البريطانيون يصرون على رفض المبالغ التي يطالب بها

الخاطفون. وبعد مفاوضات شاقة وطويلة، تم التوصل إلى اتفاق يقضي بدفع فدية مالية قدرها مليون ومائتا ألف يورو، وفعلاً تسلم رجال مختار بلمختار في النيجر دفعة من المبلغ المذكور، وكان من المفترض أن يتسلموا بقيته لاحقًا، على أن يسلموا هم الرهينتين للمفاوضين بعد ذلك. لكن المخابرات البريطانية والنيجيرية استغلتا فرصة تمديد مهلة المفاوضات أكثر من مرة؛ لتتبع الخاطفين ومحاولة تحديد مكان احتجاز الرهينتين، وهو ما نجحتا فيه؛ حيث قامت وحدة من القوات الخاصة النيجيرية مدعومة من المخابرات البريطانية يوم 8 مارس/آذار 2012 باقتحام المكان الذي يُحتجز فيه الرهينتان في محاولة لتخليصهما بالقوّة، فجاء الرد سريعًا من الخاطفين بتصفية الرهينتين وإعدامهما[1]، كما هو الشأن غالبًا في محاولات تحرير الرهائن بالقوة.

هذا مجرد مثال استطردته بالتفاصيل لتوضيح مدى امتداد نفوذ مختار بلمختار إلى نيجيريا وعلاقاته القوية بجماعة "بوكو حرام" التي اخترقها بعناصر كانت تتدرب في معسكراته وتدين له بالولاء، وقد تمكن عدد كبير منهم من دخول أزواد بعد سيطرة الجماعات الإسلامية المسلحة على كبريات المدن فيها، فشاركوا في وحدات الشرطة الإسلامية التي كانت تعج بها تلك المدن، كما انضموا لسرايا وكتائب الجماعات المسلحة هناك.

كما اهتم بلمختار بموضوع القواعد الفرنسية في السنغال، وأرسل عدة أشخاص لمراقبتها، من بينهم الموريتاني محمد ولد شبرنو المكنى "أبو مسلم" والذي أقام في العاصمة السنغالية داكار فترة من الزمن، وكلفه برصد أماكن وجود تلك القواعد وحركة الضباط الفرنسيين فيها، كما كلف سنغاليًّا يُدعى "أبو بكر" ويقيم في داكار بمتابعة تلك القواعد ورصد تحركات الفرنسيين فيها.

وبعد سنوات من استقرار قادة "إمارة الصحراء" في أزواد، تزايد عدد أبناء أزواد المنتمين لكتائب وسرايا تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وأصبحوا

---

1 "تفاصيل حصرية عن مفاوضات ومقتل رهينتين غربيتين في نيجيريا".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=17320

يشكلون الجنسية الأولى فيه، يليهم الموريتانيون ثم الجزائريون، ثم المنحدرون من النيجر والصحراء الغربية وبلدان المغرب العربي الأخرى. وشهد عاما 2009 و2010 إقبالاً كبيرًا من الأزواديين على التنظيم، واعتبرت فترة الذروة في إقبال شباب قبائل أزواد من العرب والطوارق على الالتحاق بكتائب وسرايا التنظيم، وقد أطلق قادة التنظيم على تلك الفترة اسم "سنوات النفير"، في إشارة إلى نفير سكان أزواد للجهاد، حسب تعبيرهم.

## عزل "بلمختار" عن إمارة الصحراء

في شهر مارس/آذار من عام 2007 ومع تصاعد الخلافات بين الرجلين القويين في الصحراء (مختار بلمختار، وعبد الحميد أبو زيد)، وهو الخلاف الذي يعترف به بلمختار نفسه[1]، أرسلت قيادة التنظيم في الجزائر أميرًا جديدًا للصحراء يُدعى يحيى جَوَادِي، وكنيته "يحيى أبو عَمَّار"، كان يشغل سابقًا منصب القائد العسكري للجماعة السلفية للدعوة والقتال، ونصبته أميرًا على كل أتباع التنظيم في الصحراء، بمن فيهم مختار بلمختار وعبد الحميد أبو زيد؛ وذلك بعد اتخاذ قرار بضم "أبو زيد" وعناصره لإمارة الصحراء. ووصل يحيى جوادي إلى صحراء أزواد برفقة عدد من أمراء التنظيم وقادته، وهو يحمل معه هيكلة جديدة لإمارة الصحراء صادرة عن قيادة الجماعة، تقضي بإقصاء مختار بلمختار عن إمارة الصحراء، مع احتفاظه بقيادة كتيبة "الملثمين" التي أسسها، كما تضمنت الهيكلة الجديدة لإمارة الصحراء تشكيل كتيبة جديدة تسمى "كتيبة طارق بن زياد" وأسندت قيادتها لغريم بلمختار "عبد الحميد أبو زيد"، إضافة إلى تشكيل سريتين إضافيتين إحداهما خصصت لمقاتلي الطوارق في التنظيم وتحمل اسم "سرية الأنصار"، وأسندت قيادتها للمالي أحمد أغ امَّامه المكنى "أبو عبد الكريم الطارقي"، وهو أول قائد من غير الجزائريين يتولى قيادة سرية في التنظيم. أما السرية الثانية فأسندت قيادتها للجزائري عكاشة جمال المكنى "يحيى أبو الهَمَّام"، الذي سيترقى لاحقًا ليصبح الأمير العام لإمارة الصحراء الكبرى عام 2012.

1 أخبار نواكشوط، 9 نوفمبر/تشرين الثاني 2011.

وفي شهر ديسمبر/كانون الأول عام 2007 عاد يحيى جوادي إلى الجزائر للاجتماع بقادة التنظيم هناك، وعلى غير العادة لم يستخلف على قيادة إمارة الصحراء أيًا من القادة الميدانيين لينوب عنه في ظل غيابه، وبقي عالقًا في جبال الجزائر بعد محاصرة القوات الجزائرية له، ولم يستطع العودة إلى شمال مالي، الأمر الذي أوجد فراغًا في قمة هرم إمارة الصحراء، فاختارت قيادة التنظيم في الجزائر قياديًا آخر خلفًا له هو الجزائري "موسى أبو داود" وعينته أميرًا للصحراء، لكن هذا الأخير فشل أيضًا في الالتحاق بالصحراء؛ بسبب وجوده محاصرًا في جبال بوكحيل، وحاول أن يدير الأمور في الصحراء عن بُعد. وسعيًا لسد الفراغ في قيادة إمارة الصحراء، أرسل التنظيم في إبريل/نيسان سنة 2010 الجزائري نبيل مَخْلوفِي المكنى "نبيل أبو علقمة"، وتمكن من الوصول إلى صحراء أزواد، ليتولى منصب أمير الصحراء بالوكالة، مع احتفاظه رسميًا بلقب "نائب أمير الصحراء". وكان نبيل مخلوفي قد وصل موفدًا من قيادة التنظيم في الجزائر في مهمة لتقييم الأوضاع في الصحراء بعد تفاقم الخلافات بين قادتها، لكنه عُيِّن لاحقًا نائبًا لأمير الصحراء، وكان على خلاف مع أمير "كتيبة الملثمين"، وانحاز إلى خصومه من القادة الآخرين، مثل عبد الحميد أبو زيد، ويحيى أبو الهمام.

وقد شرع نبيل مخلوفي -بعد تعيينه نائبًا لأمير الصحراء وقائمًا بأعماله- على الفور في تنفيذ عمليات اختطاف دشَّن بها مرحلة قيادته لإمارة الصحراء، كانت أولاها في 24 نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011، حيث اختطف فرنسيين اثنين من مدينة هومبري بشمال مالي، وهما: فيلب فاردون، وسيرج لازيرفيك، اللذين اتهمهما التنظيم حينها بالعمل لصالح أجهزة المخابرات الفرنسية، وقدمهما على أنهما من أعضاء جماعة المرتزق الفرنسي المعروف "بوب دينار". وبعد ذلك بأربع وعشرين ساعة قام عناصر التنظيم بقيادة مخلوفي باقتحام مدينة تمبكتو واختطاف ثلاثة سياح غربيين هم: ستيفن مالكولوم (36 عامًا) وهو بريطاني من أصل جنوب إفريقي، والهولندي جاك ريجيك (51 عامًا)، والسويدي جوهان فيكتور غوستافسون (26 عامًا)، وقُتل في العملية سائح أميركي من أصل ألماني حاول مقاومة الخاطفين.

كما قاد نبيل مخلوفي هجومًا على حامية عسكرية بمدينة بَاسِكْنُو شرق موريتانيا في الخامس من يوليو/تموز عام 2012، وهو الهجوم الذي أحبطه الجيش الموريتاني، وقتل فيه أربعة من عناصر التنظيم، حسب تصريحات رسمية لقادة التنظيم.

وبعد سيطرة الحركات الإسلامية المسلحة على كبريات المدن في شمال مالي، انتقل نبيل أبو علقمة من جبال "أدْرَار الإِفُوغَاس" في أقصى شمال مالي إلى مدينة تمبكتو التي اتخذ منها مقرًّا لإقامته، بعد أن سيطر عليها يحيى أبو الهمام وعبد الحميد أبو زيد، وتزوج هناك في مايو/أيار عام 2012 من فتاة تنتمي لبطن "أركاكده" من قبائل "كنتة" العربية، لكنه توفي بعد أربعة أشهر من زواجه في حادث سير قرب مدينة "كوسي" بشمال مالي، ليتولى يحيى أبو الهَمَّام إمارة الصحراء بشكل رسمي.

الفصل الثالث

# البنية الهيكلية
# لإمارة الصحراء

كما أسلفنا في الفصل السابق، فإنّ أمير التنظيم في الجزائر "أبو مصعب عبد الودود" حين قرر إرسال يحيى أبو عمار إلى صحراء أزواد لتولي منصب أمير الصحراء بعد عزل مختار بلمختار عنها بداية عام 2007، حمله بقرار يقضي بإنشاء هيكلة تنظيمية جديدة للإمارة، عرفت لاحقًا إضافات عقب توسع التنظيم وسيطرته على كبريات المدن في إقليم أزواد شمال مالي، فكانت تلك البنية الهيكلية مؤلفة من عدد من السرايا والكتائب، سنتعرض لها بالتفصيل فيما يلي:

## كتيبة "الملثمين"

أخذت هذه الكتيبة اسمها من التسمية التاريخية لهذا الجزء من الصحراء الكبرى المعروفة باسم "بلاد الملثمين"، وقد احتفظ مختار بلمختار بقيادتها بعد أن رفض عناصرها إعطاء الولاء لغيره، وتضم في عضويتها أغلب عناصر التنظيم الذين وصلوا مبكرًا إلى صحراء أزواد بداية العشرية الأولى من هذا القرن برفقة بلمختار واحتفظوا له بالولاء، وهم في أغلبهم جزائريون وماليون، إضافة إلى عدد قليل من الموريتانيين والنيجريين، ويتولى قيادة هذه الكتيبة مختار بلمختار، وهو جزائري ينحدر من مدينة غَرْدَايَة جنوب العاصمة الجزائر، من مواليد 1972، سافر سنة 1991 وهو ابن تسعة عشر عاما إلى أفغانستان، وتلقى تدريبات في معسكرات القاعدة بأفغانستان، وهناك فَقَد عينه اليسرى إثر انفجار قنبلة يدوية، فأصبح يعرف في أوساط الإعلام الجزائري بلقبه "الأعور"، وهو اللقب الذي تطور مع الاستخدام لتصبح الباء فيه جزءًا أصليًا من الاسم، ويصبح اللقب "بلعور"، وهو تركيب معروف في الأسماء الجزائرية وفي بعض دول المغرب العربي، من قبيل "بلحاج وبلمختار وبلعباس" إلخ، وقد كنى مختار بلمختار نفسه بكنية "خالد أبو العباس"، دون أن يكون له ابن يحمل اسم العباس، خلافًا لما هو معهود في الكنية.

وفي عام 2008 ولد له ابنه "إبراهيم"، وأصبح بعض رفاقه يكنونه "أبو إبـــراهيم"، لكن كنيته السابقة "خالد أبو العباس" بقيت الأشهر له.

وفي عام 1992 عاد إلى الجزائر عن طريق المغرب بعد اندلاع المواجهات بين الجيش الجزائري والجماعات المسلحة هناك، إثر إلغاء نتائج الانتخابات التي فاز بها الإسلاميون، وتولى قيادة المنطقة الصحراوية في الجماعة الإســـلامية المســـلحة، ثم انشق عنها وانضم للجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية، التي أصبحت لاحقًا تحمل اسم تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.

ويعتبر مختار بلمختار تقريبًا القيادي الوحيد المتبقي على قيـــد الحيـــاة مـــن المجموعة المسؤولة عن اختطاف طـــائرة تابعـــة للخطـــوط الجويـــة الفرنســـية (Air France) في الجزائر العاصمة في ديسمبر/كانون الأول 1994، وهي العمليـــة التي انتهت بمقتل الخاطفين وثلاثة من الركاب، إثر تدخل قوة خاصة من الـــدَّرَك الفرنسي بعد أن حطت الطائرة في مطار مرسيليا يوم 26 ديسمبر/كـــانون الأول 1994. كما يعتبر مختار بلمختار أحد العناصر القلائل الذين يملكون أسرار عمليـــة اختطاف وقتل سبعة رهبان فرنسيين من كنيسة تيبحيرين بالجزائر في عـــام 1996، إذ يعتقد أنه الوحيد الباقي على قيد الحياة، والـــذي يملـــك أســـرار الحـــادثتين الغامضتين. وفي أغسطس عام 2009 أدرج مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة اســـم مختار بلمختار في القائمة الموحدة للأشخاص والمنظمات المرتبطة بالقاعدة[1].

ومن أبرز عناصر كتيبة "الملثمين"، المتحدث باسمها والنائب الأول لأميرهـــا، الحسن ولد خليل المكنى "جُلَيْبِيب"، وهو شاب موريتاني من مواليد عـــام 1984، التحق بتنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال في صحراء أزواد شمال مالي في شهر مارس/آذار عام 2005، وأصبح أحد المقربين من زعيمها بلمختار، قبل أن يتـــولى مسؤولية الإعلام في الكتيبة، ويصبح النائب الأول لأميرها. وقد تولى قيادة كتيبـــة "الملثمين" ما بين شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011 ومـــارس/آذار عـــام 2012 خلال المرحلة الأولى من المعارك مع الجيش المالي، حين كان زعيم الكتيبة مختـــار

---

1 "موجزات سردية لأسباب الإدراج في القائمة".
http://www.un.org/ar/sc/committees/1267/NSQI13603A.shtml

بلمختار موجودًا في ليبيا. ويصف بعض خصوم بلمختار داخل تنظيم القاعدة "جليبيب" بأنه ظله اللصيق، وهو متزوج وله بنت واحدة، وقد أعلن الجيش الفرنسي أنه تمكن من قتل "جليبيب" في عملية خاصة نفذها شمال مالي خلال شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 2002.

كما يعتبر عبد الرحمن النيجري المكنى "أبو دُجانة" أبرز القادة العسكريين في تلك الكتيبة، وهو من مواليد أواخر سبعينات القرن الماضي، وينحدر من إحدى القبائل العربية في النيجر، وقد التحق هو الآخر بالتنظيم في مارس/آذار سنة 2003، بالتزامن مع وصول "جليبيب" إليها، حيث التقيا معًا -حسب ما حدثني جليبيب- في قرية الخليل، وكان كل واحد منهما يبحث عن الكتيبة للالتحاق بها. ويُعرف "النيجري" بكونه رجل المهمات الصعبة؛ حيث شارك في عمليات الاختطاف استهدفت رعايا غربيين في مالي وموريتانيا والنيجر، وقاد المجموعة التي نفذت عملية اقتحام مجمع "تيقنتورين" للغاز في بلدة "عين أمِينَاس" جنوب شرق الجزائر، واحتجزت عشرات الرهائن الغربيين في يناير/كانون الثاني عام 2013، وهي العملية التي انتهت بمقتل الخاطفين ومعظم الرهائن بعد قصف الجيش الجزائري لموقع احتجاز الرهائن واقتحامه، وقد قتل النيجري في تلك العملية، إضافة إلى القائد العسكري البارز في الكتيبة "أبو البراء الجزائري"، وهو ضابط صف سابق في قوات كوماندوز المظليين الجزائريين، تلقى تكوينًا عسكريًّا عاليًا قبل انشقاقه عن الجيش الجزائري وانضمامه للجماعة السلفية للدعوة والقتال.

كما يعتبر الطيب ولد سيدي عالي المكنى "عبد الرحيم الموريتاني" من أبرز عناصر الكتيبة، وكان يعدُّ الرجل الثاني فيها قبل وفاته، وهو موريتاني الجنسية، وقد توفي في حادث سير بجبال الإفوغاس أثناء مرافقته لأمير الكتيبة مختار بلمختار إلى ليبيا في أكتوبر/تشرين الأول عام 2011، وقد ترك بعد وفاته زوجه حاملاً، وُلد لها طفل سمته باسم والده "الطيب"، وقد أطلق التنظيم اسمه (عبد الرحيم الموريتاني) على عملية الهجوم التي نفذتها كتيبة "الموقعون بالدماء" على مجمع الغاز في عين أميناس جنوب الجزائر في يناير/كانون الثاني عام 2013، وتوفي معه في نفس الحادث، إدومو ولد حماه شقيق زوجة بلمختار ومرافقه الخاص، وهو ابن القيادي

البارز في التنظيم عمر ولد حماه، إضافة إلى الجزائري "فيصل"، و"أبو عبد الرحمن فاروق المغربي" و"عمر الأنصاري" و"مقرن" وغيرهم.

وقد نفذت كتيبة "الملثمين" عدة عمليات كان هدفها اختطاف عدد من الأجانب بينهم المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى النيجر الكندي رُوبرْت فَاوْلر ومساعده السفير السابق لكندا في الغابون لويس غَـوَاي، اللذين اختطفا من النيجر في شهر ديسمبر/كانون الأول عام 2008، وتم الإفراج عنهما بعد أزيد من أربعة أشهر من الاحتجاز، مقابل إطلاق سراح عدد من عناصر التنظيم كانوا في السجون المالية، ودفع فدية مالية للخاطفين.

كما قام عناصر من الكتيبة باختطاف فرنسيين اثنين في العاصمة النيجيرية نيامي مطلع عام 2011، انتهت بقتلهما أثناء محاولة وحدة خاصة من القوات الفرنسية بدعم من الدَّرَك النيجري تحريرهما، كما قاد مختار بلمختار عمليات عسكرية عديدة من أبرزها هجوم على حامية للجيش الموريتاني ببلدة "لمغيطي" شمال البلاد، في الرابع من يونيو/حزيران عام 2005، أسفر عن مقتل سبعة عشر عسكريًّا موريتانيًّا، وعملية أخرى ضد وحدة من الجمارك الجزائرية سنة 2007 أسفرت عن مقتل 12 جمركيًّا جزائريًّا، كما نفذت كتيبة "الملثمين" عملية اختطاف استهدفت ثلاثة عمال إغاثة إسبان داخل الأراضي الموريتانية كانوا ضمن قافلة إغاثة في طريقها إلى السنغال، نهاية شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 2009.

وقد تميزت علاقات قائد كتيبة "الملثمين" مختار بلمختار بالتوتر مع باقي قادة تنظيم القاعدة ببلادِ المغرب الإسلامي، ويقول مقاتلون سابقون في التنظيم: إن بلمختار لم يكن أصلاً راضيًا عن تنصيب عبد الملك دُوركدَال المكنى "أبو مصعب عبد الودود" أميرًا لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وكان يعتبر نفسه أحق بإمارة التنظيم منه، باعتباره أحد أقدم المقاتلين في التنظيم، وصاحب تجربة "جهادية" في أفغانستان، لكنه قَبِل بيعته والدخول تحت إمارته، بعد أن بايعه جميع قادة المناطق والسرايا، وأقر مجلس أعيان الجماعة السلفية للدعوة والقتال بتنصيبه. وقد تفاقمت الخلافات بين الرجلين سنة 2007 حينما عزل دُوركدَال "بلمختار" عن منصب أمير إمارة الصحراء، وأبقى عليه أميرًا لكتيبة "الملثمين"، وأمَّر عليه يحيى

جوادي. وفي نهاية عام 2012 بلغت الخلافات أَوْجَهَا بين الرجلين، فأصدر دُوركدَال قرارًا بعزل مختار بلمختار عن إمارة كتيبة "الملثمين"، وعرض التنظيم على نائبه الحسن ولد خليل المكنى "جُلَيْبيب" أن يكون أميرًا على الكتيبة، لكن "ولد خليل" ومعظم عناصر الكتيبة رفضوا قرار عزل بلمختار، وكان "جليبيب" أكثر رفضًا للقرار من بلمختار نفسه، بل إنه حين سألتُه عن الموضوع وحقيقة العرض الذي قُدِّم له ليكون "أميرًا" لكتيبة "الملثمين"، ردَّ قائلاً: إن هذا الأمر من السخف؛ إذ لا يستحق النقاش ولا الحديث فيه. ورفض حتى مجرد الخوض فيه، قائلاً: إن أفضل رد عليه ما قام به بلمختار من فك الارتباط مع قيادة القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي. وكان "جليبيب" دائمًا يُلقِّب بلمختار خلال حديثه عنه بلقب "والدي" و"أبي"، في إشارة إلى المكانة التي يحتفظ له بها.

وقد قام أمير الصحراء يحيى أبو الهمام برفقة بعض أمراء السرايا والكتائب في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، بزيارة لمدينة غاوا التي كان مختار بلمختار يقيم فيها مع عناصر كتيبته، في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 2012؛ وذلك لتنفيذ قرار عزل بلمختار عن إمارة كتيبة "الملثمين" وتنصيب خلف له، لكنهم واجهوا رفضًا من معظم عناصر الكتيبة، وتوترت الأمور بينهم وبين عناصر الكتيبة، وكادت تتطور إلى احتكاكات بين الطرفين، فقرَّر أبو الهمام أن يغادر غاوا على جناح السرعة، ويعود إلى معقله في مدينة تمبكتو؛ تجنبًا للصدام، واصطحب معه بعض عناصر كتيبة "الملثمين" الذين رفضوا البقاء مع بلمختار إثر قرار عزله، بينما احتفظ أغلب العناصر خصوصًا من القدماء بولائهم لـ "بلمختار" ومعهم عناصر حركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية، التي سنتحدث عنها لاحقًا.

## بلمختار يعلن انشقاقه عن القاعدة

بعد قرار عزل مختار بلمختار عن إمارة كتيبة "الملثمين"، ومحاولة يحيى أبو الهمام تنفيذ القرار على أرض الواقع، جاء رد بلمختار حاسمًا، فقرر فك الارتباط نهائيًّا مع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي والانشقاق عنه، مع الاحتفاظ بالولاء لتنظيم القاعدة الأم في أفغانستان بقيادة أيمن الظواهري، وقد ترافق انشقاق

"الملثمين" عن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، مع إعلان قائدها بلمختار عن تأسيس كتيبة جديدة تابعة له تحمل اسم "الموقعون بالدماء" وهي كتيبة من الانتحاريين، أُعلن عنها ضمن التحضير للحرب التي كانت فرنسا ومالي ودول غرب إفريقيا تحضر لها؛ لطرد الحركات المسلحة من أزواد، وإعادته إلى سيادة الدولة المالية.

كما ارتبط مختار بلمختار خلال وجوده في صحراء أزواد بعلاقات مع بعض الشخصيات النافذة في دولة مالي، بمن في ذلك الرئيس المالي السابق أمادو توماني توري، الذي كان يشترك معه في مصاهرة قبائل البرابيش، ويقول قياديون في التنظيم: إن بلمختار اتصل ذات مرة هاتفيًّا على الرئيس أمادو توماني توري، إبَّان التحضير لصفقة الإفراج عن المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى النيجر الكندي روبرت فاولر، ومساعده لويس غواي اللذين اختطفا من النيجر في ديسمبر/كانون الأول عام 2008، وطلب بلمختار من توماني توري الإفراج عن أحد عناصر التنظيم المعتقلين لدى السلطات المالية وهو إدريس ولد يرب المكنى "أبو إسحاق الشنقيطي"، كبادرة حسن نيَّة لإكمال المفاوضات. وقد استجاب الرئيس المالي لطلب بلمختار، وأمر بإطلاق سراح إدريس ولد يرب؛ تمهيدًا لصفقة الإفراج عن الرهينتين الكنديين بعد ذلك بعشرة أيام مقابل ثلاثة عناصر آخرين من التنظيم هم: الطيب ولد سيدي عالي المكنى "عبد الرحيم الموريتاني"، وحماد ولد محمد الخيري المكنى "القعقاع الموريتاني"، وبلقاسم زاويدي المكنى "أبو أسامة الجزائري".

وفي أكتوبر/تشرين الأول عام 2011 غادر مختار بلمختار معاقل كتيبة "الملثمين" متوجهًا إلى ليبيا، في رحلة استهدفت تشكيل وتعزيز الخلايا الجهادية النائمة هناك، ومحاولة ربط الصلة بها، إضافة إلى تنصيب خلايا تابعة له في تلك المنطقة، وزار بعض المناطق في جنوب وشرق ليبيا، وقد اصطحب معه مجموعة من قادة وعناصر كتيبته، إضافة إلى زعيم حركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية الأمين بشنب المكنى "الطاهر أبو عائشة"، الذي قُتل في عملية عين أميناس في يناير/كانون الثاني عام 2013، واستخلف بلمختار على قيادة كتيبته مسؤول

الإعلام حينها في إمارة الصحراء التابعة لتنظيم القاعدة ببلاد المغـــرب الإســـلامي ورجل الثقة لديه، الحسن ولد اخليل. وقد بدأت معارك الحركات المسلحة ضـــد الجيش المالي في ظل غياب بلمختار إلى ليبيا، وكان خليفتـــه "جليبيـــب" يتـــولى التنسيق مع جماعة أنصار الدين وحركة التوحيد والجهاد التي ساءت علاقتها بداية مع التنظيم بشكل كبير؛ بسبب انشقاقها عنه قبل أن تقودهما وحدة الهدف -وهو الهيمنة على أزواد وإخضاعه للسيطرة السلفية الجهادية- علـــى التوحـــد ونبـــذ الخلافات.

وفي نهاية شهر مارس/آذار عام 2012 عاد مختار بلمختار إلى صـــحراء أزواد؛ ليشارك في قيادة معارك السيطرة على إقليم أزواد، خصوصًا مدينـــة غـــاوا الـــتي دخلتها كتيبته في رفقة جماعة التوحيد والجهاد بغرب إفريقيا، كما رافق بلمختـــار زعيم جماعة أنصار الدين إياد أغ أغالي خلال جولة قام بها هذا الأخـــير في مـــدن كيدال وتمبكتو وغاوا ومعظم مناطق أزواد بعد سيطرة الحركات السلفية المسلحة عليها، قبل أن يستقر في غاوا مع جماعة التوحيد والجهاد بغرب إفريقيـــا، والـــتي أسس معها قيادة مشتركة تحت اسم "مجلس شورى المجاهدين"، وانتشرت عناصر كتيبته في بعض التجمعات السكانية القريبة من غاوا، وقد قابلـــتُ شخصـــيًّا في مايو/أيار عام 2012 مجموعتين تابعتين له في مدينة بوريم على بُعد 90 كلم غـــرب مدينة غاوا، إحداهما يقودها أبو البراء الجزائري وكانت تعسكر في مقـــر حـــاكم المدينة، أما الثانية فيقودها "الأنصاري" وهو من طوارق مالي، وكانت تعسكر في مقر قيادة الدَّرَك المالي بالمدينة.

وفي يونيو/حزيران عام 2012 استغل مختار بلمختار إشكالاً وقع بين بعـــض سكان مدينة غاوا من الزنوج السونغاي وبين عناصر الحركـــة الوطنيـــة لتحريـــر أزواد، وذلك في محاولة لاستقطاب السكان الزنوج. وقد وقع الإشكال بعـــد أن اتهم بعض سكان المدينة من السونغاي عناصر من الحركة الوطنية لتحريـــر أزواد بقتل أحد مثقفي المدينة، وهو مدير مدرسة مناهض لاستقلال إقلـــيم أزواد عـــن مالي، بعد نقاش حاد معه. وصبيحة يوم 26 يونيو/حزيران 2012 نظم العشـــرات من شباب قومية السونغاي مظاهرات احتجاجية وسط المدينة، وتوجهوا إلى مقـــر

والي المدينة الذي تتخذ منه الحركة الوطنية مقرًّا لرئاسة المجلس الانتقالي الأزوادي الذي أعلنت عنه، فأطلق عليهم عناصر الحركة الوطنية النار حيث سقط قتلى وجرحى في صفوف المتظاهرين، ساعتها قرر بلمختار المتحالف مع جماعة التوحيد والجهاد بغرب إفريقيا اقتناص الفرصة، في محاولة لخطب وُدِّ السكان الزنوج على حساب الحركة الوطنية لتحرير أزواد، فتدخلت عناصره لحماية المدنيين المتظاهرين بعد مقتل اثنين منهم وإصابة آخرين برصاص مسلحي الحركة الوطنية، ووفّر مقاتلو "التوحيد والجهاد" و"الملثمين" حماية للمتظاهرين وسط المدينة من قنّاصة الحركة الوطنية. وفي اليوم التالي طالب بلمختار وحلفاؤه من الحركة الوطنية تسليمهم من أطلقوا النار على المدنيين الزنوج لمحاكمتهم أمام "القاضي الشرعي" الذي يتبع لهم[1]، وتحوَّل الأمر إلى احتكاك بين عناصر الحركة الوطنية والمسلحين الإسلاميين، تطور إلى مواجهات عنيفة في شوارع مدينة غاوا، استخدمت فيها الأسلحة الثقيلة والمتوسطة، استمرت عدة ساعات، وانتهت بطرد عناصر الحركة الوطنية من المدينة بعد قتل وإصابة عدد منهم، بينهم الأمين العام للحركة ورئيس المجلس الانتقالي الأزوادي بلال أغ الشريف الذي أصيب في تلك المواجهات ونقل إلى بوركينا فاسو لتلقي العلاج، كما قُتل في تلك المواجهات القائد العسكري في الحركة الوطنية العقيد بون أغ الطيب. وفي اليوم التالي قصف مقاتلو كتيبة "الملثمين" و"جماعة التوحيد والجهاد" مطار مدينة غاوا، وطردوا عناصر الحركة الوطنية منه، وقد سارع بلمختار بعد تلك الاشتباكات مباشرة إلى إصدار بيان تضمَّن روايته لتلك الأحداث، كما سعى من ورائه لنفي شائعة أطلقتها الحركة الوطنية عن مقتله خلال المواجهات.

وبعد سيطرة الحركات المسلحة على أزواد، تفاقمت الخلافات بين مختار بلمختار وأمير الصحراء –حينها وكالةً– نبيل مخلوفي، الذي كان يقيم في مدينة تمبكتو مع الخصمين اللدودين لبلمختار (يحيى أبو الهمام، وعبد الحميد أبو زيد)،

---

1 "بلمختار يروي تفاصيل مواجهة غاوا.. ويدعو شرفاء حركة تحرير أزواد إلى التشاور".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=18759

وتطورت تلك الخلافات إلى أن اتخذ أمير تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي عبد الملك دوركدال في شهر سبتمبر/أيلول عام 2012 قرارًا بعزل بلمختار من قيادة كتيبة "الملثمين" نهائيًّا، إلا أن الوفاة المفاجئة لأمير الصحراء وكالةً نبيل مخلوفي، في حادث سير بأزواد أجَّل إعلان القرار إلى غاية شهر أكتوبر/تشرين الأول، حيث أبلغت قيادة القاعدة مختار بلمختار بقرار عزله نهائيًّا عن إمارة كتيبة "المثلمون"، وهو القرار الذي رفضه بلمختار، وأدى إلى انشقاقه مع معظم عناصر كتيبته عن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.

وقد سعى مختار بلمختار بعد انفصاله عن تنظيم القاعدة إلى تشكيل قيادة موحدة للحركات السلفية المسلحة في أزواد تحت مسمى "مجلس شورى المجاهدين"، وأصدر أول بيان باسم هذا المجلس في أكتوبر/تشرين الأول عام 2012 أعلن فيه عزم المجلس القصاص لمجموعة من عناصر جماعة الدعوة والتبليغ الموريتانيين قتلهم الجيش المالي في بلدة جبالي وسط البلاد في شهر سبتمبر/أيلول عام 2012، ووقَّع البيان باسم التنظيمات الجهادية في أزواد (الملثمون، وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وجماعة أنصار الدين، والقاعدة ببلاد المغرب الإسلامي)، لكن جماعة أنصار الدين نفت على لسان الناطق باسمها سنده ولد بوعمامة أي علاقة لها بمجلس شورى المجاهدين، كما نفى أمير الصحراء في تنظيم القاعدة يحيى أبو الهمام –خلال مقابلة أجريتها معه بعد أيام من الإعلان عن ميلاد مجلس "شورى المجاهدين"– أيَّ علم له بهذا المجلس، لكن "الملثمون" و"التوحيد والجهاد" أعلنتا تمسكهما بالمجلس، واستمرارهما في العمل تحت رايته.

ورغم أن بلمختار يوصف بأنه واحد من أخطر قادة القاعدة والجماعات المسلحة في الساحل والصحراء، إلا أنه يُصنَّف كأحد قادة "الحمائم" في التنظيم، مقارنة مع غريميه عبد الحميد أبو زيد ويحيى أبو الهمام اللذين يوصفان بـ "الصقور"؛ لفرط راديكاليتهما.

وقد نفذت "جماعة الملثمين" بعد انفصالها عن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي ثلاث عمليات وصفت بالنوعية، كانت أولاها في بلدة عين أميناس جنوب الجزائر في شهر يناير/كانون الثاني عام 2013، وهي العملية التي احتجز

فيها عناصر التنظيم عشرات الأجانب في مجمع "تيقنتورين" للغاز، وانتهت باقتحام الجيش الجزائري للمصنع، وقتل جميع المسلحين أو معظمهم مع رهائنهم.

وكان التحضير لهذه العملية قد بدأ مبكرًا، حتى قبل بدء العملية الفرنسية الإفريقية ضد الجماعات الإسلامية المسلحة، فقد عمد مختار بلمختار في كلمة مصوَّرة وزعها التنظيم بداية شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 2012 إلى اتهام الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، وكبار الجنرالات في البلد بالتآمر مع فرنسا لشن حرب على أزواد، مذكرًا باحتضان الأزواديين للرئيس بوتفليقة أيام كان ينشط في الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. وقد علمتُ بعد الهجوم من نائب بلمختار حينها "جليبيب"، أن الفقرة التي خصصت للجزائر في تلك الكلمة المصورة، كانت تحمل إشارات تمهيدية للتحضير للعملية المذكورة، وبعد اندلاع الحرب الفرنسية ضد الجماعات الإسلامية المسلحة في شمال مالي، نشرت صحف فرنسية معلومات عن سماح الجزائر للطائرات الفرنسية بعبور أجوائها لقصف أهداف في عمق أزواد، وهو ما برَّر به بلمختار هجومه على عين أميناس.

وقد خطط للعملية بشكل محكم، وشارك فيها أكثر من ثلاثين عنصرًا ينتمون لكتيبة "الموقعون بالدماء"، وينحدرون من الجزائر ومالي وتونس ومصر وموريتانيا وكندا ونيجيريا والنيجر، وقد تمكنوا من التسلل إلى الصحراء الجزائرية عبر النيجر -حسبما علمتُ من جليبيب- على متن ثلاث سيارات رباعية الدفع، ووصلوا إلى مركب تيغونتورين الغازي في بلدة عين أميناس، واقتحموا المركب الصناعي، وانقسموا إلى مجموعتين: إحداهما يقودها أبو البراء الجزائري، وبمعيَّة زعيم حركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية الأمين بشنب المكنى "الطاهر أبو عائشة"، وتوجهتْ إلى مقر إقامة العمال المعروف باسم "قاعدة الحياة"، بينما توجهت المجموعة الثانية التي يقودها أمير المجموعة النيجري عبد الرحمن المكنى "أبو دجانة" إلى المصنع. وأعلن الخاطفون عبر اتصالات مع وسائل الإعلام أنهم تمكنوا من احتجاز 41 رهينة من الأجانب العاملين في المصنع بينهم أميركيون وفرنسيون ويابانيون وبريطانيون ونرويجيون وجنسيات أخرى، أغلبهم باغتهم الخاطفون وهم في مقر إقامة العمال، بينما تمكنت المجموعة التي توجهت إلى المصنع من احتجاز

سبعة أجانب كانوا بداخله. وزوال اليوم الأول حاولت المجموعة التي يقودها "أبو البراء" نقل الرهائن المحتجزين لديها من مقر الإقامة إلى المصنع بواسطة خمس سيارات رباعية الدفع تابعة للشركة، وأثناء محاولتهم الخروج من "قاعدة الحياة" قصفتهم المروحيات الجزائرية، فدمرت أربعًا من السيارات، وقتلت 15 من الخاطفين، بينهم قائد المجموعة "أبو البراء الجزائري" ومساعده الأمين بشنب، ولقي 34 رهينة مصرعهم في القصف، بينما نجت سيارة خامسة من القصف، وتمكّن بعض ركابها من الهروب، بينما سيطر الخاطفون على بعضهم. وبرّرت الحكومة الجزائرية حينها قصفها للسيارات التي تقلٌ الخاطفين والرهائن بالقول: إن الخاطفين كانوا ينوون المغادرة برهائنهم إلى داخل الأراضي المالية، ويتخذون منهم دروعًا بشرية. أما المجموعة التي يوقدها عبد الرحمن النيجري فتمكنت من الاحتفاظ برهائنها داخل المصنع، في حين أطبق الجيش الجزائري الحصار على المصنع، رافضًا الاستجابة لمطالب الخاطفين. وأثناء عملية احتجاز الرهائن أصدر مختار بلمختار من مخبئه في شمال مالي شريطًا مصورًا أعلن فيه استعداده لمبادلة الرهائن المحتجزين في عين أميناس بكل من الشيخ عمر عبد الرحمن والعالمة الباكستانية عافية صديقي المعتقلين في الولايات المتحدة الأميركية بتهم تتعلق بالإرهاب، كما طالب بالشروع في مفاوضات من أجل وقف الحرب التي بدأت ضد الجماعات الإسلامية المسلحة في شمال مالي.

وقد انتهت العملية بعد أربعة أيام باقتحام القوات الخاصة الجزائرية للمصنع، وأسفرت عن قتل معظم الرهائن، و29 من الخاطفين، بينما أعلنت الحكومة الجزائرية أنها اعتقلت ثلاثة منهم، لم تكشف عن هوياتهم، ومن أبرز المشاركين في العملية قائدها عبد الرحمن النيجري المكنى "أبو دجانة"، وهو من عرب النيجر، ونائباه أبو البراء الجزائري والأمين بشنب زعيم حركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية، والموريتاني عبد الله ولد احميده المكنى "الزرقاوي"، والكندي انكريستوس كاتسير، وعلي مدلج، والمصريان "أبو هاجر" و"البتار"، والتونسيان "عزام" و"أنيس".

وقد شكل هجوم عين أميناس محطة فاصلة في الصراع مع الجماعات الإسلامية المسلحة، حيث تمكّن بلمختار بواسطته من توجيه رسالة قوية مفادها أنه

قادر على الضرب بقوّة، أينما أراد ذلك. كما شكلت صفعة للاقتصاد الجزائري الذي يعتمد أساسًا على صناعة النفط والغاز، حيث توقف المصنع عن الإنتاج، وتكبدت الخزينة الجزائرية خسائر تُقدّر بملايين الدولارات.

غير أن العارفين بحقيقة الجماعات المسلحة في شمال مالي يرون أن بلمختار وإن كان نجح في إرسال رسالة شديدة اللهجة للدول المتحالفة مع فرنسا، إلا أن هذه الرسالة كلفته ثمنًا باهظًا؛ حيث خسر عددًا من خيرة رجاله، فقد كان قادة الكوماندوز الذين نفذوا العملية من أبرز قادة كتيبة الملثمين، وعناصرها المحترفين الذين كان بلمختار يعوِّل عليهم في المواجهة التي بدأت مع الفرنسيين.

أما العملية الثانية التي نفذتها كتيبة "الموقعون بالدماء" بعد انفصال قائدها بلمختار عن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، فكانت في شهر مايو/أيار عام 2013 بالاشتراك مع جماعة التوحيد والجهاد بغرب إفريقيا، واستهدفت مركبًا صناعيًّا لاستخراج اليورانيوم تابعًا لشركة "آريفا" الفرنسية في مدينة "آرليت" بشمال النيجر، وأكاديمية عسكرية للجيش النيجري في مدينة "آغاديز" الواقعة هي الأخرى في شمال البلاد، وهي العملية التي نُفذت بواسطة سيارتين مفخختين وعدد من الانتحاريين من كتيبتي "الموقعون بالدماء" التابعة لجماعة الملثمين، وكتيبة "الاستشهاديون" التابعة لجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا. وقد أشرف بلمختار نفسه على التخطيط لتلك العملية، وواكب آخر مراحل تنفيذها، وأطلق عليها اسم "غزوة الشيخ عبد الحميد أبو زيد" وهو قيادي في القاعدة قُتل في شهر فبراير/شباط عام 2013 خلال مواجهات مع القوات التشادية والفرنسية شمال مالي، وشارك في العملية عشرة مسلحين من تونس والسودان والصحراء الغربية ومالي والمغرب، وقتلوا جميعًا في العملية، وهم: محمد هاشم عبد الحميد المكني "أبو عبد الله السوداني"، ومحمد المحظي المكنى "فاروق التونسي"، وأسامة عكار المكنى "مهند التونسي"، وكمال عبد الله المكنى "أبو علي النيجري"، وأبو بكر ولد محمد الحسن المكنى "جعفر الصحراوي" و"سلمان الصحراوي" و"خبيب الأنصاري" و"جعفر الأنصاري" و"محمد الأنصاري" وهم من من طوارق مالي، و"منتصر" المغربي.

وكانت العملية نوعية واستعراضية هي الأخرى؛ حيث استهدفت مصالح فرنسية عبر ضرب مصنع استخراج اليورانيوم التابع لشركة آريفا الفرنسية، فضلاً عن الأكاديمية العسكرية النيجيرية؛ عقابًا للحكومة النيجرية على مشاركتها في الحرب ضد الجماعات الإسلامية المسلحة في شمال مالي.

كما قامت جماعة "الملثمين" في الأول من شهر يونيو/حزيران عام 2013 بتنفيذ عملية استهدفت السجن المركزي بالعاصمة النيجرية نيامي، وأسفرت عن تهريب 30 سجينًا من عناصر الجماعات الإسلامية المسلحة، من جنسيات مختلفة بينها السودان، والنيجر، ونيجيريا، ومالي، ومن أبرز السجناء الذين تم تهريبهم في تلك العملية الحسن ولد محمد الملقب "الشيباني" المتهم بقتل أربعة سياح سعوديين في هجوم قرب الحدود المالية النيجرية نهاية عام 2009، وقد اعتقل بعد ذلك في شمال مالي وسُلِّم إلى النيجر.

وعشية اندلاع الحرب التي قادها فرنسا وبعض الدول الإفريقية بداية عام 2012 لطرد الحركات الإسلامية المسلحة من أزواد، وإعادة سيطرة الحكومة المالية عليه، سارعت الجماعات الإسلامية المسلحة إلى الانسحاب من المدن، مبرِّرة ذلك بالقول إنه انسحاب تكتيكي؛ لتفادي تكلفة حرب المدن الباهظة، ولتجنيب المدنيين ويلات المواجهات داخل مدنهم، وقصف الطيران الفرنسي الذي استهدف مدن تمبكتو وغاوا وكيدال وبعض التجمعات السكنية الأخرى خلال الأيام الأولى للحرب، وتوجهت تلك الحركات بقواها شمالاً إلى الصحراء والجبال، والغابات المحاذية لضفة نهر النيجر. وكما كانت تلك الحركات تتوزع السيطرة سابقًا على الإقليم، عمدت إلى توزيع نشاطاتها العسكرية ضد الفرنسيين وحلفائهم وفقًا لنفس التوزيع الجغرافي، وإن كانت كلها اتخذت لها مراكز خلفية في جبال أدرار الإفوغاس في أقصى الشمال، لكنها احتفظت بنشاطاتها في مناطق سيطرتها السابقة.

وفي هذا السياق أسندت مهمة المواجهة في مدينة غاوا والمناطق التابعة لها إلى حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وجماعة الملثمين، وهما الجماعتان اللتان كانتا تسيطران على المدينة والمناطق التابعة لها، وقد فقدت الحركتان عددًا من

قادتهما وعناصرهما في تلك المواجهات؛ حيث قتل الرجل الثاني في جماعة الملثمين -كما أعلن الفرنسيون- الحسن ولد اخليل المكنى "جليبيب الموريتاني" في عملية خاصة للقوات الفرنسية شمال مدينة تساليت، إضافة إلى عناصر آخرين قتلوا في عمليات متفرقة، من بينهم: أحمد ولد المختار ولد أمين الموريتاني، والغوث الغلاوي المكنى "يونس الشنقيطي"، ومحمد محمود ولد السالك البربوشي الأزوادي المكنى "أبو مجاهد الأنصاري"، ومحمد سالم ولد عبد الله المكنى "عكرمة الصحراوي"، وزياد الصفاقصي التونسي، وشريف حطاب المكنى أبو عبيدة المصري، ومحمود الصعيدي المكنى "أبو بصير المصري"، وأبو عبيدة الأنصاري من عرب أزواد، وأبو ذر الشنقيطي، والمختار الأزوادي، والقعقاع الأزوادي، وأبو عبد الرحمن المصري، وأبو عبيدة الأنصاري من عرب أزواد، وعماد الدين محمود موسي المكنى "الشيخ أبو حازم السوداني"، وأحمد حسن عثمان الشهير بلقب "البرلوم" من السودان، وإبراهيم السكري السوداني، وإبراهيم موسي محمد المكنى "أبو خديجة السوداني"، وهو من قادة جماعة "دعاة الشريعة" السودانية، التي أصدرت تسجيلاً مشهورًا تحت عنوان "البرهان على ردة حكومة السودان"، وأحمد عباس السوداني، ومحمد الشبلي السوداني، وخبيب حسن سعدون السوداني.

وفي نهاية شهر أغسطس/آب عام 2013 أعلن مختار بلمختار عن حل جماعة الملثمين واندماجها مع جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا في تنظيم واحد يحمل اسم "المرابطون"، وحدد مجال عملها بشمال إفريقيا (من النيل إلى المحيط)، كما أكد تبعيتها فكريًّا وتنظيميًّا واستراتيجيًّا لتنظيم قاعدة الجهاد في أفغانستان.

## كتيبة "طارق بن زياد"

عند تأسيسها بداية عام 2007 تولى قيادتها الجزائري عبد الحميد أبو زيد، واسمه الحقيقي محمد بن مبروك بن الساسي بن غدير من قبيلة الشعانبة في جنوب الجزائر، وكان من أكبر قادة التنظيم في أزواد سنًّا، حيث ناهز الستين من العمر، كما يعتبر الأكثر راديكالية بينهم، وقد وصل إلى صحراء مالي سنة 2003 في رفقة أمير المنطقة الخامسة في تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية عمار

الصايفي المكنى "عبد الرزاق البَارَا" (ضابط مظلي سابق في القوات الخاصة الجزائرية)، بعد أن اختطفا مع عدد من المقاتلين أكثر من ثلاثين سائحًا غربيًّا من جنوب الجزائر، ولجؤوا بهم إلى صحراء أزواد في شمال مالي، قبل أن تنتهي تلك الأزمة بدفع أموال طائلة من طرف حكومات الرهائن للخاطفين مقابل تحريرهم. لكن عبد الرزاق البَارَا غادر شمال مالي في بداية عام 2004 في رحلة استكشافية؛ بحثًا عن موطن أكثر أمنًا وأسهل حياة في الصحراء الكبرى، يتخذ منه مقاتلو التنظيم قاعدة خلفية يركنون إليها في حال ضُيِّق عليهم الخناق في الجزائر وشمال مالي، وسعيًا كذلك وراء توسيع منطقة تحرك تنظيمه، وبعد وصوله إلى صحراء تشاد، وقع في قبضة عناصر "الحركة من أجل العدالة والديمقراطية" المتمردة في تشاد، وتم تسليمه مع عدد من مقاتليه إلى الجزائر لاحقًا بوساطة ليبية.

وكان البارا حين غادر شمال مالي قد استخلف عبد الحميد أبو زيد على إمارة المجموعة المتبقية من مقاتليه في صحراء أزواد؛ ليشكلوا بعد ذلك نواة لما عُرف لاحقًا باسم "كتيبة طارق بن زياد"، وأطلقوا على أنفسهم في البداية اسم "الفاتحون"؛ إذ يعتبرون هم مَن فتح صحراء أزواد شمال مالي أمام عناصر تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال، بعد أن قرروا الاستقرار بها. وقد أقام أبو زيد في صحراء أزواد قرابة عشر سنوات، أكثر من ثلاث سنوات منها (ما بين النصف الثاني من 2003 وبداية 2007) قضاها تابعًا لإمارة المنطقة الخامسة في تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال، قبل أن تتحوَّل سريته إلى كتيبة تحمل اسم "طارق بن زياد"، وتلتحق سنة 2007 بالمنطقة الصحراوية، المعروفة باسم إمارة الصحراء، وقد شكَّل وجوده مع رجاله في صحراء أزواد دون أن يكون تابعًا لإمارتها خلال السنوات الأولى - عاملَ توتر وإزعاج لأميرها مختار بلمختار، حيث كان أبو زيد يتحرك في تلك الصحراء كيف يشاء دون أن يكون خاضعًا لبلمختار، وكان هذا الأخير يرى فيه غلظة وفظاظة قد تضر بمساعيه لاحتواء سكان أزواد وخطب وُدِّهم، وربط علاقات مع الفاعلين الاجتماعيين والمهربين والتجار هناك.

وقد أدى ذلك إلى توتر في العلاقة بينهما كادت أن تتطور أحيانًا إلى احتكاك بينهما، وفشلت محاولات ترتيب لقاء مصالحة بين الرجلين سنة 2004، وإن كانا

قد تقابلا أكثر من مرة، حسب ما علمتُ من بعض عناصر التنظيم، وقد شاهدت جانبًا من أحد اللقاءات بينهما في فيلم مصور لدى جماعة الملثمين، لكنها كانت لقاءات عابرة، عمَّقت الخلاف أكثر مما جبرت الصدع، وهو ما دفع بقيادة الجماعة السلفية للدعوة والقتال إلى الإسراع سنة 2007 بإرسال أمير جديد للصحراء (يحيى جوادي)؛ ليكون أميرًا على الجميع هناك بمن فيهم مختار بلمختار وعبد الحميد أبو زيد، إلا أن موقف يحيى جوادي كان على غرار موقف قيادة الجماعة في الجزائر أقرب إلى أبي زيد، فكان وجوده في الصحراء تغذية للصراع لا حلاً له.

وتضم "كتيبة طارق بن زياد" عددًا من الماليين والموريتانيين والنيجريين، إضافة إلى المقاتلين الجزائريين، ونفذت عمليات عديدة من أبرزها "عملية الشَّبابة" في جنوب الجزائر التي قُتل فيها 14 جمركيًّا جزائريًّا، وانتهت باستيلاء التنظيم على عدد من السيارات والأسلحة.

ويُعرف عن أمير "كتيبة طارق بن زياد" عبد الحميد أبو زيد بأنه الأكثر راديكالية وتشددًا بين قادة القاعدة في الساحل والصحراء، وإليه تنسب عملية خطف وقتل الرهينة البريطاني إدْون دَاير مطلع شهر يونيو/حزيران عام 2009، بعد أن رفضت الحكومة البريطانية تلبية مطلب الخاطفين المتمثلة في الإفراج عن الناشط السلفي الفلسطيني "أبو قتادة" المعتقل حينها في السجون البريطانية، كما قام أبو زيد باختطاف زوجين نمساويين في الصحراء جنوب تونس في شهر فبراير/شباط عام 2008، وأفرج عنهما لاحقًا بفدية مالية، ويعتبر عبد الحميد أبو زيد المسؤول المباشر عن اختطاف سبع رهائن فرنسيين من مصنع تابع لشركة "أريفيا" الفرنسية في أحد مناجم اليورانيوم بشمال النيجر في شهر سبتمبر/أيلول عام 2010.

وقاد أبو زيد إلى جانب زميليه عبد الحق أبو الخباب ويحيى أبو الهمام، مواجهات مع ميليشيات عربية في أزواد، تأسست إثر قيام عناصر القاعدة باغتيال الضابط العربي في الجيش المالي "لمانة ولد ابو" في منزله وسط مدينة تمبكتو في يونيو/حزيران عام 2009 (سنعود إلى تفاصيل حادثة مقتله لاحقًا عند الحديث عن سرية الفرقان)، وقد ضمت تلك الميليشيات عناصر من قبائل "البرابيش" التي ينتمي

إليها الضابط لمانة ولد ابو، فضلاً عن عناصر من الجيش المالي، وقادها العقيد حمه ولد محمد يحيى، وهو ضابط عربي في الجيش المالي، وكان برفقته ابن عمه شامة ولد بده، وكلاهما من أبناء عمومة الضابط المقتول، إضافة إلى القائد العسكري السابق في الجبهة العربية الأزوادية إبراهيم ولد حنده، وقد اشتبكت تلك الميليشيات مع عناصر القاعدة مرتين، كانت أولاهما يوم 15 يونيو/حزيران 2009، وانتهت بانسحاب مقاتلي القاعدة من أرض المعركة، لكن قادة الميليشيات العربية أصروا على مواصلة القتال ضد القاعدة، فكان الاشتباك الثاني الذي حصل يوم 17 يونيو/حزيران 2009، وفي هذه المعركة التي عُرفت باسم معركة "ازبار"، تمكن مقاتلو تنظيم القاعدة من مباغتة الميليشيات والقوات المالية، وانتهت المواجهات بمقتل قائدي الميليشيات العقيد حمه ولد محمد يحيى، وشامة ولد بده، ومعهما عدد من عناصر الميليشيات العربية والقوات المالية، وانسحب باقي عناصر الميليشيات. وقد علمتُ من أحد عناصر تلك الميليشيات أن الفرنسيين كانوا يساعدون الميليشيات العربية في مواجهتها مع القاعدة بإعطائها نقاط تمركز عناصر تنظيم القاعدة وتحركاتهم في الصحراء؛ حيث كانت المخابرات الفرنسية ترصد تحركات القاعدة عن طريق طائرات الاستطلاع، وصور الأقمار الاصطناعية، وتُطلع السلطات المالية عليها، في حين يقوم الماليون بإبلاغ العقيد حمه ولد سيدي أحمد بتلك المعلومات.

وقد عرض تنظيم القاعدة بعد ذلك بأشهر شريطًا مصورًا تضمن بعضًا من وقائع تلك المعركة والقتلى الذين سقطوا فيها، حيث فَقَد تنظيم القاعدة في تلك المعركة أحد عناصره ويدعى محمد سالم ولد اميسة ولد الكيحل، المكنى "النعمان"، والملقب باسم "محمد سالم الزعتر" نسبة إلى حي "تل الزعتر" في شرق العاصمة الموريتانية نواكشوط، حيث كان يقيم مع أسرته، ويعمل في مجال البناء. وقد حدثني أحد عناصر التنظيم الذين شاركوا في المعركة، أن ولد اميسة أصيب أثناء تجوله بين ضحايا المعركة من الميليشيات، حين أطلق عليه جريح من القوات المالية النار فجأة فأصابه في البطن بشكل مباشر، وكان برفقته إدريس ولد يرب المكنى "أبو إسحاق الشنقيطي"، فردَّ بإطلاق النار من سلاحه الرشاش على الجريح المالي إلى أن انشطر إلى نصفين.

وخلال المواجهات الأولى مع الميليشيات، كان أحد الرهائن الغربيين وهو سويسري الجنسية، مع عناصر القاعدة لحظة مهاجمة الميليشيات العربية لهم، ومع اشتداد المواجهة خشي مقاتلو القاعدة من تفوق الميليشيات العربية عليهم، فكلفوا أحد عناصرهم بالبقاء إلى جانب الرهينة لتصفيته جسديًا متى أحس بأنهم أحيط بهم، ووضع فوهة بندقيته على رأس الرهينة، استعدادًا لإعدامه قبل أن يصل إليهم عناصر الميليشيات، لكنهم تمكنوا من سحبه من أرض المعركة، وقد عاش الرهينة لحظات صعبة، حيث كانت القذائف والطلقات تتطاير عن يمينه ويساره والسلاح مصوَّب إلى رأسه، فأصيب بحالة جنون واضطراب نفسي، رافقته إلى أن أُفرج عنه بعد ذلك بكفالة مالية.

كما قاد عبد الحميد أبو زيد في سبتمبر/أيلول عام 2008 عشرات من عناصر التنظيم بينهم مقاتلون من كتيبته، وآخرون من سرية "الفرقان" التي يقودها يحيى أبو الهمام، وتوغل بهم في صحراء "تيرس زمور" شمال موريتانيا، قاصدًا منجم "المهودات" للحديد؛ بحثًا عن المتفجرات التي تستخدمها "الشركة الموريتانية للصناعة والمناجم" (سنيم) في تفجير مواقع الحفر في الجبال، وكذلك للبحث عن بعض الرعايا الغربيين العاملين هناك في مجال التنقيب عن المعادن، إلا أن القوات الموريتانية رصدت دخولهم لأراضيها، فاعترضت طريقهم وحدة عسكرية، لكنهم نجحوا في نصب كمين لها عند بلدة "تورين" قبل منتصف الليل، فقتلوا 11 عسكريًا موريتانيًا ومرشدًا مدنيًا كان معهم، وقد أمر أبو زيد عناصره بقطع رؤوس الجنود القتلى وتفخيخ جثثهم، والانسحاب إلى شمال مالي، وفَقَد التنظيم في تلك المعركة أحد رموزه ويُدعى إخليهن ولد الشيخ المكنى "أبو ذر"، وهو موريتاني الجنسية، ومن الذين كان لهم دور كبير في اكتتاب عشرات من الشباب الموريتانيين وتسفيرهم إلى معسكرات التنظيم في صحراء أزواد.

كما اختطف عبد الحميد أبو زيد مهندسًا فرنسيًا متقاعدًا من النيجر يدعى ميشيل جرمانو، وقد أعدم لاحقًا في يونيو/حزيران عام 2010 على يد أمير سرية "الأنصار" أبي عبد الكريم الطارقي، وبأمر من أبي زيد؛ ردًا على عملية نفذتها القوات الموريتانية بالتعاون مع القوات الفرنسية لتحريره، وأسفرت

عن مقتل سبعة من عناصر التنظيم التابعين لسرية "الفرقان" شمال مدينة تمبكتو.

وقام كذلك باختطاف رجل المخابرات الفرنسية -كما تصفه وسائل الإعلام- بير كامات من شمال مالي نهاية عام 2009، وأفرج عنه في شهر فبراير/شباط عام 2010 بعد ثلاثة أشهر من الاحتجاز، بموجب صفقة أفرج فيها عن أربعة من عناصر التنظيم كانوا معتقلين في مالي، بينهم نائب مسؤول الإعلام في إمارة الصحراء بيبه ولد نافع.

وفي بداية شهر إبريل/نيسان عام 2012 دخل عبد الحميد أبو زيد ومقاتلوه مدينة تمبكتو في رفقة أمير سرية الفرقان يحيى أبو الهمام، وبعد سيطرتهم عليها عيَّنه أمير جماعة أنصار الدين إياد أغ أغالي واليًا له على ولاية تمبكتو، وفي أكتوبر/تشرين الأول عام 2012 عُيِّن من طرف قيادة تنظيم القاعدة في الجزائر نائبًا لأمير الصحراء الكبرى.

ويعرف عن عبد الحميد أبو زيد بأنه من القادة القلائل في التنظيم الذين لهم خبرة كبيرة بتكتيكات الانسحاب بعد تنفيذ العمليات، تساعده على ذلك درايته الواسعة بمجاهل الصحراء ووهادها، وخبرته في مجال التهريب والمطاردات، وصرامته المفرطة تجاه عناصره، فقد أكَّد لي أحد مقاتليه السابقين أنَّ القادة الكبار في التنظيم عادة ما يقدِّمونه للقيادة بعد تنفيذ العمليات ومحاولة الانسحاب.

وهنا أذكر وصفًا آخر أطلعني عليه أحد عناصره الذين قاتلوا ضمن صفوف سريته، وهو شاب من عرب أزواد يدعى "مصعب"، قال: إن "أبو زيد" شخص لا تعرف البشاشة طريقها إلى وجهه إلا نادرًا، وهو صارم إلى أقصى الحدود مع أعدائه ومع جنوده، وفي أوقات الاستراحة عادة ما ينزوي عن المقاتلين ولا يشاركهم في النقاشات والمزاح، ومعظم حديثه معهم تعليمات أو استفسارات، وله ردود فعل كان دائمًا يعبِّر بها عن غضبه تجاه عناصر كتيبته، حيث يقوم بإنزال العناصر الذين لا يرضى عنهم أو الذين خالفوه الرأي أثناء النقاشات من مقدمة السيارات ويأمرهم بالركوب في مؤخرتها، كما كان سريع الاتهام لكل من يخالفه الرأي بأنه تشوبه "لوثة رِدَّة" أو تبدو عليه أمارة التراجع والارتكاس.

## أبو زيد يهاجم "جبالي"

بعد أن قررت الحركات الإسلامية المسلحة إطلاق الحرب في مالي، وتقدمت جنوبًا باتجاه الوسط المالي في بداية شهر يناير/كانون الثاني عام 2013، قـــاد عبـــد الحميد أبو زيد وحدات من عناصر كتيبة "طارق بن زياد" و"ســـرية الفرقـــان"، وهاجم بالتنسيق مع قوات جماعة أنصار الدين بلدة جبالي المالية، وقد نجا ساعتها من قصف الطيران الفرنسي الذي قضى على عدد من عناصـــر القاعـــدة أثنـــاء محاولتهم الانسحاب من البلدة باتجاه مدينة تمبكتو، ومن أبرز مَن قتلوا من القـــادة الميدانيين للقاعدة خلال المواجهات التي قادها أبو زيد مع القوات الفرنسية والمالية في جبالي – الليبـــي حسين التيباوي، والموريتانيان محمد سعيد المكنى "الملا ناصـــر أبو عبد الحكيم الشنقيطي"، ومحمد ولد الشمرة المكنى "أبو البراء الموريتاني".

وقد تزوج عبد الحميد أبو زيد بعد وصوله إلى صحراء أزواد من سيدة مـــن بنات إحدى القبائل العربية في أزواد. أما مستواه العلمي فهو متواضـــع حســـب العارفين به، ولم يسبق له أن اهتم بالتحصيل العلمي في حياته، كما يتهمه خصومه من أنصار مختار بلمختار بأنه كان أكثر شحًّا من غريمه بلمختار، وكـــان يحـــتفظ بالأموال التي يحصل عليها من عمليات اختطاف الرهائن، ويقـــوم بتوزيعهـــا في بالونات عجلات السيارات، ثم يدفنها في الصحراء في أمـــاكن مجهولـــة، يقـــوم بتسجيل إحداثياتها عبر جهاز الإرشاد "جي بـــي إس"، وهذا تقليد لـــدى قـــادة التنظيمات المسلحة في الصحراء، وكذلك المهربين؛ لتأمين الأموال وادخارها.

وقُتل عبد الحميد أبو زيد في الثاني والعشرين من فبراير/شباط عام 2013، في مواجهات مع القوات التشادية مدعومة بالطيران الفرنسي خلال محاولاتها التوغـــل داخل معاقل التنظيم في الجبل من الناحية الشرقية، وقُتل معه في تلـــك المواجهـــة عناصر وقادة من كتيبته. كما لقي في نفس المعركة عشرات الضـــباط والجنـــود التشاديين حتفهم، وفي مقدمتهم قائد القوات التشادية الخاصة الرائد عبد العزيـــز حسن آدم، وأصيب عشرات آخرون بجراح من بينهم محمد ديبـــي نجل الـــرئيس إدريس ديبـــي. وبعد مقتل عبد الحميد أبو زيد في شمال مالي، عيَّنت قيادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي الجزائري "سعيد أبو مقاتل" أمـــيرًا علـــى كتيبـــة

"طارق بن زياد"، وهو من الجزائريين الذين وصلوا إلى صحراء أزواد ما بين سنتي 2003 و2004.

## سرية "الفرقان"

أسست هذه السرية بموجب قرار أصدرته قيادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في الجزائر، يقضي بإعادة هيكلة إمارة الصحراء بعد توسعها، وتصاعد الخلافات بين القادة الموجودين فيها، وقد أسندت قيادة "سرية الفرقان" عند تأسيسها إلى الجزائري جمال عكاشة المكنى "يحيى أبو الهَمَّام"، واستمر على قيادتها منذ تأسيسها بداية عام 2007 إلى غاية تعيينه أميرًا لمنطقة الصحراء الكبرى في أكتوبر/تشرين الأول عام 2012.

ويعتبر جمال عكاشة (يحيى أبو الهَمَّام) من أبرز قادة ما يُعرف بالجناح الراديكالي المتشدد (الصقور) في التنظيم إلى جانب عبد الحميد أبو زيد، وهو جزائري الجنسية من مواليد عام 1978 بمنطقة ارْغَايَة قرب العاصمة الجزائرية، وقد اعتقل في نهاية تسعينات القرن الماضي من قِبل مصالح الأمن الجزائرية، إلا أنه خرج من السجن بعد ثمانية عشر شهرًا من الاعتقال بعد صدور حكم ببراءته من تُهم الإرهاب؛ ليلتحق مباشرة بمعسكرات الجماعة الإسلامية المسلحة، حيث عمل مستشارًا عسكريًّا لأمير منطقة الصحراء، ثم انشق عنها وشارك في تأسيس الجماعة السلفية للدعوة والقتال، وظل يشغل منصب مستشار عسكري لأمير منطقة الصحراء مختار بلمختار وانتقل معه عام 2004 إلى صحراء أزواد، قبل أن يكلف بتأسيس وقيادة "سرية الفرقان"، وذلك بعد أن أصبح على خلاف مع قائده السابق مختار بلمختار، وبات أقرب إلى خصمه عبد الحميد أبو زيد قائد "كتيبة طارق بن زياد".

شارك يحيى أبو الهَمَّام في شهر يوليو/تموز عام 2005 في الهجوم الذي شنَّه مقاتلو إمارة الصحراء في الجماعة السلفية للدعوة والقتال على ثكنة "لمغيطي" العسكرية شمال موريتانيا تحت قيادة مختار بلمختار، وهو الهجوم الذي قُتل فيه 17 عسكريًّا موريتانيًّا، وستة من عناصر التنظيم، كما كان أحد قادة عملية نفذها

الجماعة ضد عناصر الدَّرَك الجزائري في صحراء تمنراست عام 2008، إلا أن أغلب عمليات سرية "الفرقان" التي يقودها كانت مركَّزة ضد موريتانيا، في إطار توزيع المهام جغرافيًّا بين كتائب وسرايا التنظيم في الصحراء. ففي نهاية عام 2007 قاد بنفسه عملية داخل الأراضي الموريتانية، وتوغل في صحراء "ولاية أدرار" شمال البلاد؛ بحثًا عن سياح غربيين، أو بعض موظفي شركات التنقيب عن النفط من الفرنسيين العاملين في المنطقة، لكنه صادف وحدة من الجيش الموريتاني في بلدة "الغَلاوِيَة" قرب مدينة وادان التاريخية، فاستدرج إحدى سياراتها في عملية تمويه وقتل ثلاثة جنود كانوا على متنها، وعاد أدراجه إلى أزواد. كما شارك مع عناصر سريته في عملية مشتركة مع كتيبة "طارق بن زياد" ضد القوات الموريتانية قادها "عبد الحميد أبو زيد"، حيث نصبوا كمينًا للقوات الموريتانية في بلدة تُورين بولاية تيرس زمور في سبتمبر/أيلول عام 2008، وقتلوا أحد عشر عسكريًّا ودليلاً مدنيًّا كان معهم.

وفي يوليو/تموز عام 2009 أرسل يحيى أبو الهمام أحد عناصر سرية "الفرقان" ويُدعى محمد عبد الله ولد احمدناه المكنى "أنس أبو مصعب"؛ لاغتيال أميركي يدعى كريستوف ليغت، يقيم في موريتانيا منذ سنوات طويلة ويشتبه في نشاطه التبشيري المسيحي، وقام ولد احمدناه بتنفيذ المهمة صبيحة يوم 23 يونيو/حزيران 2009 وسط الشارع العام قرب سوق "القصر" شمال العاصمة نواكشوط، بعد أن أطلق النار عن قرب على رأس الضحية فأرداه قتيلاً، وتمكنت الشرطة الموريتانية من اعتقال "ولد احمدناه" مساء 18 يوليو/تموز من نفس العام، ويوجد حاليًا رهن الاحتجاز في السجون الموريتانية حيث يواجه حكمين بالإعدام، أحدهما على خليفة قتله للأميركي كريستوف ليغت، أما الحكم الثاني فقد صدر بحقه على خلفية اتهامه بالمشاركة في عمليتي "الغلاوية" و"تورين" اللتين قُتل فيهما عدد من الجنود الموريتانيين.

كما أرسل أبو الهمام أربعة عشر من مقاتلي سريته إلى شمال موريتانيا في أكتوبر/تشرين الأول عام 2009؛ لاختطاف عدد من الفرنسيين العاملين في شركة "توتال" الفرنسية التي تنقب عن النفط في بلدة "توادني" شمال موريتانيا، وقد

توغلت عناصر التنظيم في الصحراء الموريتانية حتى وصلوا إلى بلدة "النخيلة" قرب مدينة وادان بولاية أدرار، لكنهم عادوا أدراجهم إلى أزواد، بعد أن فشلوا في العثور على أيٍّ من الرعايا الفرنسيين في المنطقة.

## عريس آثر الموت على عروسه

خطط يحيى أبو الهمام لهجوم انتحاري استهدف مقر قيادة المنطقة العسكرية الخامسة في مدينة النعمة شرق موريتانيا فجر يوم الخامس والعشرين من أغسطس/آب عام 2010، وهو الهجوم الذي نفّذه الموريتاني إدريس ولد يرب المكنى "أبو إسحاق الشنقيطي"، بواسطة سيارة مفخخة كانت تحمل حوالي طن ونصف طن من المتفجرات. وقد علمتُ من بعض عناصر سرية "الفرقان" خلال وجودي في أزواد أن الانتحاري إدريس ولد يرب كان يستعد للزواج في تلك الليلة التي نفّذ فيها العملية، وبعد أن ارتدى ملابس جديدة اشتراها لحفل زفافه، فُوجئ بأمير السرية يحيى أبو الهمام يبلغه باختياره لتنفيذ عملية انتحارية لصالح التنظيم، بعد أن كان قد سَجَّل سابقًا اسمه على لوائح المتطوعين للقيام "بعمليات استشهادية"، وقد نفّذ ولد يرب العملية الانتحارية وهو يرتدي ملابس عُرسه الزرقاء، واختار أن ينفّذ رغبة أميره ويضع حدًّا لحياته، وهو على بُعد ساعات قليلة من أن تزف إليه عروسه التي اختارها من بين بنات سكان صحراء أزواد، تاركًا تلك الفتاة وقد "ترملت" قبل أن تتزوج.

وكان إدريس ولد يرب المولود في نواكشوط سنة 1984، قد اعتنق الفكر السلفي في مساجد نواكشوط سنة 1989، والتحق بمعهد العلوم الإسلامية بنواكشوط التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود في المملكة العربية السعودية، وبعد أن أغلقت السلطات الموريتانية المعهد سنة 2003 أثناء حملة استهدفت التيارات والمؤسسات الإسلامية في البلد، التحق ولد يرب بمعهد الإمام مالك التابع لجمعية إحياء السُّنَّة السلفية، وفي سبتمبر/أيلول عام 2005 تمكن من مغادرة الأراضي الموريتانية متوجهًا إلى معسكرات الجماعة السلفية للدعوة والقتال في شمال مالي، ورافقه في تلك الرحلة إلى معسكرات التنظيم نشطاء آخرون من التيار السلفي في

موريتانيا، من بينهم: أحمد ولد الراظي المكنى "أبو معاذ"، وقد قتل في مواجهات بحي "تفرغ زينة" غرب نواكشوط في شهر إبريل/نيسان 2008 بين عناصر من تنظيم أنصار الله المرابطين في بلاد شنقيط وقوات الأمن الموريتانية، وسدينا ولد ختاري المكنى "عبد الرحمن أبو زينب" الذي أُرسل من معسكرات التنظيم في صحراء أزواد إلى وسط الجزائر بناء على طلب من قيادة التنظيم هناك، بعد إعلانه عن رغبته في تنفيذ عملية انتحارية، وقد نفَّذ عملية انتحارية في ولاية البويرة شرق العاصمة الجزائر عام 2008 داخل باص للركاب، قُتل فيه عدد من الركاب، إضافة إلى محمد عبد الله ولد احمدناه المكنى "أنس أبو مصعب" المعتقل حاليًا في السجن المركزي بنواكشوط.

وفي منتصف عام 2007 أرسله التنظيم إلى العاصمة المالية باماكو للإقامة هناك، حيث قضى ثمانية أشهر داخل باماكو؛ للقيام ببعض المهام المتعلقة بمصالح التنظيم تتمثل أساسًا في استقبال المتطوعين الراغبين في الالتحاق بالتنظيم من دول الجوار وإرسالهم إلى المعسكرات، وتوفير المواد الطبية والغذائية، والمعلومات المتعلقة بنشاطات الحكومة المالية وحلفائها بشأن مستقبل صحراء أزواد. وعاد سنة 2008 إلى المعسكرات من جديد في الصحراء؛ ليتم إرساله إلى مدينة تمبكتو في مهمة أخرى، وهناك اعتقل على يد الضابط العربي في الجيش المالي المكلف بأمن الصحراء "لمانة ولد ابو"، لكن التنظيم كان ساعتها يحتجز مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى النيجر روبرت فاولر، ومساعده لويس غواي، اللذين اختطفا من النيجر في ديسمبر/كانون الأول عام 2008، وبعد أسبوع من اعتقال ولد يرب أفرج عنه بعد اتصال هاتفي بين بلمختار والرئيس المالي أمادو توماني توري، طالب فيه بلمختار بإخلاء سبيل ولد يرب، فعاد إلى معسكرات التنظيم. ومن المفارقات أنه بعد اعتقال الدبلوماسيين الكنديين في النيجر، قام التنظيم بتسجيل شريط فيديو سُلِّم للوسطاء؛ لإثبات وجودهما على قيد الحياة، وكان إدريس ولد يرب هو من يتحدث في هذا الشريط! وبعد عزل مختار بلمختار عن إمارة الصحراء، بقي إدريس ولد يرب معه لفترة، قبل أن يقرِّر الانتقال إلى"سرية الفرقان" مع تصاعد التوتر والخلافات بين بلمختار وأمراء القاعدة في الصحراء، فشارك في مواجهات مع

الجيش المالي، وأخرى مع ميليشيات من قبائل "البرابيش" العربية، وظل ينشط في صفوف سرية "الفرقان" إلى أن تم اختياره لتنفيذ عملية انتحارية ضد مقر قيادة المنطقة العسكرية الخامسة في شرق موريتانيا، وذلك في أغسطس/آب عام 2010.

كما نفّذت سرية الفرقان في يونيو/حزيران عام 2009 عملية اغتيال بحق الضابط "لمانة ولد ابو" الذي سبق أن اعتقل عددًا من عناصر التنظيم بينهم ولد يرب نفسه، وهو ضابط عربي شاب في عَقْده الرابع، كان مقاتلاً في صفوف الحركة الإسلامية العربية لتحرير أزواد بداية تسعينات القرن الماضي، والتحق بالجيش المالي بعد توقيع اتفاقية السلام بين الحركات المتمردة والحكومة المالية منتصف التسعينات، وترقّى بسرعة ليصبح عقيدًا مكلفًا بالملف الأمني في شمال مالي، وقد نفذت عملية الاغتيال داخل منزل الضابط في مدينة تمبكتو. ويقول أحد عناصر المجموعة التي نفذت عملية الاغتيال، ويبلغ عددهم سبعة مسلحين: إن التنظيم كلف "أبو طلحة الليبي" (وهو موريتاني وُلد ونشأ في ليبيا، يقود حاليًا سرية الفرقان) بقيادة المهمة، وأرسل معه عناصر دخلوا مدينة تمبكتو، وتوجهوا في سيارة رباعية الدفع إلى منزل لمانة ولد ابو، حيث صادفوا شابًّا عسكريًّا يحرس المنزل، سيطروا عليه وقيدوه، ثم دخلوا مباشرة إلى المنزل الذي يوجد به الضابط وزوجته وأطفاله، واقتحموا صالونه حيث كان لمانة ولد ابو مع اثنين من ضيوفه، فأطلقوا عليه ثلاث رصاصات في الرأس والصدر والعنق، على مرأى ومسمع من الضيوف وأهل بيته، وتركوه مضرجًا بدمائه داخل صالون منزله، ثم انسحبوا دون أن يعترضهم أي أحد، رغم وجود قاعدة عسكرية للجيش المالي وسط المدينة بها مئات الجنود والضباط. ويقول عناصر في التنظيم: إن عملية اغتيال "ولد ابو" جاءت بعد قيام دورية يقودها باعتراض عناصر من التنظيم في الصحراء كانوا يحملون أموالاً للتنظيم، فقام بمصادرة الأموال وإطلاق سراح العناصر، وقد طلب التنظيم منه عدة مرات إعادة تلك الأموال، وأبلغ "أبو الهمام" بعض أقارب الضابط بأنه سينتقم منه إن لم يُعِدْ تلك الأموال ويوقف استهداف عناصر التنظيم، وهو ما رفضه لمانة ولد ابو، إلى أن تمت تصفيته في بيته على يد عناصر التنظيم بإشراف مباشر من يحيى أبو الهمام. وقد أدت هذه العملية إلى تشكيل ميليشيات

من أبناء عمومة الضابط المقتول في محاولة للثأر له، وخاضت معارك مع المسلحين الإسلاميين، تناولناها سابقًا في الفقرة المخصَّصة للحديث عن كتيبة طارق بن زياد وقائدها عبد الحميد أبو زيد.

## مواجهات "الفرقان" مع الجيش الموريتاني

شكلت سرية "الفرقان" رأس الحربة في مواجهة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي مع الجيش الموريتاني أثناء توغله في الأراضي المالية، حيث فَقَدت السرية سبعة من عناصرها في هجوم نفذه الجيش الموريتاني بمشاركة قوات فرنسية على معسكر لهم في يوليو/تموز عام 2010؛ بهدف تحرير الرهينة الفرنسي ميشيل جرمانو المحتجز لدى التنظيم بعد اختطافه من شمال النيجر، وكان من بين القتلى في ذلك الهجوم القيادي في التنظيم وأحد أبرز المدربين العسكريين فيه – الجزائري سلام عميروش المكنى "بلال أبو مسلم الجزائري"، وهو من عناصر التنظيم الذين واكبوا تأسيس إمارة الصحراء على يد أميرها السابق مختار بلمختار قبل أن ينتقل إلى سرية الفرقان بعد تأسيسها، وكذلك المغربي عبد العالي الشعيري المكنى "بشير المغربي" المنحدر من مدينة طنجة في شمال المغرب، والموريتاني عبد القادر ولد احمدناه المكنى "إبراهيم أبو مرداس" الذي ينحدر من مدينة أطار شمال موريتانيا، والموريتاني أبو بكر الصديق ولد عبدي المكنى "أبو الخطار" المنحدر من مدينة ألاك شرق العاصمة نواكشوط، إضافة إلى ثلاثة شبان ينحدرون من عرب أزواد وهم: بوب ولد حمات المكنى "عبد الرؤوف"، وعلي ولد سيدي محمد المكنى "عبد الرزاق"، ووناتو ولد الحسن المكنى "أبو يحيى".

وقد خاضت "سرية الفرقان" معارك مع الجيش الموريتاني خلال توغله في الصحراء المالية سنتي 2010 و2011، ودارت بينهما مواجهات عنيفة في بلدات "حاسِي سيدي"، و"اخويبت راص الماء"، وغابة "وَاقّادُو"، وهي مواقع توجد كلها في عمق شمال مالي.

ومن أبرز القادة العسكريين في سرية الفرقان الميمون ولد امينوه المكنى "خالد أبو ذاكر"، ويُعرف أيضًا بكنية "خالد الشنقيطي"، كما أطلق عليه رفاقه لقب

"خالد الهاون"؛ لأنه كان يتقن الرماية على سلاح الهاون أكثر من غيره من عناصر التنظيم، وكان من مقاتلي السرية البارزين، وقد تولى قيادة عناصر تابعين لها أثناء مواجهاهما مع الجيش الموريتاني في غابة "واقادو" قُرب الحدود مع موريتانيا سنة 2011، وقد قُتل في شهر يناير/كانون الثاني عام 2012 خلال مشاركته في هجوم نفذته جماعة أنصار الدين وتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي على حامية للجيش المالي في مدينة أجلهوك شمال أزواد. وكان ولد امينوه (25 عامًا) -رغم حداثة سنِّه- من أسرع أقرانه تقدمًا واحتلالاً لمراكز قيادية في التنظيم، حيث أسندت إليه قيادة مجموعات تضم مقاتلين انضموا قبله للتنظيم بخمس وست سنوات، وهو شاب من مواليد منتصف الثمانينات في بلدة الرشيد بولاية تكانت شمال شرق موريتانيا، حصل على شهادة البكالوريا (الثانوية العامة) شعبة الرياضيات عام 2006، والتحق بجامعة نواكشوط، لكنه لم يكمل سوى فصلين دراسيين أو أقل من السنة الأولى من تعليمه الجامعي، وسافر في شهر مارس/آذار عام 2007 إلى معسكرات تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في أزواد، وهناك في معسكرات سرية "الفرقان" ترقّى بسرعة وأصبح مسؤولاً عن خلية المعلوماتية والإعلام في السرية وقائدًا عسكريًّا ميدانيًّا، وهو المسؤول عن عملية اختطاف دَرَكيّ موريتاني يُدعى اعلي ولد المختار في شهر ديسمبر/كانون الأول عام 2011، بعد أن نجح في اقتحام مقر لفرقة الدَّرَك بمدينة "عدل بقرو" قرب الحدود الموريتانية المالية، واختطف "ولد المختار"، غير أن عناصر من التنظيم يؤكدون أن عملية الاختطاف كانت مبادرة شخصية من ولد امينوه، ولم تكن بناء على تعليمات من قيادة التنظيم.

لذلك سارع التنظيم إلى تقديم شروط اعتبرها ميسَّرة لإطلاق سراح الدَّرَكيّ المختطف، حيث طالب بالإفراج عن اثنين من عناصر التنظيم المحتجزين لدى السلطات الموريتانية دون تحديد هويتيهما، كما اشترط أن تتعهد أسرة الدركي المختطف أو قبيلته بعدم عودته إلى العمل العسكري مع النظام الموريتاني، وأعطى مهلة 20 يومًا لتلبية مطالبه، إلا أن السلطات الموريتانية في النهاية قبلت بإخلاء سبيل أحد سجناء التنظيم وهو عبد الرحمن ولد مدو المنحدر من إحدى قبائل

عرب أزواد، الذي اعتقل في كوبني بعد مشاركته في التخطيط لاختطاف إيطالي وزوجته البوركينابية في نهاية عام 2009 شرق موريتانيا، وصدر بحقه حكم بالسجن النافذ خمس سنوات مع الأعمال الشاقة، وبالمقابل أفرج التنظيم عن الدركي المحتجز لديه.

كما تضم "السرية" قياديين آخرين من موريتانيا والمغرب وتونس، من بينهم: عبد الرحمن المكنى "طلحة"، ومحمد الأمين ولد الحسن المكنى "عبد الله الشنقيطي"، وعبد الملك ولد سيدي المكنى "قتيبة" الذي يشغل حاليًا منصب قاضي إمارة الصحراء، وأحمدو ولد الشريف المختار المكنى "خبيب"، وعمر ولد غلام المكنى "آدم أبو عمير"، وبيب ولد نافع المكنى "أسامة"، وهو مسؤول الإعلام في إمارة الصحراء، وقاضي إمارة الصحراء السابق، وإبراهيم ولد محمد المكنى "أبو أنس الشنقيطي" المعتقل في الجزائر، وبلال الجزائري، وبشير المغربي، وغيرهم.

وفي بداية عام 2011 قام أبو الهمام باعتقال تاجرين موريتانيين كانا يعملان في تلك المنطقة، وأعدمهما بتهمة التجسس لصالح أجهزة المخابرات الموريتانية، وهما إبراهيم ولد فال، والشيخ ولد اخطوره، وقد حصلتُ من التنظيم على شريط فيديو يُظهِر اعترافًا منسوبًا لولد فال بالعمل لصالح الاستخبارات الموريتانية، كما يظهر في الشريط يحيى أبو الهمام وهو ينفذ حكم الإعدام فيه، بإطلاق النار على رأسه من الخلف بعد أن قيَّد يديه وراء ظهره، فيما يهتف عناصر ملثمون معه بالتكبير، كما قام بإعدام تاجر من مدينة تمبكتو يُدعى علي ولد محمد في نهاية شهر مارس/آذار عام 2012؛ بتهمة التجسس لصالح المخابرات الموريتانية.

## اصطياد الرهائن في موريتانيا والنيجر

خطط يحيى أبو الهمام منذ توليه قيادة سرية "الفرقان" لاستهداف الرعايا الغربيين في موريتانيا، وأرسل رجاله للاستطلاع إلى مدن أطار وتجكجة وأكجوجت والنعمة؛ لرصد تحركات السياح الغربيين وكذلك الأجانب العاملين في شركات التنقيب عن النفط في الصحراء الموريتانية، فضلاً عن المقرات

العسكرية والأمنية والبنوك في تلك المدن. كما خطط لعملية في نواكشوط أراد لها أن تكون نوعية وحاسمة، وأرسل عناصر من سريته إلى نواكشوط للتحضير لها وتنفيذها، وكانت تستهدف اقتحام مقر المركز الثقافي الفرنسي المحاذي للسفارة الفرنسية بنواكشوط وقت الظهيرة عندما يجتمع روّاده والعاملون فيه من الفرنسيين على مائدة الغداء؛ وذلك بهدف احتجازهم ومقايضتهم بسجناء التنظيم في موريتانيا. وقد تمكن العنصر الأهم في تلك الخطة ويدعى محمد ولد عبدو المكنى "سلمان" من رصد وتصوير المكان، لكنه اعتقل صدفة في نواكشوط، عندما تدخل لمنع الشرطة من اعتقال سوداني يدعى "أسعد عبد القادر" متهم بالانتماء للقاعدة، فاعتقلته عناصر الشرطة بتهمة محاولة منع قوات الأمن من أداء مهمتها، لكن التحقيق معه كشف أنه عنصر قيادي من سرية "الفرقان"، كما كشف للشرطة أثناء التحقيق معه عن المخطط المذكور. ويوجد سلمان حاليًا في السجون الموريتانية، حيث صدر بحقه حكم بالإعدام بعد إدانته بالمشاركة في هجمات قُتل فيها عدد من الجنود الموريتانيين شمال البلاد سنتي 2007 و2008.

وتأتي العمليات المتكررة التي قام بها أبو الهمام في موريتانيا كمحاولة منه لتسجيل نقاط على حساب أميره السابق وغريمه مختار بلمختار، والذي خطّط هو الآخر لإنقاذ المعتقلين في السجون الموريتانية، وتنفيذ العديد من العمليات فيها، ومن بين ما قام به أبو الهمام في إطار منافسته لغريمه بلمختار مسارعته إلى اختطاف مواطن إيطالي وزوجته البوركينابية في التاسع عشر من ديسمبر/كانون الأول عام 2009، قرب مدينة كوبني على الحدود الموريتانية المالية بعد 20 يومًا على نجاح عناصر تابعين لبلمختار في اختطاف ثلاث رعايا من إسبانيا على الطريق الرابط بين مدينتي نواكشوط ونواذيبو شمال غرب موريتانيا.

ولأنّ النيجر كانت هي الأخرى مسرحًا لعمليات اختطاف ناجحة نفذها بلمختار، سعى يحيى أبو الهمام إلى القيام بعمليات مماثلة فيها؛ حيث أوفد منتصف عام 2009 كلاً من إدريس ولد يرب المكنى "أبو إسحاق الشنقيطي"، وأحمد ولد امبارك المكنى "أبو قسورة" إلى النيجر في مهمة لرصد الرعايا الغربيين هناك، خصوصًا في العاصمة نيامي ومدينتي تاوا وآكاديز، وهناك قام الاثنان باقتناء درّاجة

نارية لتسهيل تنقلاتهما، وتوجها إلى مدينة تاوا التي قضيا فيها شهرًا يتتبعان تحركات الرعايا الغربيين هناك، ثم توجه إدريس ولد يرب إلى مدينة آكاديز في الشمال للبحث عن غربيين آخرين، وبعد فترة عاد إلى العاصمة نيامي ليلتحق بزميله "أبو قسورة"، حيث أمضيا أسبوعين فيها، ومنها عادا إلى معسكرات الكتيبة في شمال مالي، ومعهما حصيلة ثلاثة أشهر من عمليات الرصد والمراقبة تضمنت رصد مطار في مدينة آكاديز تهبط فيه عادة طائرات تقلّ خبراء وعمالاً فرنسيين وغربيين، إضافة إلى أماكن وجود ونشاط بعض الفرنسيين الموظفين في شركة "آريفا" التي تعمل في مجال استخراج اليورانيوم بشمال النيجر. ويُعتقد أن عملية اختطاف سبعة من عمال شركة "آريفا" بينهم خمسة فرنسيين من شمال النيجر في شهر سبتمبر/أيلول عام 2010، كانت بمساعدة معلومات تم توفيرها في عمليات الرصد التي قام بها المعنيّان قبل ذلك.

وبعد مغادرة القوات المالية لمدينة تمبكتو مطلع شهر إبريل/نيسان عام 2012 إثر الانهيار المفاجئ للجيش المالي بعد الانقلاب العسكري الذي قاده النقيب أمادو سونغو في العاصمة باماكو، ووضع حدًّا لحكم الرئيس أمادو توماني توري، انتهز يحيى أبو الهمام فرصة ارتباك أحدثته تحذيرات أطلقها مقاتلون من ميليشيات عربية في المدينة لقوات الحركة الوطنية لتحرير أزواد من دخول المدينة، فقاد عشرات المقاتلين برفقة عبد الحميد أبو زيد واقتحما المدينة ليلاً وسيطرا على مقر قيادة المنطقة العسكرية بقاعدة "الشيخ سيدي أحمد البكاي" العسكرية، والمباني الرسمية في المدينة، واستقرا بها، وبعد حوالي شهرين على وفاة نائب أمير الصحراء التابع لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي "نبيل أبو علقمة" في حادث سير قرب مدينة أَسَنْغُو بجنوب أزواد في نهاية يوليو/تموز عام 2012، وتأكّد فشل الأمير المعيَّن على إمارة الصحراء موسى أبو داود من مغادرة الجزائر، اختارت قيادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في بداية شهر أكتوبر/تشرين الأول من نفس العام يحيى أبو الهَمَّام أميرًا للصحراء[1].

1 "قاعدة المغرب الإسلامي تعين أبو الهمام أميرًا لمنطقة الصحراء".
http://www.saharamedias.net/%D9%82%D8%A

وعشية بدء القوات الفرنسية مدعومة بقوات إفريقية لعملياتها العسكرية في مالي خلال شهر يناير/كانون الثاني عام 2013، وتقدمها نحو مدينة تمبكتو، كان يحيى أبو الهمام يقود مجموعة من مسلحي التنظيم على متن ست سيارات رباعية الدفع، هم آخر من بقي في تمبكتو من المسلحين، بعد انسحاب قوات أنصار الدين وتنظيم القاعدة منها، وكان أبو الهمام خلال تلك الأيام القليلة يدخل مع مسلحيه المدينة صباحًا ثم يختفون، قبل أن يظهروا مساء، ويقومون بدوريات في الشوارع الرئيسة في المدينة، وكانوا يسعون من وراء ذلك -حسب تصريحات لعبد الله الشنقيطي- إلى منع وجود حالة فراغ أمني بالمدينة في انتظار أن تصلها سلطة جديدة؛ حتى لا تقع عمليات نهب وانتقام. وقبل يوم من وصول القوات الفرنسية إلى مطار تمبكتو، غادر أبو الهمام ومسلحوه المدينة لآخر مرة؛ ليدشنوا بذلك مرحلة جديدة من الحرب ضد القوات الفرنسية والإفريقية تقوم على استراتيجية حرب العصابات.

وفي منتصف شهر فبراير/شباط عام 2013 أعلنت الولايات المتحدة الأميركية عن إدراج اسم يحيى أبو الهمام في قائمة المطلوبين لديها، ورصد مكافأة مالية قدرها 5 ملايين دولار لمن يقدِّم معلومات تساعد على تصفيته أو اعتقاله[1].

وبعد تعيين يحيى أبو الهمام أميرًا للصحراء، اختار تنظيم القاعدة الناشط الموريتاني محمد الأمين ولد الحسن المكنى "عبد الله الشنقيطي" أميرًا لسرية "الفرقان"، وهو شاب موريتاني من مواليد بلدة "الفريوة" جنوب العاصمة نواكشوط، ويصفه العارفون به بأنه ضليع في علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وعلى دراية كبيرة بالمتون الفقهية ومصنفات الحديث والتفسير، وكان خطيبًا ومرشدًا في معسكرات التنظيم، كما أشرف على العديد من المحاكمات التي قام بها التنظيم ضد متهمين بالتجسس لصالح المخابرات الموريتانية والجزائرية، وأسندت إليه مهمة مسؤول الإعلام في إمارة الصحراء، خلفًا للمسؤول السابق

1 "أبو الهمام على قائمة الإرهاب الأميركية".
http://www.aljazeera.net/news/pages/ac4d5218-5d44-4759-905f-06f211c37ed6

الحسن ولد اخليل المكنى "جليبيب"، المقرَّب من أمير كتيبة الملثمين مختار بلمختار. كما عُيِّن قاضيًا لإمارة الصحراء ورئيسًا للجنتها الشرعية، خلفًا لزميله إبراهيم ولد محمد ولد عبد البركة المكنى "أبو أنس الشنقيطي" الذي عُيِّن سنة 2008 قاضيًا لإمارة الصحراء وعضوًا في مجلس شورى التنظيم، إلى أن اعتقل في الجزائر بداية عام 2011.

وفي منتصف شهر مارس/آذار عام 2013 قُتل عبد الله الشنقيطي مع عدد من عناصر سريته في قصف للطيران الفرنسي على موقعهم في جبل تغرغارت بأقصى شمال أزواد. وبعد مقتله اختار التنظيم الناشط الموريتاني في سرية الفرقان عبد الرحمن المكنى "طلحة الليبي" -نسبة إلى مسقط رأسه ليبيا؛ حيث ولد في ليبيا لأب موريتاني، ونشأ في بداية طفولته هناك قبل أن يقيم في موريتانيا، وكان ضمن مجموعة من الشباب الموريتانيين الذين التحقوا بكتائب الجماعة السلفية للدعوة والقتال في شمال مالي مطلع عام 2006- وعين قائدًا ميدانيًّا في سرية "الفرقان"، حيث تولى قيادة المجموعة التي كلفت باغتيال الضابط العربي في الجيش المالي في مدينة تمبكتو بأزواد في يونيو/حزيران عام 2009، وقد قابلتُه شخصيًّا أكثر من مرة في مدينة تمبكتو أثناء زيارتي لها، حيث كان أحد القادة الميدانيين المكلفين بحفظ الأمن فيها، وتطبيق أوامر هيئة الحسبة، كمصادرة الخمور وإقامة الحدود وفرض "الزي الإسلامي" على النساء في الشارع.

## سرية "الأنصار"

أسست هذه السرية كباقي سرايا وكتائب إمارة الصحراء، بموجب قرار إعادة هيكلة هذه الإمارة الذي اتخذته قيادة التنظيم في الجزائر، وجاء به إلى الصحراء أميرها السابق يحيى جوادي بداية عام 2007، وتقرَّر أن تكون "سرية الأنصار" خاصة بالمقاتلين من قبائل الطوارق، واختار لها التنظيم اسم "الأنصار" على اعتبار أن الطوارق التحقوا بالعمل المسلح في موطنهم الأصلي أزواد، فكانوا "أنصارًا" للمسلحين القادمين (المهاجرين) الذين جاؤوا من الجزائر وموريتانيا والنيجر وتونس وليبيا وغيرها من بلدان المنطقة. وأسندت قيادة هذه السرية لأحد

أبناء قبائل الطوارق، يُدعى أحمد أغ امامة المكنى "أبو عبد الكريم الطارقي"، وينحدر من منطقة أدرار الإفوغاس بأقصى شمال شرق مالي، وهو أول قائد سرية في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي من غير الجزائريين، وقد التحق به معظم المقاتلين الطوارق في التنظيم، وأغلبهم كانوا مقاتلين ضمن ما عُرف بتنظيم "تحالف مايو" المناوئ للحكومة المركزية في مالي، والذي قاده إبراهيم أغ باهانغا سنتي 2005 و2006.

كما التحق به عدد محدود من العرب الأزواديين والموريتانيين، لكنهم كانوا قلة، وظلت الغلبة في تلك السرية للعناصر المنحدرين من قبائل الطوارق. وكان أبو عبد الكريم الطارقي من المقربين أصلاً من قائد كتيبة "الملثمين" والأمير السابق للصحراء مختار بلمختار، لكنه ابتعد عنه وتولى قيادة "سرية الأنصار"، وبات أقرب إلى خصمه عبد الحميد أبو زيد، كما هو شأن قادة سرايا وكتائب الصحراء الذين انحازوا لموقف قيادة التنظيم في الجزائر الداعم لعبد الحميد أبو زيد في منافسته مع بلمختار في الصحراء، وتولى أبو عبد الكريم الطارقي تنفيذ الإعدام في الرهينة الفرنسي ميشيل جرمانو في يوليو/تموز عام 2010، بأمر من عبد الحميد أبو زيد بعد فشل محاولة تحريره بالقوة في عملية مشتركة بين الجيش الموريتاني والقوات الخاصة الفرنسية، قُتل فيها سبعة من عناصر التنظيم قرب الحدود الموريتانية المالية، وكانت "سرية الأنصار" تتحرك في الجزء الشمالي والشمالي الشرقي من صحراء أزواد، خصوصًا في مناطق كِيدَال وأجلهوك وتَسَالِيت وتيمدغين وتنزواتين وتغرغارت ووادي انميدر ووادي اميتيتاي وآنوملين وتكالوت، وهي مناطق جبلية وعرة في غالبها الأعم.

## سرية "يوسف بن تاشفين"

وهي أحدث سرية يشكلها تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وقد أعلن عن ميلادها في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 2012 بعد سيطرة الحركات الإسلامية المسلحة على إقليم أزواد، وظهور بوادر انشقاق كتيبة "الملثمين" مع أميرها مختار بلمختار، وذلك بمبادرة من أمير الصحراء الجديد في التنظيم يحيى أبو الهمام بعد

موافقة قيادة القاعدة في الجزائر. وقد أسندت قيادة هذه السرية لأحد أبنـاء قبائـل الطوارق الماليين، ويدعى "أبو عبد الحميد الكِيدَالِي"، نسبة إلى مدينـة كيـدال في أقصى شمال شرق مالي، ويكنى "القيرواني"[1]، وكان قائدًا ميدانيًّا في سرية "الأنصار" التي تحدثنا عنها سابقًا. وقد تم تشكيل الكتيبة الجديدة بعد توسُّع الرقعة الأرضية التي يسيطر عليها التنظيم، وازدياد عدد الملتحقين به، بعد سيطرته على مدينـة تمبكتـو وأجزاء كبيرة من أزواد، ومشاركته في السيطرة على باقي المدن الأزوادية الأخرى؛ وذلك بهدف تسهيل انسيابية تحركات التنظـيم وعملياتـه في تلـك الصـحاري الشاسعة، كما تصادف تأسيسها مع تحضير الجماعات المسلحة في أزواد للحـرب التي كانت تدقّ طبولها في المنطقة حينها، واندلعت بداية عام 2013 بقيادة فرنسـا والقوات الإفريقية؛ بهدف طرد تلك الجماعات من أزواد وإعادته إلى السيادة المالية.

ويأتي تخصيص سرية جديدة للمقاتلين الطوارق في تنظـيم القاعـدة بـبلاد المغرب الإسلامي، بعد أن أسسوا سرية "الأنصار" سابقًا، في إطار مساعي تنظـيم القاعدة لاستدعاء البُعد القومي لدى الطوارق، ودفع المزيـد مـن شـبابهم إلى الالتحاق بالتنظيم عبر الكتائب والسرايا الخاصة بهم، وهـي خطـوة تهـدف إلى استغلال ما يُعرف لدى الطوارق بروح "التُومَاست" (القومية بلغة الطوارق) وهي عامل أساسي في تحريك عواطف الطوارق ومشاعرهم أكثر من أي عامل آخـر، كما هو الشأن في كل الشعوب الصحراوية البدوية، وقد شاركت "سرية يوسف بن تاشفين" في المعارك التي خاضها التنظيم ضد القوات الفرنسية والتشادية، وقُتل عدد من عناصرها خلال تلك المواجهات.

## الانتشار في أزواد

عمد تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي سنة 2007 بعد تنفيـذ مخطـط الهيكلة الجديدة لإمارة الصحراء القاضي بتأسيس كتيبتين وسـريتين، إلى توزيـع الكتائب والسرايا على مناطق نفوذ وتحرك حسب خريطة صحراء أزواد؛ حيـث

1 "تنظيم القاعدة يعلن عن كتيبة سادسة بقيادة أحد الطوارق".
http://www.saharamedias.net/%D8%AA%D9%8

أسندت مهمة السيطرة على جبال تغرغارت الوعرة في أقصى الشمال الشرقي والتحكم في مداخلها ومنافذها إلى سرية "الأنصار". وفي هذه الجبال تقرر أن يكون مقر قيادة إمارة الصحراء بعد تأسيسها، وقد قام التنظيم بحفر عدد من الآبار فيها، كما شيد بعض البنايات الصغيرة، وأقام فيها قواعد له، وأطلق عليها اسم "تورا بورا المغرب الإسلامي". بينما أسندت إلى سرية "الفرقان" مهمة الانتشار في الصحراء الممتدة من مدينة تمبكتو إلى بلدة "توادني" بما في ذلك مناطق "حسيان أولاد غنام" و"العرش" و"أروان"، و"تاودني" و"إنفارق"، وصولاً إلى مشارف قرية "الخليل" قرب مدينة "برج باجي مختار" الجزائرية. وأسندت لهذه السرية أيضًا مهمة تنفيذ عمليات داخل الأراضي الموريتانية والمناطق الغربية من أزواد، ويتشكل معظم عناصرها من الأَزَواديين والموريتانيين وبعض الجزائريين، وفي مناطق نفوذها تنتشر الأحياء البدوية العربية التي تزوج فيها معظم عناصر التنظيم، ويصفها أحد عناصر التنظيم بأنها "المنطقة الحساسة" بالنسبة لهم؛ لذلك فقد كانوا يرون في دخول القوات الموريتانية لها سنتي 2010 و2011 تجاوزًا للخطوط الحمراء؛ لأن الأمر بالنسبة لهم لم يكن يتعلق بسعي القوات الموريتانية لطردهم من قواعدهم في غابة "واقادو" غرب أزواد، بقدر ما كان محاولة من الجيش الموريتاني وضع اليد على منطقة شرفهم وعرضهم، حسب قول أحد قادة سرية الفرقان.

أما "كتيبة طارق بن زياد" بقيادة عبد الحميد أبو زيد فقد انتشرت في وسط صحراء أزواد، ما بين "تاودني" وجبال "تاغَرْغَارت" و"تساليت"، و"تنزواتين"، وتتداخل منطقة انتشارها مع منطقة انتشار سرية "الفرقان"، كما هو الحال أيضًا بالنسبة لسرية "الأنصار"، وقد شاركت تلك الكتائب والسرايا في عمليات مشتركة في موريتانيا والنيجر وداخل الأراضي المالية. أما كتيبة "الملثمين" فقد بقيت متمركزة في جبال "تغَرْغَارت"، وتتحرك في تلك المنطقة الجبلية الوعرة، وكانت مهمتها تتمثل أساسًا في تنفيذ عمليات خارج أزواد، عبر اختطاف الأجانب من دول المنطقة ونقلهم إلى تلك الصحراء، أو التخطيط لتنفيذ عمليات نوعية في بعض دول المنطقة، وقد شكلت الأموال التي دفعت للتنظيم مقابل الإفراج عن رهائنها مصدرًا لتمويل أنشطة التنظيم.

هذا مع ملاحظة أن هذا التقسيم الجغرافي لم يكن صارمًا، إذ إنّ عناصر أي كتيبة أو سرية يدخلون متى أرادوا إلى مناطق الانتشار المفترضة للسرايا والكتائب الأخرى، فالأمر كله يتعلق بـ "صحراء الإسلام"، و"المجاهدون" يتحركون فيها كيف شاءوا وأينما أرادوا، حتى ولو كان الخلاف بين قادتهم على أشُدِّه.

وفي إطار التوزيع الجغرافي لخارطة الحرب تولت كتائب وسرايا تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي والتي كانت تسيطر على مدينة تمبكتو ومعظم المناطق التابعة لولايتها - مهمةَ التصدي للقوات الفرنسية والإفريقية في تلك المنطقة، فضلاً عن الدفاع عن المعاقل الحصينة للتنظيم في جبل تغرغارت شمالاً.

ونفذ عناصر تنظيم القاعدة هجمات داخل مدينة تمبكتو ومطارها وبعض المدن والقرى الأخرى، كما اشتبكوا مع القوات الفرنسية والإفريقية في منطقة جبال الإفوغاس بأقصى الشمال، وفَقَد التنظيم عددًا من قادته وعناصره من جنسيات مختلفة، من بينهم عدد من الجزائريين، في مقدمتهم نائب أمير الصحراء وقائد كتيبة طارق بن زياد عبد الحميد أبو زيد -الذي سبق التعريف به في فقرة سابقة من هذا الكتاب- والقيادي والمدرب العسكري في إمارة الصحراء بلقاسم ازاويدي المكنى "أبو أسامة الجزائري" المنحدر من ولاية لمدية، وهو من بين عناصر التنظيم الذين اعتقلوا في مالي سنة 2008، وتم الإفراج عنه بداية عام 2009 في صفقة الإفراج عن مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى النيجر ونائبه اللذين كانا مختطفين لدى التنظيم، وقد قُتل "ازاويدي" أثناء محاولة القوات الفرنسية تحرير بعض الرهائن الذين تم رصدهم برفقته مع عدد من عناصر التنظيم أثناء تقدم القوات الفرنسية في أزواد شمالاً، وقتل معه حوالي ثمانية عشر عنصرًا أغلبهم ليبيون. كما فَقَد التنظيم في أزواد خبير المتفجرات الجزائري "عبد الملك غربي"، المنحدر من بلدة حاسي خليفة في ولاية سوف، ويبلغ من العمر 64 عامًا، وهو كما يقول عناصر التنظيم: رجل أُمِّيّ لا يكتب ولا يقرأ، كان قد انضم إلى مقاتلي الجماعة الإسلامية المقاتلة سنة 1994، ثم التحق بالجماعة السلفية للدعوة والقتال التي أصبحت لاحقًا تُعرف باسم تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وتمرن على صناعة المتفجرات حتى أصبح خبيرًا بها، والتحق بإمارة الصحراء في شمال مالي

بداية عام 2008، وانضم إلى كتيبة طارق بن زياد، وكان برفقة عبد الحميد أبو زيد وعدد من مقاتليه حين دخلوا الصحراء جنوب تونس واختطفوا منها زوجين نمساويين في فبراير/شباط سنة 2008، كما شارك في الهجوم الذي نفّذه مقاتلو القاعدة على وحدة من الجيش الموريتاني في بلدة تورين شمال البلاد وقُتل فيه 12 عسكريًّا موريتانيًّا، وقد لقي مصرعه في انفجار قنبلة عن طريق الخطأ أثناء دورة تدريبية في جبال الإفوغاس بعد اندلاع الحرب الفرنسية ضد الجماعات المسلحة. كما قُتل في المواجهات أيضًا في شمال مالي إسماعيل بن محمد بن الساسي المكنى "عبد الكريم الجزائري"، وهو من عائلة عبد الحميد أبو زيد، وكان أبوه من بين مقاتلي الجماعة السلفية للدعوة والقتال الذين دخلوا صحراء أزواد شمال مالي سنة 2003 مع عبد الرزاق البارا، واشتهر بلقبه "عمي حامد". ومن بين القتلى الجزائريين المنخرطين في صفوف تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في شمال مالي خلال الحرب مع الفرنسيين - المدعو "يزيد أبو زكريا"، وهو قائد ميداني من الصف الثاني في كتيبة طارق بن زياد.

كما قُتل عدد كبير من شباب قبائل الطورق والعرب الأزواديين في شمال مالي الذين انخرطوا في صفوف تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، ومن بينهم: أبو بكر أغ الحسن الأنصاري، المعروف بكنيته "رضوان أبو الأشبال"، وهو من القادة الطوارق في كتيبة طارق بن زياد، رغم أنه لم يلتحق بالتنظيم إلا بداية عام 2012، وكان من أبرز نشطاء التنظيم الذين يكتبون على المنتديات الجهادية، ولد ونشأ في الجزائر، وتلقى تعليمه الديني في موريتانيا، قبل أن ينتقل إلى شمال مالي ليلتحق بتنظيم القاعدة هناك، إضافة إلى عبدو الأنصاري الأزوادي، ونبيل مم ولد بله، وعيسى الأنصاري الأزوادي، ويزيد الطارقي الأنصاري، وهو من مدينة تمبكتو كان مسؤولاً سابقًا عن مدرسة "الفلاح" في المدينة قبل أن يلتحق بتنظيم القاعد، والمقداد محمد بن عمر الإفوغاسي، ودحمان أغ الوافي الأنصاري الطارقي، وجابر أحمد التلمسي وهو من عرب أزواد.

**ومن بين الموريتانيين المنخرطين في صفوف تنظيم القاعدة قُتل عدد كبير من ضمنهم: أمير سرية "الفرقان" في التنظيم محمد الأمين ولد الحسن المكنى "أبو**

الحسن عبد الله الشنقيطي"، والذي ينحدر من بلدة لفريوة جنوب نواكشوط وهو من فقهاء التنظيم ومنظريه، ومحمد سعيد الفيلالي المكنى "الملا ناصر أبو عبد الحكيم الشنقيطي"، وهو من مدرسي التنظيم أيضًا، وقد تزوج قبل مقتله بأشهر من ناشطة جهادية موريتانية تُدعى "ربيعة بنت محمد الأمين" وتكنى "أم الخطار"، التحقت مع أخريات بمعسكرات تنظيم القاعدة في شمال مالي. وكذلك محمد الفقيه ولد خطري المكنى "أبو داوود الشنقيطي"، وكان من أمراء هيئة الحسبة في مدينة تمبكتو خلال سيطرة المسلحين الإسلاميين عليها، كما عمل عضوًا في هيئة القضاء الشرعية بالمدينة خلال نفس الفترة، ومحمد ولد محمد الشمرة المكنى "أبو البراء الشنقيطي"، وعبد الجليل ولد ويس.

كما قُتل عدد من الليبيين الذين التحقوا بإمارة الصحراء الكبرى خلال المواجهات مع القوات الفرنسية والإفريقية، وأغلبهم ينحدرون من شرق ليبيا، خصوصًا من درنة وبنغازي، ومن بين هؤلاء القتلى: أبو مالك قيس الشريف، ومخلص محمد الوسيع، وعطية الفيتوري المكنى "أبو البراء الليبي"، وعكاشة أحمد امبارك، ومعاوية سالم الشيخي، والشيشاني أمين الرياني، وعبد الهادي افريدغ الشركسي المكنى "المثنى الليبي"، وأبو عمر رمضان الخمسي، وأسيد الليبي الذي نفّذ عملية انتحارية في مدينة كيدال بأقصى شمال أزواد.

وقُتل خلال تلك الحرب عدد من التونسيين المنخرطين في صفوف كتائب إمارة الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، من بينهم: عبد المجيد التونسي الذي قُتل في عملية اقتحام لمطار مدينة تمبكتو، وأحمد "أبو سياف التونسي"، وأبو العبد التونسي.

كما قُتل في نفس الحرب عدد من الشباب المنحدرين من إقليم الصحراء الغربية، الذين قاتلوا في صفوف تنظيم القاعدة بشمال مالي، ومن بينهم: غالي ولد البشير الموسوي المكنى "خالد أبو سليمان"، وكان قد تولى لفترة قيادة الشرطة الإسلامية في مدينة تمبكتو إبَّان سيطرة الحركات الإسلامية المسلحة عليها، وعلي ولد عبد الله المكنى "أبو خيثمة الصحراوي"، وحمدي ولد هرماس المكنى "صهيب الصحراوي"، وأبو جابر محمد الصحراوي. كما سقط بين القتلى في صفوف

تنظيم القاعدة بشمال مالي عدد من التشاديين، من بينهم: عبد الرحمن بن علي بن سدر القرعي المكنى "أبو بصير تشادي"، وعلي بن أبـــي بكر المكنى "أبو ثابــت" الذي نفّذ عملية انتحارية في مدينة كيدال. كما قُتل أبو دجانة النيجري الذي قتل في انفجار قنبلة تدريب عن طريق الخطأ في جبل تغرغارت، والمصري أبو البركات عبد الحليم المكنى "أبو عبد الله المصري"، وهو أحد قضاة إمارة الصحراء، وعضو في اللجنة الشرعية لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، إضافة إلى "أبو أحمـــد المغربـــي"، و"أبو دجانة السوداني".

ويقول نشطاء في تنظيم القاعدة: إن قتلاهم خلال الحـــرب مـــع القـــوات الفرنسية والإفريقية ينتمون لأكثر من ثماني عشرة جنسية، من بينـــها: الجزائـــر، ومالي، وموريتانيا، وتشاد، وليبيا، وتونس، والنيجر، ونيجيريا، وكوت ديفـــوار، وغامبيا، والسودان، ومصر، والمغرب.

## الفصل الرابع

# حلفاء القاعدة في أزواد

## 1- جماعة أنصار الدين

وهي حركة طارقية سلفية جهادية، تُعرِّف نفسها بأنها "جماعة محلية إسلامية مستقلة تطالب بإقامة الشريعة الإسلامية"، كما يقول زعيمها إياد أغ أغالي الذي أكد أن "الهدف من تكوين جماعة أنصار الدين هو إقامة الشريعة الإسلامية"، مضيفًا أن ذلك الهدف "ليس مسألة قابلة للنقاش، كما هو الشأن بالنسبة لمسألة الوحدة الترابيَّة عند الحكومة المالية"[1].

وقد تتبعتُ شخصيًا خلال لقاءات جمعتني ببعض قادة ومؤسسي هذه الحركة قصة نشأتها سنة 2011، حيث كانت البداية حين اتصل إياد أغ أغالي المكنى "أبو الفضل" برفيقيه في السلاح الشيخ أغ أوسا المكنى "أبو محمد" وأحمد أغ بيبي، وبعض القيادات التقليدية في جبهات التمرد الأزوادية سابقًا، ومعظمهم من قبائل "الإفوغاس" الطارقية التي ينتمي لها إياد أغ أغالي، وطلب منهم مساعدته في تأسيس كيان تكون مهمته الأساسية تطبيق الشريعة الإسلامية في أزواد، واتفقوا على ذلك، واتصلوا بالنائب في البرلمان المالي عن مدينة كيدال العباس أغ انتالا، وهو نجل شيخ مشايخ قبائل الإفوغاس انتالا أغ الطاهر، وعرضوا عليه الانضمام إليهم في جهودهم، فأبدى ترحيبًا وموافقة مبدئية على الفكرة، لكنه تحفَّظ في البداية على الانضمام إليهم؛ لأن الأزواديين يتطلعون إلى ما ستقوم به الحركة الوطنية لتحرير أزواد التي وُلدت قبل ذلك بأقل من سنة، وكان شقيقه محمد أغ انتالا ضمن قادتها، وقد بدأت "الحركة الوطنية" ساعتها في حشد قواتها قرب مدينة منيكا الأزوادية على الحدود مع النيجر، والاستعداد لإطلاق الحرب من هناك ضد الجيش المالي في أزواد.

---

1 "زعيم أنصار الدين يتحدث عن تدفق المهاجرين إلى شمال مالي".
https://arabliss.wordpress.com/2013/01/23/%D8%B2%D8%B9

وتوجه مؤسسو جماعة أنصار الدين إلى الحركة الوطنية لتحرير أزواد ودخلوا معهم في مفاوضات لتوحيد مشروعهم، وأبلغوهم باستعدادهم للانضمام لهم والقتال تحت رايتها إذا وافقوا على مشروعهم الإسلامي، لكن المفاوضات فشلت بعد إصرار قادة الحركة الوطنية على مشروع الاستقلال وإقامة الدولة الأزوادية المدنية في المنطقة. وعاد إياد ورفاقه إلى منطقة شمال كيدال، وشرعوا في بناء تنظيم جديد خاص بهم، كانت بدايته بسبع سيارات عابرة للصحاري تقلّ عددًا من المسلحين الشباب من "الإفوغاس"، ولما فشلت المحادثات مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد، وجَّه إياد أغالي أنظاره صوب تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي الذي ينشط في المنطقة، وطلب من نائبه الشيخ أغ أوسا مقابلة أحمد أغ مامة المكنى "أبو عبد الكريم التاركي" أمير "سرية الأنصار" المخصَّصة للمقاتلين الطوارق في تنظيم القاعدة، وهو من قادة القاعدة المنحدرين من قبائل "الإفوغاس"؛ لإقناعه بدعم جماعة أنصار الدين بمقاتلين من الطوارق.

وقد طلب الشيخ أغ أوسا من "أبو عبد الكريم التاركي" دعمهم بالمقاتلين الشباب من الطوارق المنخرطين في صفوف سريته دون غيرهم من المقاتلين غير الأزواديين؛ وذلك لتحقيق هدفهم المنشود وهو إقامة الدين وتطبيق الشريعة في أزواد، لكن النقاش بين الرجلين تطور إلى مشادات بعد أن اتهم أبو عبد الكريم التاركي الشيخ أغ أوسا بأنه جاء لتجريده من عناصره وسحب البساط منه، فردَّ الشيخ أغ أوسا بأن معظم مقاتلي "سرية الأنصار" في القاعدة هم أبناء قبائل الإفوغاس الذين كانوا يقاتلون معه أيام التمرد الذي قاده إبراهيم أغ باهانغا سنتي 2005 و2006، وأنهم قادرون على سحبهم من القاعدة واستردادهم متى أرادوا ذلك. وانتهى الاجتماع بين الرجلين دون أي نتيجة، وعاد الشيخ أغ أوسا أدراجه إلى إياد أغ أغالي ورفاقه؛ ليواصلوا تحركاتهم لتأسيس التنظيم الجديد واكتتاب مزيد من المقاتلين[1].

لكن البُعد القبلي لمؤسسي الحركة الجديدة وماضيهم في الثورات ضد مالي، جلب لهم مزيدًا من التأييد في صفوف قبائل الإفوغاس؛ حيث التحقت بهم تسع

1 مقابلة للباحث مع القيادي السابق في جماعة أنصار الدين الشيخ أغ أوسا.

سيارات محملة بالرجال والعتاد بعد أن انشقت عن الحركة الوطنية لتحرير أزواد، وعلى متنها عشرات المسلحين، ثم التحقت بهم بعد ذلك أربع سيارات قادمة من معسكرات "سرية الأنصار" التابعة لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وعلى متنها عدد من شباب الطوارق؛ ليتبين لاحقًا أنهم لم يكونوا منشقين عن تنظيم القاعدة وإنما كانوا في مهمَّة محددة، وهي الانخراط في صفوف الحركة الجديدة (أنصار الدين)؛ لتوفير حضور للقاعدة في وسطها ومعرفة حقيقة دعوتها لتطبيق الشريعة الإسلامية ورصد تحركاتها لصالح قادة إمارة الصحراء، ثم التحقت بهم بعد ذلك أربع سيارات أخرى وعلى متنها مسلحون من قبيلة "إفرغميسن" التي تنتمي لقبائل "الإفوغاس"، ليصبح العدد أربعًا وعشرين سيارة وعشرات المسلحين.

حينها قرر إياد أغ أغالي أنه بات لديه من الرجال والعتاد ما يمكنه من إطلاق شرارة الحرب ضد الحكومة المالية، فأصدر أول بيان أعلن فيه عن ميلاد تنظيم تحت اسم "جماعة أنصار الدين"، وتضمن البيان في أولى فقراته تقديمًا للهدف من وراء تأسيس الحركة الجديدة، حيث يقول: "إننا في جماعة أنصار الدين نسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في أرضنا، وتحكيم الإسلام في كل أمورنا؛ امتثالاً لقوله تعالى: "فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [النساء: 65]؛ ولذلك فإنَّ قتالنا هو لإعلاء كلمة الله، فهو جهاد في سبيل الله".

أما الرسالة الثانية التي تضمنها البيان فكانت تهدف إلى طمأنة جميع أبناء أزواد، خصوصًا من غير الطوارق، فخاطب البيان كافة سكان أزواد مستغلاً وحدة دينهم، حيث ورد في الفقرة الثانية منه "إننا نعتقد أن جميع المسلمين هم إخواننا، سواء كانوا عربًا أو عجمًا، بيضًا أو سودًا".

أما الفقرة الثالثة من البيان فقد عمدت إلى لمس وتر حسَّاس في أزواد وهو وتر الظلم، حيث يعاني الناس هناك من مظالم كثيرة، في مقدمتها ظلم العصابات والميليشيات وصولة القبائل بعضها على بعض، فكثيرًا ما نهبت الممتلكات وأزهقت الأرواح، هذا فضلاً عن ظلم السلطات المالية التي يقول السكان إنها تعاملهم بمنطق

الاحتقار؛ فكرَّس البيان فقرة منه لطمأنة السكان بهذا الخصوص "وإننا نعلن للجميع عن رفضنا للظلم والبغي، ونعوذ بالله أن نَظلم أو نُظلم". ويضيف البيان: "وحيث وقع منا خطأ أو ظلم فإننا مستعدون للتحاكم للشريعة مع أيٍّ أحد كائنًا من كان، وملتزمون -إن شاء الله- بردِّ المظالم إلى أهلها".

أما الفقرة الرابعة فكانت دعوة لعلماء البلد ووجهائه، مع الغمز من قناة الحركة الوطنية لتحرير أزواد باعتبارها حركة قومية علمانية، وتحذير الناس منها، وإن كان ذلك تم دون تصريح باسم الحركة، حيث دعا البيان "شيوخ العلم ووجهاء القبائل وعُرفاء الناس أن يحذِّروا الأمة وينبهوها إلى خطورة الحروب الأهلية، والدعوات الجاهلية التي تسعى إلى الإيقاع بأمن المسلمين بينهم وجرِّهم إلى الفتن".

وبعد أن أصدر إياد أغ أغالي بيانه الأول وبات بحوزته أربع وعشرون سيارة عابرة للصحاري وعشرات المسلحين، قرر بدء مغامرة الحرب من جديد، لكن هذه المرة لم يكن قتاله من أجل استقلال إقليم أزواد عن مالي، أو حصوله على حكم ذاتي، وإنما قاتل تحت شعار "التمكين للإسلام في أرض أزواد". وقبل شروع "أنصار الدين" في عملياتها العسكرية، اتصل بهم وفد من وجهاء أزواد كانوا يستفسرون عن آليات جماعة أنصار الدين واستراتيجيتهم لتحقيق هدفهم بإقامة الشريعة الإسلامية في أزواد ما داموا لا يسعون للانفصال عن مالي، وقد عرض الوجهاء على إياد أغ أغالي رسالة من الحكومة المالية تقوم على أساس تعيين قضاة شرعيين من علماء الدين في كيدال والمناطق الشمالية الشرقية من أزواد؛ ليحكموا بين الناس في أحوالهم الشخصية وخصوصياتهم المحلية بالشريعة الإسلامية. لكن إياد أغ أغالي كان له هدف أكبر من مجرد تعيين قضاة شرعيين في المنطقة، وفشلت المفاوضات بينهم وبين الوجهاء، فشرعوا في التخطيط لبدء الحرب، وكانت عيونهم تراقب الحركة الوطنية لتحرير أزواد التي تهاجم قواتها مدينة "منيكا" قرب الحدود مع النيجر، ومدينة "ليرة" قرب الحدود مع موريتانيا، وذلك في محاولة لمنافسة الحركة في تسجيل النقاط على الأرض، وتحرك مقاتلو "أنصار الدين" صوب مدينة أجلهوك الجبلية، التي توجد بها قاعدة للجيش المالي، وهاجموها في

شهر يناير/كانون الثاني عام 2012، لكن الهجوم فشل بعد أن اكتشف مقاتلو جماعة أنصار الدين وجود دبابات كانت ترابط في وضع قتالي خارج القاعدة العسكرية، لم تتمكن عيونهم من رصدهم سابقًا؛ فاضطروا للانسحاب تحت وطأة قصف الدبابات بعد مقتل 11 عنصرًا منهم، وكانت تلك بداية مخيبة للآمال، أحبطت معنوياتهم ودفعتهم إلى إعادة التفكير في توقيت الحرب، ونصبوا كمائن على الطرق المؤدية إلى المدينة؛ لمنع وصول أي إمدادات لها. وأثناء تشاورهم لوضع خطة جديدة للهجوم، فوجئوا برتل من القوات المالية يتقدمه الكولونيل محمد ولد ميدو، وهو يتجه إلى مدينة أجلهوك، قادمًا من مدينة غاوا لتعزيز القوات الموجودة بالمدينة، فنصبوا له كمينًا واشتبكوا معه، فكان عنصر المباغتة لصالح مقاتلي أنصار الدين؛ حيث قُتل عدد من عناصر الرتل العسكري، واعتقل العشرات، وغنموا سيارات وكميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة، وانسحب ولد ميدو وباقي قواته، بعد إصابته بجروح خفيفة، فأعاد لهم ذلك الانتصار معنوياتهم، وانسحبوا إلى مسافة تبعد حوالي 10 كلم خارج "أجلهوك" للتخطيط لهجوم جديد.

## "القاعدة" تعرض خدماتها

أثناء استعداد قادة أنصار الدين لإعادة الكرَّة ثانية والهجوم على مدينة أجلهوك زارهم نائب أمير منطقة الصحراء الكبرى في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي نبيل مخلوفي المكنى "نبيل أبو علقمة"، وبصحبته سيارات تقلّ عددًا من المقاتلين، وعرض عليهم التعاون معهم، قائلاً: إن تنظيم القاعدة لا يمكن أن يتفرج على قتال بين مَن "يسعون لإقامة الدين" ومَن "يسعون للتمكين للطاغوت"، دون أن يشارك. لكن إياد أغ أغالي رد عليه بأن موعد إشراكهم في المعارك لم يحن بعدُ، وسيتم الاتصال بهم في الوقت المناسب. وغادر نبيل مخلوفي معسكر "أنصار الدين" الذي يوجد به عناصر موالون له جاؤوا أصلاً من "سرية الأنصار"، وكانوا يُطلِعونه أولاً بأول على خطط وتحركات "أنصار الدين".

وفي محاولة لتجنُّب المواجهة من جديد في أجلهوك، اتصلت جماعة أنصار الدين بأحد وجهاء المدينة، وسلمته شريط فيديو وجهاز اتصال عن بُعد، وطلبوا

منه أن يسلمهما لقائد الحامية العسكرية المالية في المدينة، وتضمن الشريط عرضًا من أنصار الدين بالسماح للقوات المالية بالانسحاب من المدينة مع سياراتهم دون التعرض لهم، أو مواجهة هجوم كاسح لا يُبقي ولا يذر، على أن يتم التواصل بينهم وبينه عبر الجهاز اللاسلكي الذي زوَّدوه به. وقد ردَّ قادة الجيش المالي في المدينة بإهانة الوجيه الطارقي الذي أُرسل إليهم واعتقاله وتحطيم شريط الفيديو الذي جاء به، ساعتها بدأ مقاتلو أنصار الدين بالهجوم على القاعدة العسكرية. ومع اندلاع المعارك تدخَّل رتل من قوات القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وشارك في تلك المواجهات بعنف إلى جانب مقاتلي أنصار الدين، وخلال هذه المعركة قُتل أول شاب من أبناء أزواد التحق بالجماعات الجهادية عشية وصولها إلى المنطقة بداية العقد الماضي، ويُدعى "الزبير التماشقي"، وهو من الطوارق، إضافة إلى أبي شريح الأزوادي المنحدر من إحدى القبائل العربية الأزوادية، كما لقي القياديان البارزان في سرية "الفرقان" بتنظيم القاعدة الميمون ولد امينوه المكنى "خالد الشنقيطي" والسالم ولد امبارك المكنى "حمزة" مصرعهما في تلك المعركة[1]، وهما من قادة الصف الثاني في كتائب الصحراء. وقد حدثني أحمدو ولد الشريف المختار المكنى "خبيب" -وهو قيادي من سرية الفرقان، ينحدر من مدينة بوتلميت في غرب موريتانيا- خلال لقائي به في مدينة تمبكتو عن معركة أجلهوك، ولحظات مقتل صديقه العزيز وقائده الذي يعتز به، الميمون ولد امينوه (خالد الشنقيطي)، حيث قال إنهما (أي خبيب وخالد) كانا يقاتلان معًا خلال المعركة من خلف ساتر واحد على الجانب الغربي من السور المحيط بالقاعدة العسكرية في المدينة، وأثناء المعركة ومع اشتداد وطأة القتال طلب بعض المقاتلين من "خبيب" الذي كان يحمل سلاح "الآر بي جي7" التوجُّه إلى أحد المواقع لضربها، وبعد حوالي دقيقتين من مغادرته مكان تحصُّن زميله "خالد" وسط إطلاق نار كثيف، فوجئ

1 "مقتل القيادي بالقاعدة ولد امينوه ورفيقيه ولد امبارك خلال هجوم الطوراق على أجلهوك".

http://www.ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=17031

بأحد المقاتلين وهو يصيح به "قُتل خالد"، فسارع إلى مكانه حيث وجده مرميًّا على الأرض، وقد استقرت رصاصة في جبهته. أما خبير المتفجرات السالم ولد امبارك المكنى "حمزة" والذي ينحدر من مدينة تجكجة في الشمال الموريتاني، فقد قُتل أثناء محاولته مع عشرة من مقاتلي جماعة أنصار الدين زرع عبوة ناسفة عند أحد الجدران المحيطة بالقاعدة العسكرية لإحداث ثغرة فيه، ويقول المقاتلون: إن خطأ وقع أثناء محاولتهم زرع العبوة الناسفة، فانفجرت حيث قضوا جميعًا في الانفجار، وقد أعلنت جماعة أنصار الدين وتنظيم القاعدة ساعتها أنهم فَقَدوا 18 عنصرًا في تلك المعركة.

ومباشرة بعد معركة أجلهوك بدأ التنسيق بين الجماعتين على أعلى المستويات، بما في ذلك الجانب الدعوي والفكري، حيث قام القائد البارز في جماعة أنصار الدين "إبراهيم بنا" في رفقة القيادي في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي "عبد الله الشنقيطي"، بقيادة مجموعة من عناصر الحركتين باتجاه منطقة "أبيبرا" على بُعد أقل من مائة كلم شمال مدينة كيدال، وهي مضارب قبيلة "إيريكان" التي ينحدر منها زعيم أنصار الدين إياد أغ أغالي، وهناك نظموا دروسًا ودورات علمية، ونقاشات مع السكان والأعيان في المنطقة حول "استراتيجية المجاهدين" وسعيهم لتطبيق الشريعة الإسلامية، ويقول ناشطون في التنظيمين: إنه بعد سقوط مدينة تساليت وقاعدتها العسكرية بأيدي أنصار الدين والقاعدة، تقرَّر أن يتم تنظيم رحلات دعوية لشرح أهداف "المجاهدين" ومحاولة إقناع الناس بها، مع توقيف مؤقت للعمليات العسكرية، لكن الانقلاب العسكري الذي وقع في باماكو بقيادة النقيب أمادو سونغو غيَّر من تفكير قادة الحركتين، ودفعهما لمهاجمة مدينة كيدال والسعي للسيطرة عليها، قبل أن تتساقط باقي مدن أزواد تباعًا.

### من هو مؤسس "أنصار الدين"؟

مؤسس جماعة أنصار الدين وقائدها هو الدبلوماسي المالي السابق في جدة "إياد أغ أغالي"، وهو من أعيان قبيلة "إيريكان" التي تنتمي لعشائر الإفوغاس الطارقية، وزعيم سابق للمتمردين الطوارق، قاد مواجهاتهم مع الجيش المالي خلال

بداية تسعينات القرن الماضي، وقد اعتمدت جماعة أنصار الدين عند تأسيسها في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011 على مقاتلين من متمردي تنظيم "تحالف مايو"، الذي أسسه الزعيم الطارقي الراحل إبراهيم أَغ باهانغا سنة 2005 قبل وفاته في حادث سير بمنطقة أدرار الإفوغاس شمال أزواد، في أواخر أغسطس عام 2011، عشية عودته من ليبيا عقب انهيار نظام العقيد القذافي، وقد توفي باهانغا أثناء استعداده لإطلاق ثورة مسلحة جديدة في أزواد. وينتمي معظم عناصر جماعة أنصار الدين إلى قبائل "الإفوغاس"، وهي قبائل الشوكة والسلاح والقيادة في المجتمع الطارقي، وقد انضم إليهم بعض المقاتلين من القبائل الطارقية الأخرى، لكنهم كانوا قلة بالمقارنة مع حجم وجود أبناء الإفوغاس في الحركة. كما استفاد إياد أغ أغالي من حركة انضمامات واسعة لعناصر الحركة الوطنية لتحرير أزواد التي تقاتل من أجل استقلال الدولة الأزوادية بعد هزيمة هذه الأخيرة أمام مقاتلي حركة التوحيد والجهاد بغرب إفريقيا وكتيبة "الملثمين" في مدينة غاوا منتصف شهر يونيو/حزيران عام 2012.

ويُعرف قائد جماعة أنصار الدين إياد أغ أغالي (أغالي تحريف لاسم علي بالتماشقية الطارقية؛ لأن العين ليست من الأحرف المنطوقة في لغة التماشق، كما أنها تسبق عادة بالهمزة عند النطق بها) المكنى "أبو الفضل" بأنه كان ذا توجُّه ليبرالي قومي في بداية مشواره النضالي، وكان من أوائل شباب الطوارق الذين التحقوا بليبيا، وقاتل في جنوب لبنان مع المئات من أبناء الطوارق والعرب الأزواديين الذين أرسلهم معمر القذافي في الفترة ما بين 1982 و1984 للقتال ضد القوات الإسرائيلية ودعم الفدائيين الفلسطينيين، كما شارك مع الجيش الليبي في الحرب التي خاضتها ليبيا ضد تشاد؛ بسبب نزاع البلدين على إقليم "أُوزُو" الحدودي بينهما خلال الفترة ما بين 1988 و1989. ويقول نشطاء من الطوارق عاصروا تلك الحقبة: إن العشرات من شباب الطوارق والعرب الأزواديين قاتلوا مع القوات الليبية خلال حربها مع تشاد، بناء على وعد من معمر القذافي بدعمهم في نضالهم من أجل تحرير أزواد، لكنه تراجع عن الوعد بعد انتهاء القتال مع تشاد، وحاول استيعابهم في كتائب عسكرية تابعة له، وعمالة الشركات النفطية. وفي نهاية عقد

الثمانينات عاد إياد أغ أغالي ومئات من شباب الطوارق والعرب إلى أزواد قادمين من ليبيا والجزائر؛ ليؤسس مع بعض القادة الأزواديين حركة انفصالية تطالب باستقلال إقليم أزواد عن دولة مالي، تولى هو قيادتها العسكرية، وتولى أحمد ولد سيدي محمد المنحدر من قبيلة "أولاد إعيش" البربوشية قيادتها السياسية[1].

لكن إياد أغ أغالي انفصل عن الحركة وأسس حركة خاصة بالطوارق عُرفت باسم "الحركة الشعبية لتحرير أزواد"، بينما أسس العرب حركة خاصة بهم تسمى "الحركة العربية الإسلامية لتحرير أزواد". وقد بدأت الحركة الشعبية نشاطاتها المسلحة سنة 1990، وكانت أول عملية تقوم بها هي الاشتباك مع القوات المالية في بلدة "تيمدغين" بأقصى شمال أزواد، ثم تلتها عمليات أخرى كان من أشهرها الهجوم على مدينة "منيكا" التي توجد في ضاحيتها قاعدة "أمشش" العسكرية، ثم الهجوم لاحقًا على بلدة "أبيبرا"، وكان الحظ حليفًا للمتمردين الطوارق في تلك العمليات، الأمر الذي زاد من حماسهم للقتال واستمرار التمرد، وتمكن إياد أغ أغالي من إقامة قاعدة ثابتة لمقاتليه على أراضي أزواد لأوَّل مرة في بلدة "تجريرت" التابعة لمنطقة "منيكا"؛ حيث اتخذ منها منطقة لقيادة العمليات وترتيب شؤون مقاتليه، لكنه سرعان ما أنشأ موقعًا ثانيًا في جبل "تغرغارت" في أقصى شمال شرق أزواد، ونقل إليه مركز القيادة.

إلا أن تماسك الحركة الشعبية لتحرير أزواد لم يعمر طويلاً، فقد فتكت به العصبية الإثنية والحميَّة القبيلية وعانت انشقاقات كبيرة، خصوصًا بعد قبول زعيمها إياد أغ أغالي باتفاق تمنراست الذي وقّع بالجزائر في يناير/كانون الثاني عام 1991، بعد حوالي ستة أشهر من المواجهات والمعارك مع الجيش المالي. وقد تأسست تلك الانشقاقات داخل الحركة على أساس قبلي، حيث انشقت عنها "الجبهة الشعبية لتحرير أزواد" وكان من أبرز قادتها عيسى أغ سيد محمد المعروف باسم "عيسى فوقا"، والضابط الصلاة أغ خبي الموجود حاليًا في صفوف

1 "أزواد الأمازيغية.. الحوض المالي.. التاريخ والجغرافيا.. ثم الحرب".
http://www.elhora.info/online/index.php?option=com_content&view=article&id=7234:2012-12-20-14-26-13&catid=60&Itemid=760

الحركة الوطنية لتحرير أزواد، وهي أساسًا مؤلّفة من مقاتلي قبائـــل "شمنـــامس" الطارقية. كما انشقت عنها أيضًا حركة أخرى تحمل اسم "الجيش الثوري لتحرير أزواد" بقيادة "عبد الرحمن كلا" القنصل المالي حاليًا في تمنراست بالجزائر، والهجي أغ غامو القائد الحالي للمنطقة العسكرية لشمال مالي، وهي حركة مؤلفة أساسًـــا من قبائل "الإيمغاد" الطارقية، بينما احتفظ إياد أغ أغـــالي ورفاقـــه مـــن قبائـــل الإفوغاس والإيدان وبعض القبائل الأخرى باسم الحركة الشعبية لتحرير أزواد.

وبعد أن وقّع إياد أغ أغالي اتفاق تمنراست برعاية جزائرية مـــع الحكومـــة المالية، شارك مع القوات المالية في إخضاع الحركات الأخرى الرافضة للاتفاقيـــة بالقوّة، كالجيش الثوري لتحرير أزواد، والجبهة الشعبية لتحرير أزواد، والحركـــة العربية الإسلامية لتحرير أزواد، الأمر الذي أثار صراعات قويـــة بـــين القبائـــل والعرقيات في الإقليم؛ بسبب توزيع الجبهات والحركات على أساس قبلي. كمـــا سبَّب قتال إياد أغ أغالي وعناصره ضد باقي الحركات المتمردة في خلق عـــداوات له داخل الحركات الأخرى غذّاها تاريخ من الصراع بين قبائل الإفوغاس والقبائل الأخرى، وقد تعرض لمحاولات اغتيال عديدة نجا منها، وبالمقابل قـــام المـــاليون - بموجب الاتفاق- بإدماج المقاتلين التابعين لحركته وغيرها من الحركات التي وقّعت بعد ذلك على اتفاقية السلام في الجيش المـــالي، حســـب رتبـــهم العســـكرية في التنظيمات، وعرض الماليُّون على إياد أغ أغالي -حسب ما نقل لي أحـــد قـــادة التمرد السابقين- رتبة جنرال في الجيش المالي، وحاكمًا لمنطقة كيدال، ثم عُيِّن بعد ذلك نائبًا لقنصل جمهورية مالي في جدة بالمملكة العربية الســـعودية. وفي نهايـــة تسعينات القرن الماضي انضم إياد أغ أغالي إلى جماعة الدعوة والتبليغ، حيث كان يمارس نشاطاته الدعوية في بعض مساجد مالي وموريتانيا، وزار مراكـــز جماعـــة الدعوة والتبليغ في باكستان، كما لعب دور الوسيط في عمليات تحريـــر بعـــض الرهائن الغربيين لدى تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في شمال مالي، وقـــد أبعدته سلطات المملكة العربية السعودية عن أراضيها سنة 2008 بعد أن أصبحت تحوم حوله الشبهات؛ بسبب علاقاته المفترضة مع شبكات جهادية. ومع ســـقوط نظام العقيد معمر القذافي في ليبيا وعودة آلاف المقاتلين من الطوارق إلى أزواد إثر

هزيمة قوات كتائب القذافي التي كانوا يقاتلون فيها، ظهر إياد أغ أغالي في أزواد، واتصل ببعض رفاق دربه في السلاح من أمثال الشيخ أغ أُوسَّا وأحمد أغ بيبي، وتمركز في جبال الإفوغاس بالجزء الشمالي من أزواد المعروف باسم "أدْرَار الإفُوغَاس" بأقصى شمال شرق مالي، حيث يسيطر مقاتلو تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي على تلك السلسلة الجبلية، وتمكن من جمع عشرات المقاتلين من قبائل الإفُوغَاس التي ينتمي إليها. وفي نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011 أعلن عن ميلاد جماعة أنصار الدين كحركة جهادية شعبية.

## العلاقة الإعلامية مع القاعدة

كان مسؤول الإعلام في كتيبة "الملثمين" التابعة حينها لتنظيم القاعدة "الحسن ولد اخليل" المكنى "جليبيب" - هو القناة الإعلامية لجماعة أنصار الدين والحركات المتحالفة معها خلال الأسابيع الأولى للمعارك مع الجيش المالي، قبل السيطرة على المدن الكبرى في أزواد، التي ظهر بعدها في مدينة تمبكتو المتحدث الإعلامي باسم الحركة سندة ولد بوعمامة المكنى "أبو عمر".

فقد كان أول ظهور لاسم جماعة أنصار الدين في الإعلام نهاية شهر ديسمبر/كانون الأول 2011، عندما اتصل بي "جليبيب" -باعتباري صحفيًّا مهتمًّا بالمنطقة والحركات المسلحة فيها- ليسألني إن كنت سمعت بميلاد حركة جهادية طارقية جديدة يقودها القنصل المالي في جدة سابقًا إياد أغ أغالي، ثم بدأ يستطرد في الحديث قائلاً: إن إياد أغ أغالي ظهر في جبال أدرار الإفوغاس، والتف حوله عدد كبير من المقاتلين من قبائل الإفوغاس بينهم ضباط سابقون في الجيش المالي وآخرون عائدون من ليبيا ومتمردون سابقون، وأعلن عن تأسيس حركة شعبية جهادية "تسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية، وإعادة الاعتبار لعلماء الدين في المنطقة"، وواصل "جليبيب" اتصالاته بي بعد ذلك خلال الأسابيع التالية، مروجًا لخطاب "جماعة أنصار الدين" ومحدثًا عن أخبارهم وأنباء معاركهم، ولما طلبت منه تزويدي بعنوان المسؤول الإعلامي لجماعة "أنصار الدين" بُغية الاتصال به، أبلغني بأنه حاليًا هو من يتولى مسؤولية الإعلام لتلك الجماعة، بتعليمات من

قائدها إياد أغ أغالي، وتعهّد بموافاتي بكل جديد يتعلــق بالحركــة ونشــاطاتها ومعاركها.

وكان أول عمل عسكري تقوم به جماعة أنصار الدين في يناير/كانون الثــاني عام 2012، حين هاجم مقاتلوها بمعيَّة عناصر القاعدة مدينة "أجلهوك" بشــمال أزواد، حيث توجد قاعدة عسكرية للجيش المالي، وأتذكر أنه عند بدء المعركــة وصلتني رسالة نصية قصيرة (إس أم إس) عبر الهاتف فجرًا من "جليبيب" جاء فيها "مدينة أجلهوك تحت النار"، وبعد الاتصال به أخبرني أن مقاتلي "جماعة أنصــار الدين" هاجموا المدينة، وأنه هو شخصيًّا يوجد على بُعد حوالي 12 كلم من المدينة ويتابع المعركة عن قرب، مضيفًا أن هجومهم بدأ في حــدود الســاعة الخامســة وخمس وأربعين دقيقة فجرًا، وأن المعركة اســتُخدمت فيهــا الأســلحة الثقيلــة والمتوسطة وراجمات الصواريخ.

وبعد سيطرة أنصار الدين على أجلهوك[1]، أعلنت الحركة الوطنيــة لتحريــر أزواد في تصريح للناطق الإعلامي باسمها، أنها هي التي سيطرت عليها إضــافة إلى مدينة "منيكا"، فجاء رد أنصار الدين على لسان "جليبيب" نفسه، الذي أكــد أن جماعة "أنصار الدين" هي التي سيطرت على مدينة أجلهوك، نافيًا أن تكون الحركة الوطنية شاركت في الهجوم عليها، وأعطى تفاصيل أكثر عن معركــة أجلــهوك، حيث أكد أن مقاتلي جماعة أنصار الدين واجهوا صعوبة في اقتحــام المدينــة في البداية؛ بسبب التحصينات الكبيرة والقوية لقاعدتها العسكرية، والمقاومة التي أبداها العسكريون الماليون المتحصنون فيها، لكنهم قرروا محاصرتها وقطــع الإمــدادات عنها؛ وذلك عبر نصب كمائن على الطرق الثلاثة التي تؤدي إلى المدينــة، وهــي الطريق الرابط بينها وبين مدينة كيدال، والطريق الذي يربط بينها وبــين مدينــة تساليت، والطريق الثالث الرابط بينها وبين مدينة غاوا. وخلال اليوم الثاني علــى محاصرة المدينة وأثناء دراسة قادة أنصار الدين لخطة اقتحامها بعد فشل محاولتــهم

1 "تفاصيل جديدة عن هجوم أنصار الدين على مدينة أجلهوك".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=16773

السابقة، اقترب منها رتل عسكري من الجيش المالي بقيادة الضابط محمد ولد ميدو الذي ينتمي لقبيلة "ترمز" العربية في أزواد، قادمًا من مدينة غاوا، وبمعيته 35 سيارة عابرة للصحاري، و3 شاحنات، ومدرعتان وصهريج وقود، وحين وصل ولد ميدو إلى مشارف المدينة اشتبك مع كمين لمقاتلي جماعة أنصار الدين، واستمر القتال ليلاً. وفي اليوم التالي اشتدت المواجهة، وتمكّن مقاتلو أنصار الدين من تدمير إحدى المدرعتين وإصابة برج الثانية والاستيلاء على شاحنات نُصب عليها سلاح من نوع 14,5، وقد أصيب ولد ميدو في تلك المواجهة بجروح طفيفة، وتمكن من الانسحاب في المدرعة التي أصيب برجها، وقُتل عدد من جنوده، ووقع آخرون في الأسر.

وباعتباره ناطقًا باسم المقاتلين الإسلاميين في أزواد قدَّم "جليبيب" في تصريحاته حصيلة المعركة النهائية للسيطرة على مدينة أجلهوك، قائلاً: إنهم تمكنوا من وضع اليد على مخزون ضخم جدًّا من الأسلحة والذخيرة في قاعدتها العسكرية، ومخزون كبير من المواد الغذائية، وأن الحصيلة النهائية تمثلت في قتل 59 عسكريًّا ماليًّا، وأسر 9 منهم، بينما قُتل 17 من عناصر جماعة أنصار الدين وتنظيم القاعدة المتحالف معها.

وقد حسمت الحكومة المالية الجدل الإعلامي ساعتها حول هوية الجهة التي سيطرت على مدينة أجلهوك، وأكدت أن مقاتلي جماعة أنصار الدين مدعومين بمقاتلي تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي هم من سيطروا عليها، واتهمتهم بارتكاب مذبحة ضد الجنود الماليين الذين سلموا أنفسهم بعد مهاجمة القاعدة العسكرية بالمدينة.

كان استطرادي في هذا السرد لتفاصيل معركة السيطرة على مدينة أجلهوك وقاعدتها العسكرية؛ لتوضيح مدى التحالف المبكر الذي حصل بين جماعة أنصار الدين وتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وفي وقت لاحق جماعة التوحيد والجهاد بغرب إفريقيا، وهو تحالف لم يكن قادة جماعة أنصار الدين لينفوه، بل إن زعيمهم إياد أغ أغالي قال في أول خطاب له عبر إذاعة محلية في مدينة تمبكتو بعد سيطرتهم عليها: إن طرد القوات المالية من أزواد تم بالتعاون بين حركته ومن

سماهم المجاهدين، في إشارة إلى مقاتلي تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا.

وفي نفس الخطاب كشف إياد أغ أغالي عن حقيقة الأيديولوجية الجهادية لجماعته قائلاً: إن "من أهم وسائل جماعة أنصار الدين لتحقيق أهدافها المتمثلة في إقامة الدين، هو جهاد الممتنعين عن الشريعة وقتالهم؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"[1].

كما أعلنت جماعة أنصار الدين في بيان أصدرته بعد سيطرة مقاتليها مع حلفائهم على كبريات المدن في أزواد، أن هدفها ليس انفصال إقليم أزواد عن دولة مالي، وإنما تطبيق الشريعة الإسلامية فيه وفي كافة أراضي جمهورية مالي، وإنهاء الصبغة العلمانية للدولة المالية.

لكن الشيخ أغ أوسا نائب أمير جماعة أنصار الدين السابق نفى خلال حديث دار بيني وبينه أن يكون ذلك التحالف ناجمًا عن اتفاق فكري أو أيديولوجي بين أنصار الدين وتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، بل جاء بناء على طلب وإلحاح من قادة تنظيم القاعدة، واعتمادًا على استراتيجية وضعها قادة أنصار الدين تقوم على توجيه سلاح القاعدة الذي أوجدته الحكومة المالية ضدها، حيث يقول الشيخ أغ أوسا: إن الرئيس المالي السابق أمادو توماني توري هو من جلب القاعدة إلى أزواد، ومكّن لها فيه وتعامل معها، وغايته من ذلك ضرب الحركات التحررية في أزواد، والتشويش عليها وتلطيخ سمعتها عالميًّا وربطها بالإرهاب، أما ما قامت به جماعة أنصار الدين فهو توجيه سلاح القاعدة الذي جاء به الرئيس المالي إلى صدور الماليين أنفسهم، واستخدامه في طرد قواتهم من أزواد، وهو ما نجحت فيه جماعة أنصار الدين، حسب قوله.

1 "إياد أغالي: المجاهدون وأنصار الدين تعاهدوا على نصرة الشريعة وقتال الرافضين لها".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=17667

## تحالف حذر مع "الحركة الوطنية"

خلال الحرب مع القوات المالية تحالفت جماعة أنصار الدين الجهادية كذلك مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد العلمانية القومية، وخاض مقاتلو الحركتين معارك مشتركة ضد القوات المالية خصوصًا في منطقة تساليت، لكنه تحالف ظل حذرًا للغاية، وتعامل فيه الطرفان مع بعضهما بمنطق الحذر والاحتراز. وهنا سأستطرد بعض التفاصيل؛ لتوضيح حقيقة ذلك التحالف، وما شابه من توتر وانعدام ثقة في العلاقة بين الطرفين.

ففي السابع عشر من فبراير/شباط عام 2012، وأثناء محاصرة قوات من الحركة الوطنية لتحرير أزواد لقاعدة "أمشش" العسكرية على مشارف مدينة تساليت، وهي قاعدة حصينة أقامها الفرنسيون قبل استقلال مالي، وتوصف بأنها الأكثر تحصينًا في المنطقة، حاولت قوات من الجيش المالي التدخل لفك الحصار عنها، غير أن مقاتلين من جماعة أنصار الدين وتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي تصدوا لقافلة الإمداد المالية واشتبكوا معها في وادي "انميدر" غرب "أمشش". وفي الثاني من مارس/آذار التالي تصدت قوات من جماعة أنصار الدين والقاعدة أيضًا لفيلقين عسكريين ماليين أحدهما بقيادة الكولونيل الهجي أغ آمو، والثاني بقيادة الكولونيل محمد ولد ميدو، ومنعوهما من الوصول إلى القاعدة العسكرية. وقد تمكنت قوات أنصار الدين وتنظيم القاعدة من السيطرة على المحاور الشمالية والشمالية الغربية القريبة من القاعدة العسكرية، بينما سيطرت قوات الحركة الوطنية لتحرير أزواد على المحاور الجنوبية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية للقاعدة، وكانت قوات الحركة الوطنية سبَّاقة لمحاصرة القاعدة العسكرية وهي الأقرب لخطوط الهجوم الأمامية، وقد استغلت قوات "أنصار الدين" عملية قام بها مقاتلو الحركة الوطنية نهاية شهر فبراير/شباط لملاحقة قوات مالية كانت تحاول فك الحصار عن القاعدة العسكرية، فسارع مقاتلو جماعة أنصار الدين إلى احتلال المواقع المتقدمة التي كانت قوات الحركة الوطنية تسيطر عليها وتركتها أثناء عملية مطاردة فلول قوات الإمداد المالية، وهو ما رفضته الحركة الوطنية واعتبرته خديعة من مقاتلي أنصار الدين، الذين احتلوا مواقع كانت في قبضتها منذ

أسابيع، وكاد الأمر يتطور إلى إشكال بين الحركتين، لكن اجتماعًا عُقد بين الطرفين حضره عن الحركة الوطنية لتحرير أزواد أمينها العام بلال أغ شريف، والقائدان الميدانيان امبارك أغ أكلي، والصلاة أغ خبي، بينما حضره عن جماعة أنصار الدين قائدها إياد أغ أغالي، ونائبه الشيخ أغ أوسا، ووقّع الجانبان اتفاقًا مكتوبًا يقضي بأن تسحب جماعة أنصار الدين وحلفاؤها مقاتليهم من المواقع المتقدمة القريبة من قاعدة "أمشش" العسكرية، وتُمهل الحركة الوطنية لتحرير أزواد ثلاثة أيام لاقتحام القاعدة العسكرية والسيطرة عليها، وإن لم تتمكن من ذلك خلال الأيام الثلاثة تغادر مواقعها القتالية، وتترك مهمة مهاجمة القاعدة العسكرية والسيطرة عليها لمقاتلي جماعة أنصار الدين.

وقد ركزت قوات الحركة الوطنية لتحرير أزواد هجماتها على القاعدة العسكرية خلال تلك الأيام الثلاثة على أمل أن تسيطر عليها، وفجر يوم السبت 10 مارس/آذار 2012 انتهت المهلة التي اتفقت عليها الحركة مع جماعة أنصار الدين، ولم يتمكن مقاتلوها من اقتحام القاعدة العسكرية، فانسحبوا من محيطها تنفيذًا للاتفاق، وذلك بعد أن أنهكوا القوات المالية المتحصنة داخلها، والتي فرضوا عليها حصارًا محكمًا لعدة أسابيع. وتقدَّم مقاتلو جماعة أنصار الدين مدعومين بكتائب من تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وبدؤوا الهجوم خلال ساعات الصباح الأولى، وبعد يوم من المعارك تمكنوا من اقتحام القاعدة العسكرية مساءً والسيطرة عليها، واعتقلوا عشرات الجنود الذين كانوا يتحصنون داخلها، وتقاسمت أنصار الدين والحركة الوطنية الغنائم، خصوصًا كميات الأسلحة والذخيرة التي كانت داخل القاعدة العسكرية، وتبادلتا الادعاءات بشأن حقيقة السيطرة على المدينة، حيث ادعت كل منهما سيطرتها عليها، وهو ما دفع جماعة أنصار الدين إلى تعيين مجلس محلي لتسيير المدينة باسمها، أسندت رئاسته إلى القيادي في الجماعة إبراهيم أغ بنه، وهو ضابط سابق في الجيش المالي من الطوارق انشق عن القوات المالية، وانضم لجماعة أنصار الدين.

كما أن الخبرة العسكرية والتجربة الطويلة في التمرد لزعيم جماعة أنصار الدين إياد أغ أغالي، والمتحالفين معه من عناصر تنظيم القاعدة ببلاد المغرب

الإسلامي وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، مكنتهم نسبيًّا من حشر الحركة الوطنية لتحرير أزواد في الزاوية ومحاولة حرمانها من تحقيق مكاسب استراتيجية على الأرض، من خلال ترك قوات الحركة تهاجم المدن والتجمعات السكانية للاصطدام بالسكان، والدفع بقوات جماعة أنصار الدين والحركات المتحالفة معها نحو القواعد العسكرية والثكنات للسيطرة عليها، ووضع اليد على محتوياتها من مخازن الأسلحة والذخيرة، ومن ثَمَّ التحرك نحو بعض الأحياء الشعبية والتجمعات السكانية التي ارتكب فيها مقاتلون محسوبون على الحركة الوطنية أعمال انتقام أو سلب ونهب؛ وذلك لتقديم "الجهاديين" باعتبارهم مخلِّصين ومنقذين من بطش الجيش المالي وانتقام الحركة الوطنية. ورغم ذلك استطاعت الحركة الوطنية بسط سيطرتها على أجزاء كبيرة من أزواد، وكسبت مئات المقاتلين من مختلف قبائل المنطقة.

## الجيش المالي.. بداية الانهيار في الشمال

شكَّل سقوط قاعدة "أمشش" العسكرية قرب مدينة تساليت في العاشر من مارس/آذار عام 2012 بيد جماعة أنصار الدين بداية انهيار الجيش المالي في أزواد، ثم جاء الانقلاب العسكري الذي قاده النقيب أمادو سونغو في باماكو ضد الرئيس أمَادو تُومَانِي تُورِي في 21 مارس/آذار 2012؛ ليوجِّه الضربة القاضية لمعنويات الجيش المالي المنهارة أصلاً. وبعد وقوع الانقلاب واضطراب الأوضاع في العاصمة باماكو وظهور بوادر الهزيمة المعنوية على القوات المالية في أزواد، التي اعتقل صغار الضباط فيها قادتهم - شكَّلت جماعة أنصار الدين غرفة عمليات مشتركة مع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وحركة التوحيد والجهاد بغرب إفريقيا، ووضعت الحركات الثلاثة خُطَّة سريعة للسيطرة على المدن الكبرى في إقليم أزواد مستغلين حالة الارتباك في باماكو؛ حيث هاجمت قوات من جماعة أنصار الدين مدعومة بعناصر من تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي مدينة كِيدَال في أقصى الشمال، واستغلَّ إياد أغ غالي زعيم أنصار الدين البُعد القبلي للمدينة التي تقطنها أغلبية من قبائل الإفوغاس التي ينتمي إليها هو ومعظم مقاتلي حركته؛ مما سهَّل

مهمة سيطرتهم عليها، وإن كان واجه مقاومة شرسة من الضابط الهجي أغ آمو الطارقي الموالي لباماكو والمتحصن مع قواته داخل المدينة، وقد كان للتاريخ المتوتر بين القبائل الطارقية الأثر الحاسم في تلك المعركة؛ فالعقيد المالي الهجي أغ آمو ينتمي لقبائل "الإيمغاد" الطارقية ذات العداء التاريخي مع قبائل "الإفوغاس" التي ينتمي إليها إياد أغ أغالي، كما أن إياد ساهم سنة 1991 في إخضاع "الجيش الثوري لتحرير أزواد" بالقوَّة لصالح مالي، حين كان الهجي أغ آمو ومعظم رجال الإيمغاد من بين قادة المتمردين؛ لذلك ساهمت الحميَّة القبيليَّة وتبعات التاريخ في حسم تلك المعركة لصالح القائد "الإفوغاسي" (إياد أغ أغالي) وقواته، على حساب القائد "الإيمغادي" (الهجي أغ آمو) المتحالف مع "البمبارة" و"السونغاي" في الجنوب كما يصفه خصومه، وإن كان هذا الأخير قاوم بشراسة رغم انهيار معنويات جنوده الذين كان وَقْع الانقلاب العسكري والفوضى في جنوب البلاد قد نال منهم.

وقبل محاولة مقاتلي أنصار الدين وحلفائهم اقتحام المدينة دخلوا في مفاوضات مع الهجي أغ آمو، ووضعوه أمام خيارين؛ أوَّلهما أن ينسحب من المدينة دون قتال، والثاني أن ينضم هو ومقاتلوه إلى جماعة أنصار الدين مع التزامٍ بالعفو عن جنوده من غير الأزواديين، أو الذين لا يرغبون في الانضمام لجماعة أنصار الدين. لكن المفاوضات فشلت، وبدأت قوات أنصار الدين التقدم نحو مداخل المدينة، واشتبكت مع مقاتلي الهجي أغ آمو وهم خليط من القوات المالية وميليشيات من قبائل الإيمغاد. وصباح يوم الجمعة 30 مارس/آذار 2012 تمكنت قوات أنصار الدين والقاعدة من اقتحام المدينة والسيطرة على أجزاء كبيرة منها، بينما وصلت قوات من الحركة الوطنية لتحرير أزواد إلى بوَّابة المدينة المؤدية إلى مدينة "منيكا" وسيطرت عليها، والتزمت بحمايتها ومنع أي تسلل منها ضمن اتفاق بينها وبين جماعة أنصار الدين. وقد حاول قادة جماعة أنصار الدين إلقاء القبض على الكولونيل الهجي أغ آمو باعتباره صيدًا ثمينًا، لكن هذا الأخير تمكّن من مغالطة قوات الحركة الوطنية لتحرير أزواد بعد توغل مقاتلي أنصار الدين وتنظيم القاعدة في أحياء كيدال. وصباح يوم السبت أعلنت الحركة الوطنية

لتحرير أزواد أن الهجي أغ آمو انضم إليها وأصبح عضوًا فيها، وسمحت له بمغادرة المدينة مع جنوده عن طريق البوابة التي تقع تحت سيطرة مقاتليها. ونشرت الحركة الوطنية لتحرير أزواد على موقعها الإلكتروني بيانًا منسوبًا للهجي أغ آمو يعلن فيه انضمامه لها، وقد اعتبرت قيادة الحركة انضمام الزعيم "الإيمغادي" إليها فتحًا عظيمًا، خصوصًا أن الرجل عُرف بشراسته في القتال وقوته وحنكته العسكرية، فضلاً عن تجربته كأحد قادة التمرد السابقين في مطلع تسعينات القرن الماضي، حيث كان قائدًا عسكريًّا فيما عُرف بالجيش الثوري لتحرير أزواد، كما أنه يقود مجموعة كبيرة من قبائل الإيمغاد الطارقية ذات العدد الكبير في أزواد، والتي رفضت الانخراط في التمرد سنة 2012. وقد غادر الهجي أغ آمو مدينة كيدال باتجاه حدود النيجر؛ بحُجَّة أنه سيوصل العسكريين الماليين من غير الأزواديين الذين كانوا تحت إمرته إلى مكان آمن، وعند وصوله إلى حدود النيجر وبمعيَّته مئات المقاتلين أعلن تمسكه بالولاء لمالي، ورفضه الانضمام للمتمردين.

وخلال معركة السيطرة على مدينة "كيدال" فَقَدت جماعة أنصار الدين وتنظيم القاعدة وحركة التوحيد والجهاد عددًا من مقاتليهم من أبرزهم: عثمان خراشي صال المكنى "حسان"، وهو موريتاني انضم إلى كتيبة "الملثمين" التابعة لإمارة الصحراء في الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية، قبل أن ينتقل منها إلى "سرية الفرقان" بعد تحوُّل الجماعة إلى تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وظل يقاتل في صفوفها إلى أن قُتل على مشارف مدينة كيدال.

## السيطرة على "غاوا"

بعد السيطرة على مدينة كيدال من قِبل قوات جماعة أنصار الدين مدعومين بعناصر القاعدة، قام مقاتلو حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا وعناصر من كتيبة "الملثمين" فجر يوم السبت 31 مارس/آذار بالهجوم على مدينة غاوا عاصمة إقليم أزواد، واستغل قادة حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا حاضنتهم الاجتماعية في المدينة لبسط السيطرة عليها؛ حيث ينحدر معظم قادة الحركة من قبائل "عرب تلمسي"، التي يقطن معظمها في مدينة غاوا وضواحيها، وسيطروا

على القاعدة العسكرية في المدينة بعد مناوشات خفيفة مع فلول القوات المالية التي كانت تنسحب من المدينة، وقُتل في تلك المناوشات بعض عناصر الحركتين من أبرزهم: محمود ولد محمد سيدي أحمد الذي ينتمي لقبائل عرب تلمسي، ومحمد الأنصاري الطارقي الذي ينتمي لقبيلة كلنصار، بينما سيطر عناصر الحركة الوطنية لتحرير أزواد على بعض أحياء المدينة خصوصًا "الحي الرابع" الذي توجد به المباني الإدارية، فضلاً عن المطار.

لكن قوات حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا وكتيبة الملثمين ظلت تتحرك في المدينة بحرية، إلى أن رصد عناصر منها يوم الخميس 5 إبريل/نيسان 2013 تحركات داخل مباني القنصلية الجزائرية في المدينة، والتي كانت تقع تحت سيطرة الحركة الوطنية لتحرير أزواد، فقاموا بمهاجمة مباني القنصلية وإرغام مقاتلي الحركة الوطنية لتحرير أزواد المكلفين بحراستها على مغادرة المكان، ثم اختطفوا القنصل الجزائري وستة دبلوماسيين آخرين كانوا معه، ورفعوا علم جماعة التوحيد والجهاد على سارية مبنى القنصلية، بعد أن أنزلوا العلم الجزائري.

## الوساطة المرفوضة

كادت عملية اختطاف الدبلوماسيين الجزائريين في غاوا تعصف بالتحالف بين جماعة أنصار الدين وحركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، خصوصًا بعد رفض الأخيرة لوساطة قام بها قادة أنصار الدين لتحرير الرهائن الجزائريين، حيث أوفد إياد أغ أغالي نائبه الشيخ أغ أوسا إلى مدينة غاوا في مهمة وساطة للإفراج عن الدبلوماسيين الجزائريين، وقابل هذا الأخير مختار بلمختار أمير كتيبة الملثمين، وطلب منه التوسط لدى قادة التوحيد والجهاد لإخلاء سبيل الدبلوماسيين الجزائريين، لكن بالمختار ردَّ عليه أن عناصر كتيبته لم يختطفوا الرهائن ولا علاقة لهم بالعملية، وأن قناعته وضميره لا يطاوعانه للتوسط للإفراج عمّن يعتبرهم عملاء للحكومة الجزائرية، وطلب من الشيخ أغ أوسا أن يتحدث مباشرة إلى قادة جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، حيث التقى بالمسؤول الشرعي للجماعة حماد ولد محمد الخيري، الذي دعا قادة جماعته للاجتماع مع الشيخ أغ أوسا

والاستماع إليه، وخلال الاجتماع قال الشيخ أغ أوسا لقادة جماعة التوحيد والجهاد، حسب ما روى لي: إن أنصار الدين تعتبر عملية اختطاف الدبلوماسيين الجزائريين في غاوا بعد سيطرة الحركات الجهادية عليها خطأ كبيرًا وأمرًا بالغ الخطورة، ويسيء إلى سمعتهم ويضر بمصالح الأزواديين، وأن عملية الاختطاف لو حصلت في مكان خارج أزواد لما تدخلت جماعة أنصار الدين في الموضوع، وطلب منهم الإفراج عن الدبلوماسيين الجزائريين المحتجزين لديهم. لكن أمير جماعة التوحيد والجهاد أحمد ولد عامر المكنى "أحمد التلمسي" رفض طلب الشيخ أغ أوسا، مبررًا ذلك بالقول: إن الجزائر تحارب من سماهم المجاهدين، وتعتقل عشرات من "الإخوة"، وهذه فرصة لمقايضتهم وتحريرهم، ويجب أن لا يتم التفريط فيها. وغادر الشيخ أغ أوسا مدينة غاوا غاضبًا بعد أن رفضت حركة التوحيد والجهاد وساطته للإفراج عن الدبلوماسيين الجزائريين.

## السيطرة على تمبكتو

أما مدينة تمبكتو فقد توجهت إليها قوات من الحركة الوطنية لتحرير أزواد كانت ترابط في مدينة "ليرة" قرب الحدود مع موريتانيا بُغية السيطرة عليها، لكنها تلقت تحذيرات من الميليشيات العربية (ميليشيات من قبائل البرابيش) التي انتشرت في المدينة صبيحة هروب القوات المالية منها، وهددت تلك الميليشيات بالتصدي لقوات الحركة الوطنية إذا حاولت الدخول عنوة إلى المدينة، وبقي مقاتلو الحركة على بُعد حوالي سبعة كيلومترات من المدينة انتظارًا لما ستسفر عنه المفاوضات بين قادة الميليشيات العربية وقيادة الحركة الوطنية. وبعد مغادرة القوات المالية لها على عجلٍ، باشرت عناصر من تلك الميليشيات العربية عمليات نهب وسلب استهدفت مقار القيادة العسكرية والبنوك وبعض المؤسسات العمومية، وعاشت المدينة يومًا مرعبًا من السلب والنهب. وفجأة وفي وقت متأخر من مساء الثاني من شهر إبريل/نيسان فوجئ سكان المدينة بضجيج السيارات وقعقعة السلاح، وعشرات الرجال المسلحين وهم يدخلون المدينة، ليتبيَّن أن الأمر يتعلق بكتائب من تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي يقودها أمير سرية "الفرقان" يحيى أبو الهمام، وأمير

كتيبة طارق بن زياد عبد الحميد أبو زيد، وقد سيطروا على المدينة دون قتال. وانقسمت الميليشيات العربية داخلها إلى قسمين؛ حيث أعلنت مجموعة منهم بقيادة العقيد حسين غلام انضمامها للحركة الوطنية لتحرير أزواد التي سارعت لبسط سيطرتها على المطار والأحياء المجاورة له، بينما رفضت مجموعة أخرى ذلك واحتفظت بولائها للدولة المالية وانسحب عناصرها إلى غرب المدينة. لكن المجموعة التي ساندت الحركة الوطنية سرعان ما عَدَلَتْ عن قرارها، وشكلت ميليشيات عُرفت باسم "الجبهة الوطنية لتحرير أزواد" (FNLA) وأسندت قيادتها العسكرية لكل من المقدم حسين غلام، وإبراهيم ولد حنده، بينما تولى محمد الأمين ولد سيداتي منصب أمينها العام.

وبعد سيطرة تنظيم القاعدة على مدينة تمبكتو دبَّ الذعر في صفوف السكان، خصوصًا بعد أن راجت شائعات عن عزم عناصر القاعدة الانتقام من بعض قبائل "البرابيش" الذين شاركوا في الحرب ضدهم خلال السنوات السابقة، لكن إياد أغ أغالي زعيم جماعة أنصار الدين المتحالفة مع تنظيم القاعدة وصل إلى المدينة، وأعلن أن السيطرة وإن كانت ميدانيًّا لعناصر تنظيم القاعدة فإنها تمت باسم جماعة أنصار الدين، وأن "المجاهدين" لم يأتوا لتصفية الحسابات، ثم انتدب القيادي في جماعة أنصار الدين سندة ولد بوعمامة، المنحدر من قبيلة "أولاد إعيش" كواجهة إعلامية لحكام المدينة الجدد. كما سعى قادة القاعدة من خلال كلمات ألقوها في المساجد والأسواق والتجمعات وزيارات قاموا بها لبعض الشيوخ إلى طمأنة السكان، وأنهم جاؤوا لإقامة الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية، ولم يأتوا لتصفية الحسابات مع أي كان.

وتأكيدًا على أن توزيع الحركات للسيطرة على ولايات إقليم أزواد الثلاث كان عملاً منسقًا ومنظمًا وضمن تحالف تقوده جماعة أنصار الدين، حرص إياد أغ أغالي على زيارة مدينتي غاوا وتمبكتو فور سيطرة المسلحين الإسلاميين عليهما قبل أن يستقر في كيدال، وذلك في رسالة واضحة للسكان والرأي العام أنه هو سيِّد تلك الحرب وقائدها، وأن الجماعات الجهادية إنما تسيطر على تلك المدن باسم جماعته، أو على الأقل بالتحالف معها. كما عمد إلى تعيين بعض عناصره

حكامًا على تلك المدن، وإن كان أغلبهم ظل يتولى منصبه بصورة رمزية في ظل سيطرة الحركات الأخرى على زمام الأمور بشكل عملي.

وقد عمدت جماعة أنصار الدين والحركات الجهادية الأخرى المتحالفة معها إلى انتهاج سياسة المحاصصة مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد في توزيع السيطرة على الإقليم؛ حيث سيطرت الحركة الوطنية على مطار تمبكتو والحي المجاور له، كما سيطرت على مطار مدينة غاوا وبعض أحياء المدينة، وكان لها حضور متواضع في بعض أحياء مدينة كيدال، كما بسطت سيطرتها بشكل كامل على مدن أخرى مثل منيكا وأنفيف وليرة، قبل أن تتركها بعد المواجهات التي دارت بين مقاتليها وعناصر الجماعات الإسلامية المسلحة منتصف عام 2012.

## اتفاق وُلد ميتًا

وقّعت جماعة أنصار الدين في أواخر مايو/أيار عام 2012 اتفاقًا مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد يقضي باندماجهما في حركة واحدة، وتأسيس دولة إسلامية في أزواد تُطبق فيها الشريعة الإسلامية[1]، ونصَّ الاتفاق على تشكيل مجلس شورى لتسيير فترة انتقالية محددة، على أن يكون ثلثا أعضاء المجلس من الحركات السلفية الجهادية في أزواد (أنصار الدين والحركات المتحالفة معها)، بينما يمنح الثلث الآخر للحركة الوطنية لتحرير أزواد.

ويقضي الاتفاق أيضًا بتحكيم الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية، كما تم الاتفاق على استبعاد أي نقاش لموضوع الانضمام إلى الأمم المتحدة أو التنسيق معها؛ بسبب رفض الحركات الجهادية لذلك مبدئيًّا، حيث لا تعترف تلك الحركات بالشرعية الدولية وتعتبر الهيئات الممثلة لها منظمات كفرية لا يجوز الارتباط بها. كما اتفقت الحركتان على عدم التطرق لموضوع ما تسميه الحركة الوطنية لتحرير أزواد بـ "المسلحين الأجانب في أزواد"، ويسميه

1 "اتفقنا على إعلان دولة إسلامية بإقليم أزواد: إسلام تايمز تنشر نص اتفاق حركة تحرير أنصار وحركة أنصار الدين".
http://islamtimes.org/vdcbs0b8frhb08p.kuur.html

الجهاديون في أزواد بـ "المهاجرين"، في إشارة إلى عناصر القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي والحركات الجهادية الأخرى من غير أبناء أزواد.

لكن القادة السياسيين للحركة الوطنية لتحرير أزواد خصوصًا الموجودين خارج أزواد، سارعوا إلى رفض الاتفاق وعدم الاعتراف به، باعتباره مناقضًا لمبادئ الحركة الوطنية ذات الأهداف العلمانية والتي تسعى لاستقلال أزواد وإقامة دولة مدنية فيها. وقد تعثر الاتفاق بعد أربع وعشرين ساعة من توقيعه؛ بسبب خلاف بين الطرفين على صيغة البيان الصحفي الذي سيعلن فيه عن الاتفاق رسميًّا، ثم أعلنت الحركة الوطنية بعد ذلك بيومين عزمها تشكيل مجلس انتقالي مؤقت لتسيير أزواد دون الرجوع إلى أنصار الدين، وهو ما اعتبرته جماعة أنصار الدين انسلاخًا واضحًا من الاتفاق، ومات الاتفاق بعد توقيعه مباشرة، وقبل أن يعلن عنه رسميًّا، وعادت نُذُر التوتر بين الطرفين إلى أشدها.

وقد عرفت العلاقة بين أنصار الدين والحركات الجهادية المسلحة المتحالفة معها بعض الشد والجذب، وبعض الإحراجات؛ حيث حرصت جماعة أنصار الدين على التوضيح أكثر من مرة أنها حركة أزوادية محلية، في خطاب يبدو مخالفًا لمنهج تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، الذي يرفض مبدأ الاعتراف بالحدود الموروثة عن الاستعمار، ويرى أن "النشاطات الجهادية لا تقيِّدها الحدود ولا الحواجز"، وهو الخلاف الذي اعترف به أمير الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي يحيى أبو الهمام في مقابلة صحفية أجريتُها معه في شهر أكتوبر/تشرين الأول عام 2012، حيث قال: "رغم اختلافنا مع جماعة أنصار الدين في نظرتها المقتصرة على البُعد المحلي، إلا أننا في نهاية المطاف نتقاطع معها في أمور كثيرة".

### أنصار الدين" تدعو لوقف الاختطاف

دعت أنصار الدين إلى وقف عمليات الاختطاف التي تقوم بها الجماعات المسلحة في أزواد[1]، واستطاعت أن تنتزع التزامات من قيادة القاعدة بالتخلي عن

1 "أنصار الدين في مالي: من الجهاد إلى الحوار السياسي".
http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2013/01/130124_ansar_eddine.shtml

بعض أنشطتها في أزواد مقابل التحالف معها، فبعد سقوط مدن كيدال وتمبكتو وغاوا بأيدي جماعة أنصار الدين والحركات الإسلامية المتحالفة معها، اجتمع قادة أنصار الدين بقادة تلك الحركات، حيث أبلغهم إياد أغ أغالي أن أنصار الدين تتحفظ على بعض الأمور التي تقوم بها القاعدة وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، ويجب وضع النقاط على الحروف؛ حتى لا يقع إشكال في المستقبل أو تتطور الأمور إلى الأسوأ. وطلب الزعيم إياد من قادة تلك الحركات الكفّ عن اختطاف الغربيين والأجانب في أزواد، وعدم جلبهم إليها في حال اختطافهم من دول المنطقة. كما طلب منهم التوقف عن تجهيز السيارات المفخخة في أزواد أو المجموعات المسلحة، وإرسالها لتنفيذ عمليات في دول الجوار، وخصَّ إياد أغ أغالي بالذكر موريتانيا، داعيًا عناصر القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في أزواد إلى الكفّ عن استهدافها من داخل أزواد، معللاً ذلك باحتضان موريتانيا لعشرات آلاف اللاجئين الأزواديين، وعدم قيامها بأي عمل عدائي ضد الحركات التحررية الأزوادية. وقد طلبت تلك الحركات مهلة للتشاور والرد على طلبات إياد أغ أغالي، وبعد أيام عقد اجتماع آخر أعلن خلاله قادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي موافقتهم على تلك الطلبات والتزامهم بها، لكنهم اشترطوا الاحتفاظ بالرهائن الذين اختطفوهم قبل بدء العمليات العسكرية المشتركة مع أنصار الدين في أزواد، بينما كان رد جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا يتسم بالغموض دون أن يكون رفضًا واضحًا لعرض إياد أغ أغالي، أو قبولاً صريحًا به.

ونتيجة لتلك الالتزامات قام عناصر تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي بتسليم مواطنة سويسرية عثر عليها بمدينة تمبكتو في شهر إبريل/نيسان عام 2012 بعد سيطرتهم عليها، حيث قام الناطق باسم جماعة أنصار الدين في تمبكتو سندة ولد بوعمامة بتسليمها لضابط من الجيش البوركينابي جاء على متن مروحية خاصة إلى مطار تمبكتو لهذا الغرض. وأتذكرُ أنني كنت ساعتها في مدينة تمبكتو، وأن الرهينة السويسرية كانت في قبضة عناصر القاعدة، وحين أحضروها إلى المطار كانت على متن سيارة تقلّ مسلحين من سرية "الفرقان"، يتقدمهم مسؤول الأمن في المدينة أحمدو ولد الشريف المختار المكنى "خبيب"، الذي كان يتولى

بنفسه قيادة السيارة التي نقلت الرهينة من مكان احتجازها إلى المروحية التي غادرت بها مطار مدينة تمبكتو.

كما أعلنت جماعة أنصار الدين عن استعدادها للحوار مع دول الجوار وحتى مع الحكومة المالية، فنصت في آخر بيان لها قبل اندلاع الحرب بداية عام 2013 على "تمسكها بخيار الحل السلمي واستعدادها للتفاوض عبر وساطة الجزائر وبوركينا فاسو"، وقد مكّنها هذا الموقف الذي انتهجته منذ بداية الأحداث من لعب دور مزدوج قبل اندلاع الحرب، حيث احتفظت بتحالفها مع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وفي نفس الوقت بقيت على صلة ببعض حكومات المنطقة، خصوصًا الجزائر وبوركينا فاسو اللتين استقبلتا بعض قادة الحركة خلال جولات المفاوضات. كما شكّلت أنصار الدين الواجهة المقبولة دوليًّا نسبيًّا بالنسبة للحركات السلفية المسلحة الأخرى في المنطقة، فحملت معها مطالب هذه الحركات ونسقت معها في الحوار، وهو ما وفّر مخرجًا لدول الجوار الرافضة للحوار بشكل مباشر مع الحركات الأخرى التي توصف بالإرهابية.

وكان آخر طلب سلمه مفاوضو أنصار الدين للوسيط الإفريقي، الرئيس البوركينابي بليز كومباوري "هو منح أزواد حكمًا ذاتيًّا موسعًا ذا طابع إسلامي يسمح بتطبيق الشريعة الإسلامية فيه"، وذلك ضمن وثيقة موسعة أعدوها وسموها "البرنامج السياسي لجماعة أنصار الدين".

وفي الوقت الذي كانت فيه المفاوضات بين الحكومة المالية وممثلي جماعة أنصار الدين والحركة الوطنية لتحرير أزواد تتعثر في واغادوغو، ويسعى الوسطاء لتفعيلها، قرَّر إياد أغ أغالي بالتنسيق مع قادة تنظيم القاعدة شنّ عمليات عسكرية باتجاه الجنوب للسيطرة على بعض المناطق في ولاية موبتي، فتقدمت قوات تابعة لأنصار الدين يقودها إياد بنفسه يوم 10 يناير/كانون الثاني 2013 نحو مدينة "كونا" الصغيرة بولاية موتي، والتي تقطنها أغلبية من الفُلان، وتمكنوا من دخولها والسيطرة عليها، بينما تقدمت قوات من تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي بقيادة عبد الحميد أبو زيد إلى منطقة "جبالي"، وتمكنوا من دخولها، الأمر الذي

دفع الحكومة الفرنسية إلى اتخاذ قرار سريع بإرسال قوات إلى مالي في محاولة لوقف تقدم المقاتلين الإسلاميين وحماية العاصمة باماكو من السقوط، وقد برَّرت جماعة أنصار الدين حينها قرارها بالتقدم جنوبًا في بيان أصدرته، قالت فيه إنها تدرك جيدًا صعوبة اتخاذ قرار بخوض الحرب في ظل انعدام التكافؤ في العدد والعتاد، لكنها لم تجد بدًّا من شن عمليات عسكرية جنوبًا، وساقت لذلك مبررات عديدة منها:

"1- الاعتداءات المتكررة على الأبرياء والعزل من أهلنا، في عدة مناسبات جنوب البلاد وغربها، إذ ارتكبت بحقهم أبشع المجازر على أيدي زبانية النظام العنصري الحاقد، بتواطؤ من القوى الاستعمارية، وصمت مطبق من المنظمات الحقوقية التي اعتادت النياحة على الجلادين والمتاجرة بآلام الضحايا المستضعفين.

2- فشل جميع المبادرات التفاوضية التي قدمها المفاوضون، وعلى رأسهم وفد أنصار الدين، والتي حاولنا من خلالها إيجاد حل سلمي للأزمة السياسية والإنسانية التي تعيشها المنطقة، والتي قوبلت باستخفاف تام من طرف قادة النظام في باماكو، بضغط من سادتهم في باريس، هذا برغم انفتاحنا على جميع الاقتراحات التي طرحها الوسطاء المعنيون بالملف، ما دامت لا تعارض الثوابت الأساسية، التي عليها قام كفاحنا ونضالنا، وعلى رأسها مطلب تطبيق الشريعة الإسلامية.

3- الاستعدادات الجارية على قدم وساق من طرف فرنسا الاستعمارية وأحلافها في المنطقة للتدخل العسكري من أجل القضاء على الإرهاب المزعوم، كما يصرح قادتها في خرجاتهم الإعلامية، متناسين التاريخ الإرهابي المخزي لهذه الدولة، والتي لا تتوانى عن دعم الدكتاتوريات الإرهابية، التي تثبِّت أركان حكمها بإبادة شعوبها، بما فيها النظام العنصري في باماكو.

4- المعلومات المؤكدة عن قرب بدء الجيش المالي هجومًا عسكريًّا على مدينة "دوينزا"، مستغلاً انشغال جماعة أنصار الدين بالعملية

التفاوضية من جهة، وتوزع وحداتها القتالية في مناطق شاسعة؛ لإدارة الشؤون الداخلية لمناطق سيطرتها، تلك الهجمة التي اتضح لاحقًا بعد معركة "كونا"، أنها كانت بتخطيط وإشراف ضباط فرنسيين، نملك الأدلة القاطعة على وجودهم في منطقة "كونا" مع بدء عملياتنا العسكرية. وبتأكد تلك المعلومات، اعتبرت جماعة أنصار الدين الاتفاق غير المعلن لوقف إطلاق النار بينها وبين الجيش المالي مُلغًى، ولم يعُدْ ساري المفعول".

وإضافة إلى ما قدمه بيان جماعة أنصار الدين من مبررات لتحركها عسكريًّا بالتنسيق مع تنظيم القاعدة نحو الجنوب باتجاه وسط مالي، يمكن القول إنها سعت من وراء هذا التقدم إلى استدراج الفرنسيين والقوات الإفريقية إلى حرب لم يكتمل الإعداد لها، ودفع الفرنسيين خصوصًا إلى النزول بقواتهم إلى أرض المعركة في وقتٍ كان فيه الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند قد أعلن أكثر من مرة أن الدور الفرنسي في الحرب التي كان يجري التحضير لها سيقتصر على تقديم الدعم اللوجستي والاستخباراتي، وبالتالي يعتقد المسلحون الإسلاميون أنهم بتقدمهم جنوبًا يجرُّون عدوهم الفرنسي إلى أرض معركةٍ هم مَن حدَّدها وحدد موعد انطلاقتها.

لكن يمكن القول: إن أنصار الدين بتقدمها جنوبًا أغلقت أبواب المفاوضات في وقت ما يزال الوسطاء يحدوهم الأمل في تجنب الحرب، وإيجاد حل سلمي، وهو حل كان يحظى بتأييد من بعض دول الجوار وفي مقدمتها الجزائر وموريتانيا، فضلاً عن الوسيط الإفريقي بوركينا فاسو، وربما يضمن للحركة تلبية بعض مطالبها، فقد كانت حكومات تلك البلدان تستقبل بشكل رسمي وفود أنصار الدين باعتبارهم شركاء في المفاوضات، وبعد هجومها جنوبًا باتت حكومات المنطقة تنظر إلى تصرفها باعتباره عملاً عدوانيًّا مرفوضًا ينبغي الوقوف في وجه بحزم وصرامة، فضلاً عن إدراجها ضمن خانة الحركات المصنفة إرهابيًّا والمطاردة دوليًّا.

وعشية تقدُّم قوات أنصار الدين وحلفائها من القاعدة جنوبًا نحو وسط مالي، عرفت الحركة أول انشقاق كبير فيها، حينما أعلن نائب أميرها الشيخ أغ أوسا، ومفاوضها الرئيسي العباس أغ انتالا، وهو نجل زعيم قبائل الإفوغاس انتالا أغ الطاهر،

والقائد البارز فيها أحمد أغ بيبـــي انشقاقهم عن الحركة مع عشرات المسلحين مـــن الإفوغاس، ورفضهم التنسيق مع الحركات المصنفة عالميًا باعتبارها حركات إرهابيـــة، في إشارة إلى تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وشكلوا تنظيمًا جديدًا يحمل اسم "الحركة الإسلامية الأزواديـــة"، ويقـــول منشقون عن جماعة أنصار الدين: إن من أهم أسباب عملية الانشقاق التي تزامنت مع اندلاع الحرب الفرنسية، هو اعتراض المنشقين ومَن معهم على إرسال الحركة قـــوات بالتنسيق مع مقاتلي تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي نحو الجنوب للسيطرة علـــى بلدات "كونا" و"سيفاري" و"جبالي" في وسط مالي، وهو التحـــرك الـــذي أوقـــف المفاوضات، ودفع بفرنسا إلى إرسال قواها على عجل، وشنّ حرب مدعومة بقـــوات إفريقية للسيطرة على مدن أزواد وطرد الجماعات الإسلامية المسلحة منها. ولنا عـــودة إلى تفاصيل ذلك الانشقاق خلال الحديث عن الحركة الإسلامية الأزوادية في فقـــرة لاحقة من هذا الكتاب. وفي شهر فبراير/شباط عام 2013 أعلنـــت وزارة الخارجيـــة الأميركية عن وضع اسم إياد أغ أغالي زعيم جماعة أنصـــار الـــدين ضـــمن قائمـــة الإرهابيين المطلوبين للولايات المتحدة الأميركية.

وقد انسحبت جماعة أنصار الدين عشية اندلاع الحرب من مدينـــة كيـــدال وتمركزت في جبال الإفوغاس، وفَقَدت بسبب الانشقاق عددًا من قادتها ومئـــات من عناصرها، كما قُتل عدد من مقاتليها خلال الحرب من بينـــهم القائـــد عبـــد الكريم الإفوغاسي الملقّب "كوجاك" الطارقي، وهو من قادة حركة التمـــرد الـــتي تزعمها إبراهيم باهانغا سنتي 2005 و2006، إضافة إلى عبد الرحمن أغ سيدي ام، وعلي الأنصاري الطارقي، والحسن أغ نميان المكنى عبد الحكـــيم الإفوغاســـي، والمختار ولد أحمد دولة البربوشي، ويزيد الأنصاري الطارقي.

## 2- حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا

هي حركة سلفية جهادية، أسسها عناصر من قبائل "عرب تلمسي" في أزواد في النصف الثاني من عام 2011، بعد انشقاقهم عن تنظيم القاعدة ببلاد المغـــرب الإسلامي، حيث كان بعضهم يعمل في مجال التهريب قبل أن ينخرطوا في صفوف

تنظيم القاعدة خلال العشريَّة الأولى من هذا القرن، وقاتلوا مع القاعدة عدة سنوات، ثم انسحبوا منها. وينحدر معظم المؤسسين من قبيلة "الأمهار"، التي تقطن مدينة غاوا وريفها ومحيطها، وعند إنشائها شكلت الحركة قيادة مؤلفة من مجلس للشورى يرأسه عدنان أبو الوليد الصحراوي، المنحدر من إقليم الصحراء الغربية، حيث وُلد وتربى في مخيمات اللاجئين الصحراويين قرب تيندوف بجنوب الجزائر، قبل أن يلتحق بالجامعات الجزائرية، وهناك اعتنق الفكر السلفي الجهادي، وانتقل إلى شمال مالي لينضم إلى النشاط السلفي الجهادي المسلح، وشارك في تأسيس حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا.

وعسكريًّا تأسست الحركة اعتمادًا على شخصين أساسيين فيها هما: سلطان ولد بَادِي المكنى "أبو علي"، وأحمد ولد عامر المكنى "أحمد التِّلِمْسِي"، ويُعرف أيضًا باسم "عبد الرحمن"، وهما المؤسسان الفعليان للحركة، وينتميان لقبيلة "الأمْهَار" العربية في أزواد، وكانا سابقًا ينشطان في التجارة والتهريب قبل أن يلتحقا في النصف الثاني من العقد الماضي بكتائب تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي في الصحراء الكبرى؛ حيث انضم أحمد ولد عامر إلى التنظيم نهاية عام 2007 رسميًّا، بعد أن ظل يتعاون معه سابقًا باعتباره مهربًا وتاجرًا في المنطقة، يقوم ببعض المهام لصالح التنظيم مقابل تعويض مالي، وكان يلقب حينها باسم "أحمد الأزوادي"، وشارك في تنفيذ عمليات عسكرية وعمليات اختطاف في موريتانيا ومالي والنيجر، قبل أن يغيِّر لقبه الحركي ليصبح "أحمد التلمسي"، نسبة إلى قبائل "عرب تلمسي" التي تقطن في أزواد وينتمي إليها. أما زميله سلطان ولد بادي فكان مهربًا معروفًا في المنطقة وصاحب مكانة وثروة قبل أن يلتحق هو الآخر بتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي سنة 2009، وانخرط في صفوف كتيبة طارق بن زياد التي يقودها الجزائري عبد الحميد أبو زيد.

في أكتوبر عام 2012 طالب أبو علي وأحمد التِّلِمْسِي من قيادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي السماح لهما بتأسيس كتيبة أو سرية خاصة بالمقاتلين من أبناء القبائل العربية في أزواد المنخرطين في التنظيم -أسوة بزملائهم الطوارق الذين أسَّس لهم التنظيم سرية خاصة بهم تسمى "سرية الأنصار"- على أن تبقى هذه

السرية محتفظة بولائها لإمارة الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، غير أن قيادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي رفضت طلبهما، واعتبرت أن توزيع الكتائب والسرايا على أساس عرقي وقبلي قد يشكل خطرًا حقيقيًا على ولاء أفرادها للتنظيم وعقيدته وفكره، ويقوّي من التبعية العصبية على حساب التبعية التنظيمية والأيديولوجية. وبعد أن تأكد الرجلان (أبو علي، وأحمد التلمسي) من رفض قيادة تنظيم القاعدة لطلبهما قررا الانشقاق والشروع في تأسيس كيان جديد خاص بهما بعيدًا عن التبعية التنظيمية لأمراء القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي المسيطرين على أجزاء كبيرة من صحراء أزواد، واعتبرا أن رفض قادة تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي من الجزائريين لطلب خاص بأبناء القبائل العربية في أزواد المنخرطين في التنظيم، غير مقبول، في حين تمت الاستجابة سابقًا لعناصر الطوارق في التنظيم ومنحوا حق تشكيل سرية خاصة بهم، وهو ما رأيا فيه "استخفافًا بالوجود العربي الأزوادي في ميدان الجهاد"، فقررا أن يوجها رسالة قوية للجزائريين من قادة التنظيم مفادها أنهم أهل الأرض والقادرون على التعبئة فيها وحشد المقاتلين، وعلى الفور شرعا في الاتصال بالشباب من أبناء قبيلتهما (الأمْهَار) المنخرطين في صفوف تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي والقبائل العربية الأخرى المقربة منهما اجتماعيًا، وقاما بعزلهم عن باقي مقاتلي التنظيم، كما انضم إليهما عشرات من شباب تلك القبائل الذين لم تكن لهم سابقة انتماء إلى تنظيم القاعدة، وساعدهما على ذلك وجود بقايا ميليشيات من قبائل "عرب تلمسي" تم تأسيسها سنة 2004 إبّان الحرب التي دارت بين تلك القبائل وبين "قبائل كنتة" في أزواد، فأسسا تنظيمًا جديدًا خاصًا بهما. ويقول العارفون بخبايا التنظيمات المسلحة في أزواد: إن سلطان ولد بادي كان يقود مجموعات مسلحة للتهريب قبل التحاقه بتنظيم القاعدة، وحين انضم إلى القاعدة كان معه أفراد مجموعته من أبناء عمومته وأقاربه، وعندما انشق مع أحمد ولد عامر عن التنظيم لم يكن من العسير عليهما سحب عناصرهما من التنظيم؛ ليشكلا بهم نواة لتنظيم جديد هو جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا. ويبدو جليًا من اسم التنظيم الجديد البُعد التكاملي ظاهرًا والتنافسي باطنًا مع تنظيم القاعدة ببلاد

المغرب الإسلامي، حيث اتخذ التنظيم الجديد من غرب إفريقيا خلفية جغرافية لاسمه، بعد أن اتخذت القاعدة من المغرب العربي (الإسلامي) خلفية جغرافية لها. وهنا تتضح التنافسية الإقليمية بين التنظيمين، حيث يرتبطان حسب اسميهما بمنطقتين متداخلتين جغرافيًّا وديمغرافيًّا، في حين يصر قادتهما على أن الأمر وإنْ أخذ بداية شكل تنافس وتنافر بين التنظيمين، إلا أنه تحوَّل إلى تكامل وتفاهم. ومع ذلك لا يخفى على المراقب للأوضاع في أزواد حجم شقة الخلاف الواسعة بين التنظيمين.

جاء قرار أبو علي وأحمد التلمسي بالانفصال عن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي وتأسيس تنظيم جديد بالتزامن مع انفصال قيادي موريتاني عن التنظيم القاعدة هو حَمَّاد ولد محمد الخيري المكنى "أبو القعقاع"، وهو من منظِّري التنظيم الشرعيين وفقهائه، إضافة إلى كونه شاعرًا لهجيًّا معروفًا، فانضم إليهما في مشوار تأسيس التنظيم الجديد، ويقول مقاتلون من تنظيم القاعدة: إن ولد محمد الخيري المدرج على قائمة مجلس الأمن الدولي للأشخاص المرتبطين بتنظيم القاعدة[1] كان قد انفصل عن تنظيم القاعدة رسميًّا قبل أشهر عديدة من تأسيس جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، لكنه بقي في معاقل التنظيم؛ بسبب ملاحقته أمنيًّا في موريتانيا واعتقاله سابقًا في مالي، وكان يقيم مع أفراد سرية "الفرقان" وشارك معهم في مواجهات مع الجيش الموريتاني، كما كانت له أشعار متداولة في أوساط التنظيم، تحثُّ على الانخراط في "العمل الجهادي" وتمجِّد ما قام به التنظيم في معاركه مع الجيشين الموريتاني والجزائري، ولما بدأ مشروع تأسيس التنظيم الجديد (جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا) التحق به، وأصبح رئيس اللجنة الشرعية في التنظيم.

استغل ولد محمد الخيري البعد المعرفي المتواضع لمؤسسي جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا ومن معهم من المقاتلين، مقابل ثقافة معرفية يتمتع هو بها، خصوصًا في علوم القرآن والشريعة الإسلامية، ليكون واجهة شرعية وعلمية

---

1 "موجزات سردية لأسباب الإدراج في القائمة".
http://www.un.org/ar/sc/committees/1267/NSQIO31413%E2%80%8EA.shtml

للتنظيم، فتولى مهمة المسؤول الشرعي للجماعة وقاضيها. وينحدر حماد ولد محمد الخيري من مقاطعة واد الناقة (50 كلم شرق العاصمة نواكشوط)، وقد تلقى تعليمًا دينيًّا في العديد من المحاظر الموريتانية (المدارس الأهلية الدينية)، وسافر إلى معسكرات الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية في شمال مالي سنة 2004، حيث قضى عدة أشهر مع مجموعة عبد الحميد أبو زيد، لكنه اعتقل بعد عودته إلى نواكشوط في إبريل/نيسان سنة 2005 مع ستة آخرين من نشطاء التيار السلفي الموريتاني كانوا برفقته في معسكرات الكتيبة شمال مالي. وفي إبريل/نيسان سنة 2006 تمكّن ولد محمد الخيري من الهروب من السجن المركزي وسط العاصمة نواكشوط برفقة زميليه الخديم ولد السمان وسيدي ولد حبت، وتمت محاكمته في نواكشوط غيابيًّا في شهر يونيو/حزيران 2007، حيث صدر حكم ببراءته من تهمة الإرهاب. وسافر بعد ذلك إلى الخليج، وبالتحديد إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، ثم عاد ثانية إلى صحراء أزواد، والتحق من جديد بمعسكرات التنظيم، لكنه اعتقل في مدينة تمبكتو المالية سنة 2008 من طرف السلطات المالية، قبل أن تتمكن القاعدة سنة 2009 من تحريره مع زميليه الطيب ولد سيدي عالي المكنى "عبد الرحيم الموريتاني" وبلقاسم زاويدي المكنى "أبو أسامة الجزائري"، بعد مقايضتهم بالمبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى النيجر الكندي روبرت فاولر، ومساعده لويس غواي السفير السابق لكندا في الغابون، واللذين اختطفا من النيجر في ديسمبر/كانون الأول عام 2008، وبقي "حماد" في معسكرات التنظيم جنديًّا وشاعرًا وخطيبًا، حيث ظهر في عدة أشرطة وندوات وهو يحرِّض المقاتلين بشعره الشعبي ونكته.

وقد أحاط مؤسسو جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا تحركاتهم بسرية تامة في البداية، وشرعوا في البحث عن خرجة إعلامية تكون مناسبة لإعلان ميلاد التنظيم الجديد، فوقع الاختيار على منطقة "تِينْدُوف" جنوب الجزائر، حيث توجد مخيمات اللاجئين الصحراويين التي تستقبل عادة عشرات المتضامنين الغربيين، فقرروا تنفيذ عملية نوعية هناك وقاموا باختطاف ثلاث رعايا غربيين في أكتوبر/تشرين الأول عام 2012 بالتعاون مع صحراويين موالين لهم، ليكون إعلان

تبني عملية الاختطاف مناسبة للكشف عن التنظيم الجديد، حيث أصدروا بيانًا قالوا فيه: إن الاختطاف تم من طرف جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وهي أول مرة يُعلن فيها عن اسم التنظيم الجديد، متعهدين بالإعلان عن مطالبهم لاحقًا.

وفور الإعلان عن ميلاد جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا انضم إليها عشرات المقاتلين من أبناء القبائل العربية في أزواد، ومن الناقمين على قادة تنظيم القاعدة الجزائريين الذين يرون في احتكارهم للقيادة نوعًا من الدكتاتورية وتهميش أصحاب الأرض، وقد ساعدهم على ذلك انتماؤهم المحلي للمنطقة، وشبكة علاقات نسجوها أيام نشاطهم في التهريب. وبدأ التنظيم الجديد ممارسة نشاطه بكتيبتين تضم كل منهما عشرات المقاتلين، وهما: "كتيبة أسامة بن لادن" بقيادة أحمد ولد عامر (أحمد التِّلِمْسِي)، وكتيبة "صلاح الدين" بقيادة سلطان ولد بادي (أبو علي)، وأعلن عن تشكيل مجلس شورى باعتباره القيادة المرجعية للتنظيم، وأسندت رئاسته إلى الصحراوي عدنان أبو الوليد، ولاحقًا تم تعيين أحمد التلمسي أميرًا عامًّا للتنظيم دون أن يُعلن ذلك بشكل رسمي.

وواصل تنظيم جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا بعد إعلان ميلاده تنفيذ عملياته العسكرية، مركزًا على الجزائر؛ حيث نفَّذ هجومين انتحاريين أحدهما ضد قوات الدَّرَك الجزائرية في مدينة تِمنْرَاست، والثاني في مدينة وُرقْلَة جنوب البلاد، كما عمد مقاتلوه بعد سيطرتهم على مدينة غاوا إلى اختطاف سبعة دبلوماسيين جزائريين كانوا في المدينة، واستقطب التنظيم عشرات الصحراويين والموريتانيين والنيجريين والماليين، كما اكتتب مقاتلين زنوجًا من قبائل السونغاي والفُلان و"الهوسا" من مالي والنيجر ونيجيريا، وأعلنوا عن توسيع قاعدة تنظيمهم وتشكيل كتائب جديدة.

اتسمت علاقة حركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا مع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي بالتوتر في البداية، على خلفية انشقاق مؤسسي التنظيم الجديد عنه، وقد واجهتُ شخصيًّا في البداية صعوبة كبيرة في الحصول على معلومات عنهم من مسؤول الإعلام في إمارة الصحراء السابق بتنظيم القاعدة

سابقًا "جليبيب"، فقد كان له موقف متشدد تجاه مؤسسي جماعة التوحيد والجهاد، كما هو شأن عناصر القاعدة، ورفض تزويدي بعنوان أيٍّ من مسؤولي التنظيم الجديد، حين طلبت منه ذلك؛ بحُجَّة أنه لا صلة له بهم، ولن يقوم بأي عمل يخدمهم، فهم منشقون عن الجماعة ووضعهم خطير للغاية، حسب قوله. لكن الخلاف تراجع بشكل ملحوظ، خصوصًا بين التوحيد والجهاد وكتيبة "الملثمين" بعد تنسيقهما في السيطرة على مدينة غاوا وتسيير شؤونها لمدة تسعة أشهر تقريبًا.

كما أن خلافهم مع باقي تشكيلات القاعدة في الصحراء تراجع، وإن كان بقي قائمًا على حد تعبير أمير منطقة الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي الجزائري يحيى أبو الهمام، الذي أكد خلال مقابلة أجريتُها معه تمسك تنظيمه بضرورة تراجع مؤسسي جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا عن قرار الانفصال عن تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وضرورة عودتهم إلى تنظيمه، مضيفًا أنهم رغم الخلافات معهم فإنَّ الاتصال قائم بينهم والتنسيق مستمر؛ لتحقيق الأهداف المشتركة بين التنظيمين.

كما أن متغيرات الوضع الميداني، وظهور حركة علمانية قوية في المنطقة، هي الحركة الوطنية لتحرير أزواد التي تقاتل من أجل استقلال إقليم أزواد عن مالي وإقامة دولة مدنية فيه، فضلاً عن اندلاع الحرب مع الجيش المالي، كلها أمور أرغمت التنظيمين (القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وجماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا) على تجاوز خلافاتهما -ولو مؤقتًا- والدخول في تحالف مع جماعة أنصار الدين تحت مسمى "المجاهدين"، وحين بدأت الحرب ضد الجيش المالي وانهار هذا الأخير، أسندت إلى جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا -في إطار تحالفها مع أنصار الدين والقاعدة- مهمة السيطرة على مدينة غاوا عاصمة إقليم أزواد، بالتنسيق مع كتيبة الملثمين.

وقد تقاسم التنظيمان السيطرة على المدينة مع الحركة الوطنية لتحرير أزواد الانفصالية، إلا أن جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا بمعيَّة عناصر القاعدة آثروا الغبن في شراكتهم مع الحركة الوطنية، فسيطر مقاتلوهم على القاعدة

العسكرية في المدينة والمواقع الاستراتيجية، تاركين للحركة الوطنية لتحرير أزواد بعض الأحياء الشعبية والمباني الإدارية ومطار المدينة، وهو ما سهَّل مهمتهم لاحقًا حين قرروا طرد الحركة الوطنية من المدينة بعد تصاعد الخلافات معها.

وبعد السيطرة على مدينة غاوا والمناطق القريبة منها عَرَفتْ جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا توسعًا، إثر انضمام عشرات من الصحراويين والماليين والموريتانيين والجزائريين وجنسيات أخرى إليها، وأصبحت ترفض وصفها بأنها حركة تقوم على مقاتلين من قبائل "عرب تلمسي" أو أزواد فقط. وقد عينت حركة التوحيد والجهاد أحد قادتها ويُدعى "عبد الحكيم الصحراوي" من الصحراء الغربية واليًا على غاوا، وعيَّنتْ علي توري المكنى "أبو محمد" -وهو من سكان غاوا- قائدًا للشرطة الإسلامية في المدينة.

## خلافات المؤسسين

خلال الأسابيع الأولى لسيطرة جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا على مدينة غاوا، بدأت بوادر خلاف داخلها بين الرجلين المؤسسين لها، وهما سلطان ولد بَادِي وأحمد ولد عامر، وهو صراع كان مردُّه إلى أن ولد بادي اعتبر أن شريكه وابن عمه "ولد عامر" استأثر بالحركة، وانحرف بها عن مسارها المحدد سلفًا، وتحولت من حركة إسلامية محلية إلى حركة موغلة في التشدد تناصب العداء لدول المنطقة وللعالم بأسره، في حين كان ولد بادي يرغب في أن تكون تلك الحركة واجهة سلفية للقبائل العربية في أزواد، على غرار جماعة أنصار الدين التي تمثل واجهة سلفية للطوارق في أزواد.

كما اعتبر ولد بادي -حسب مقربين منه- أن بعض عمليات الحركة ضد الجزائر لم تكن مبررة على الإطلاق، فضلاً عن إعدامها لنائب القنصل الجزائري في مالي الطاهر تواتي الذي كان محتجزًا لديها، وأنها كان ينبغي أن تكون حركة تميل إلى الاعتدال والتفاهم مع دول المنطقة؛ حتى يتسنى لها أن تكون ممثلاً لسكان أزواد من العرب. غير أن أحمد ولد عامر والقيادات الصحراوية والموريتانية معه، أخذوا الحركة إلى مزيد من الراديكالية، وأعلنوا "الجهاد" ضد ما سمّوها الأنظمة المرتدة في المنطقة.

ومع تفاقم الخلافات بين الرجلين أعلن سلطان ولد بادي انشقاقه عن الحركة مع عناصر كتيبة "صلاح الدين" التي يقودها، وانضمامه إلى جماعة أنصار الدين باعتبارها الحركة الأكثر اعتدالاً بين الحركات الإسلامية المسلحة في المنطقة، فضلاً عن كونها حركة محلية أزوادية. وتوجه سلطان ولد بادي إلى مدينة تمبكتو مطلع عام 2013 التي كان يوجد بها زعيم جماعة أنصار الدين إياد أغ أغالي؛ للتحضير للهجوم الذي ستقوم به حركته بالتنسيق مع تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي جنوبًا نحو مدينة "سفاري" وبلدات "كونا" و"جبالي"، وفي تبمكتو بايع سلطان ولد بادي باسم عناصر كتيبته أمير جماعة أنصار الدين على السمع والطاعة، وأصبح عضوًا في جماعة أنصار الدين، ويقول عارفون بالرجل: إن طبيعته تميل إلى العقلانية والاعتدال أكثر من شريكه أحمد ولد عامر الذي يميل إلى التشدد وروح المغامرة.

وقبل اندلاع الحرب الأخيرة في مالي بقيادة فرنسا، لوَّحت جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا أكثر من مرة بتوسيع نشاطاتها المسلحة لتشمل كافة الأراضي المالية، مؤكدة في أكثر من بيان لها أنها قادرة على دخول العاصمة المالية باماكو والسيطرة عليها في غضون 24 ساعة، متى ما أرادت ذلك، وقال قادة الحركة إنهم يمتلكون ترسانة عسكرية ضخمة ومئات المقاتلين المدربين القادرين على دحر الجيش المالي والقوات الإفريقية التي تشارك في الحرب ضدهم، كما هددت الحركة أيضًا بضرب دول الجوار وفرنسا، ووصف أمير الحركة وقائدها العسكري أحمد ولد عامر دول جوار مالي بأنها "دول جور وظلم وكفر"، مضيفًا أنهم باعتبارهم حركة إسلامية جهادية "مطالبون شرعًا بقتال تلك الدول لرفضها وامتناعها عن تطبيق شرع الله"[1].

ومع توسع الحركة وسيطرتها على أجزاء واسعة من أزواد انطلاقًا من غاوا ومنيكا وأنفيف ودوينزا وغيرها، والتحاق مئات المقاتلين بها من خارج مالي، بعضهم صحراويون وماليون وموريتانيون ومغاربة وتونسيون وغيرهم من جنسيات مختلفة، أعلنت عن تأسيس أربع سرايا مقاتلة أخرى هي: سرية "عبد الله

---

1 "أمير كتيبة بن لادن لـ"الأخبار": التهديد الدولي قدر كوني سنواجهه بالقتال".
http://arc.alakhbar.info/27520-0-ACCBBF-FFAB--FC-F0FC0C50-B-F-F.html

عزام"، وسرية "أبو مصعب الزرقاوي"، وسرية "أبو الليث الليبي"، وسرية "الاستشهاديين". وقد عمدت جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا بعد سيطرتها على مدينة غاوا إلى تأسيس محاكم شرعية بالتعاون مع كتيبة "الملثمين" وهيئات للحسبة، ونفذت عدة عمليات جلد وقطع لليد ورجم في حق متهمين بالسرقة والزنا وشرب الخمر[1].

### 3- أنصار الشريعة

وهي تشكيل تأسس نهاية عام 2012 من عناصر ينحدرون من قبائل "البَرَابيش" العربية في مدينة تمبكتو، ويقول مؤسسو الحركة إنها تسعى لأنْ تكون امتدادًا عربيًّا لجماعة أنصار الدين الطارقية، وذلك بعد أن فشلت جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا في تمثيل العرب الأزواديين؛ بسبب راديكاليتها، وقيامها بعمليات خطف وقتل وتفجير. وقد بدأ مؤسسو جماعة أنصار الشريعة تحركاتهم في نوفمبر/تشرين الثاني عام 2012، وزاروا مدينة غاوا؛ بحثًا عن اتفاق مع العرب هناك، والتقوا خلال وجودهم فيها بقادة "الملثمين" وجماعة التوحيد والجهاد، قبل أن يعودوا إلى مدينة تمبكتو، ليعلنوا منها ميلاد حركتهم.

ويقود الحركة عسكريًّا القيادي السابق في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي عمر ولد حمَّاه المعروف إعلاميًّا بصاحب اللحية الحمراء، وهو والد زوجة زعيم كتيبة "الملثمين" مختار بلمختار، وينحدر من قبيلة أولاد إدريس "البربوشية"، ويتبع له عشرات المسلحين الذين تمركزوا بداية في مدينة تمبكتو قبل أن ينتقلوا إلى أقصى الشمال عند بدء الحرب في مالي، ويقول عمر ولد حمَّاه: إن تنظيمه يشكل امتدادًا لجماعة أنصار الدين التي يقودها الزعيم الطارقي إياد أغ أغالي، وأن تأسيس التنظيم جاء بعد أن لوحظ غياب قبائل البرابيش عن "العمل الجهادي"، بخلاف قبائل الطوارق وعرب تلمسي الذين انخرطوا في جماعتي أنصار الدين والتوحيد والجهاد في غرب إفريقيا؛ لذلك تم تأسيس تنظيم خاص بأبناء

---

1 "ولد محمد الخيري: نجحنا في فض نزاعات عمرها 40 عامًا".
http://arc.alakhbar.info/27595-0-0F-FCCFFAB--C---40--CC0.html

قبائل البرابيش لتحريضهم على الالتحاق بالعمل المسلح[1]. ويُعرف عن عمر ولد حماه أنه كان من أبرز نشطاء جماعة الدعوة والتبليغ في أزواد، قبل أن يلتحق بالجماعة السلفية للدعوة والقتال، ويُزوِّج ابنته لأمير الصحراء السابق مختار بلمختار، وقد ظهر بعد سيطرة الجماعات السلفية المسلحة على أزواد باعتباره قائدًا عسكريًا ومتحدثًا باسم تلك الجماعات؛ حيث تحدث أحيانًا باسم تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، وأحيانًا باسم جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، وأحيانًا باسم جماعة أنصار الدين. غير أن هذه الأخيرة تبرأت من تصريحاته على لسان الناطق باسمها سنده ولد بوعمامة، كما تبرأ أمير الصحراء في تنظيم القاعدة يحيى أبو الهمام أيضًا من تصريحات ولد حماه، قائلاً إنها لا تمثل رأي تنظيمه. لكن الحقيقة هي أن عمر ولد حماه ظل يدين بالولاء لأمير كتيبة "الملثمين" بلمختار ويتبع له، إلا أنه انفصل عنه في خطوة تكتيكية لتأسيس جماعة أنصار الشريعة نهاية عام 2012، حيث يقول مقربون من بلمختار: إن التحاق ولد حماه بجماعة أنصار الشريعة تم بمباركة من مختار بلمختار نفسه، وتنسيق معه.

وبعد اندلاع الحرب الفرنسية الإفريقية على الجماعات المسلحة في أزواد، اختفى عمر ولد حماه بعد أن أصبح اسمه من بين القادة المطلوبين للدوائر الأمنية الغربية، قبل أن يظهر في شريط فيديو أصدرته جماعة "الملثمين"، وكُتب عليه أنه سُجِّل في يوليو/تموز 2013، حيث كان ولد حماه يتحدث فيه باللغة الفرنسية في مكان ما من الصحراء وحوله مقاتلون ملثمون، ويتوعد الفرنسيين باستهداف مصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية والعسكرية أينما كانت.

## 4- حركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية

هي حركة أسستها مجموعة من أبناء الولايات الصحراوية الجنوبية في الجزائر سنة 2006، وحملت بداية اسم "حركة أبناء الصحراء للعدالة"، وقد نفَّذت أول عملية عسكرية لها في شهر أكتوبر/تشرين الأول من نفس العام، عندما هاجمت

1 "كتيبة أنصار الشريعة.. مشروع جهادي جديد يقوده صاحب اللحية الحمراء".
http://www.saharamedias.net/%D9%83%D8

شركة نفطية في الجنوب الجزائري بمنطقة "عين أمينَاس"، غير أن أشهر عملية قامت بها تلك الجماعة وأخذت منها زخمها الإعلامي، هي الهجوم على مطار "جَانَــت" الدولي في جنوب الجزائر فجر يوم 8 نوفمبر/تشــرين الثــاني 2007، وتم خلالهـا استهداف طائرة شحن من نوع "لوشن" كانت جاثمــة في المطــار، إضــافة إلى مروحيتين عسكريتين.

واقتصرت مطالب الحركة في البداية على ضرورة إشراك الولايات الجنوبيــة الجزائرية في مشاريع التنمية، واستفادتها من ريع الثروات النفطية والغازيــة الــتي توجد بها، وقد استطاعت الحكومة الجزائرية استيعاب الحركة عن طريق وســطاء من أعيان قبائل المنطقة، بعد أن فتحت معها حوارًا، وتم تنسيق لقاءات عديدة بين عناصر من الحركة والوسطاء وممثلين عن السلطات الجزائرية، أسفرت عن قبــول الحركة بالدخول في السلم ووضع السلاح، على أن تلتزم الســلطات الجزائريــة بتطبيق مطالب كانت الحركة قد رفعتها، وتدور في مجملها حول تنمية الولايــات الصحراوية في جنوب الجزائر وبعض الإصلاحات وضــبط بعــض التجــاوزات بالجنوب. وكان يقود الحركة خلال المرحلة الأولى من تأسيســها عبــد الســلام طرمون، ونائبه يوسف بشنب، وقد تخلت عن العمل المسلح بعــد أشــهر علــى انطلاق نشاطاتها، واستمرت هدنتها مع السلطات الجزائرية حوالي أربع ســنوات. وفي سبتمبر/أيلول 2011 أعلنت الحركة استئناف نشاطاتها المسلحة، بعد أن وصل عدد من عناصرها بقيادة محمد الأمين بشنب المكنى "الطاهر أبو عائشة" إلى شمــال مالي، حيث استضافهم مختار بلمختار في معسكرات كتيبتــه "الملثمــون". وقــد أصدرت الحركة حينها شريطًا مصورًا أعلنت فيه تغيير اسمها من حركــة أبنــاء الصحراء للعدالة، ليصبح حركة أبناء الصحراء للعدالة الإسلامية، كما أعلنــت أن أهدافها لم تعُدْ جهَوِيَّة، وإنما أصبحت تطالب بتطبيق "العدالة الإسلامية" على كافة الأراضي الجزائرية[1].

---

1 "حركة أبناء الصحراء للعدالة تعود للعمل المسلح ضد الجزائر انطلاقًا من شمال مالي". http://www.ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=15185

في الأسبوع الأخير من شهر إبريل/نيسان والأسبوع الأول من شهر مايو/أيار، كنتُ في أزواد وقابلت زعيم الحركة حينها محمد الأمين بشنب (الطاهر أبو عائشة)، وأجريتُ معه حوارات عديدة وجلسات مطوَّلة، تناول فيها بالتفصيل أسباب تأسيس الحركة وأهدافها والعمليات التي نفذتها حتى الآن، وقد اعتبر "بشنب" في أحد حواراته معي أن حركته "جاءت تطورًا طبيعيًّا" للحراك الشعبي الذي عرفته الولايات الجنوبية في الجزائر سنوات 2004 و2005 و2006؛ للمطالبة بالعدالة الاجتماعية، وتوفير فرص الشغل للشباب العاطلين، ومنح تلك الولايات الأولويَّة في مشاريع التنمية، واستفادتها من ثرواتها الطبيعية التي يعتبرونها شريان الاقتصاد الجزائري. وقال: إن حركته تأسست بالتحديد في شهر مارس/آذار عام 2006، وكانت مطالبها هي نفسها مطالب المتظاهرين في الحراك الذي شهدته السنوات السابقة، وكان مردُّ تأسيسها -حسب قوله- أنه بدا واضحًا لهم أن النظام الجزائري لن يستجيب للمطالب التي رفعوها خلال مظاهراتهم السلمية، فانصبَّ تفكيرهم -رغم قلة عدد المقتنعين بالعمل المسلح- على التخطيط لعمل عسكري يكون بمثابة رسالة للنظام، وحين سألته عن حقيقة سعي الحركة لانفصال الولايات الجنوبية عن الجزائر، أو الإطاحة بالنظام هناك، نفى الأمين بشنب أن يكون قادة الحركة قد فكروا ولو للحظة واحدة في أيٍّ من الهدفين، وبرّر العمليات العسكرية التي نفذوها بالقول: إن هدفها كان توجيه رسائل، لعلَّ النظام يفهمها ويستوعبها ويستجيب لمطالب الحراك الشعبي في الجنوب، فكان أن خرج المؤسسون السبعة للحركة إلى أزواد في شمال مالي وكلهم من أبناء الولايات الجنوبية (جانت، وورقلة، وإليزي، والمنيعة)، ومن هناك بدؤوا التخطيط لتوفير السلاح وتنفيذ عملية عسكرية، وكان لبعضهم -وفي مقدمتهم الأمين بشنب- خبرة في الصحراء؛ بسبب عملهم سابقًا في مجال التهريب. ومن شمال أزواد توجهوا بعد أن حصلوا على السلاح عبر الجبال إلى قرب مدينة "جانت"، حيث قضوا عدة أيام، ووقع اختيارهم على منطقة "عين أميناس" القريبة من الحدود الليبية، حيث قررنا -يقول بشنب- توجيه رسالة للنظام عبر تنفيذ عملية عسكرية ضد موقع لضخ النفط هناك، وكنا سبعة رجال فقط،

وكانت العملية بسيطة تمثلت في استهداف الموقع المذكور يوم 17 أكتوبر/تشرين الأول 2007 بقذائف الهاون وسلاح الدوشكا، ثم انسحب المهاجمون إلى جبال الطاسيلي، لكن النظام الجزائري -يضيف بشنب- استطاع أن يُغيِّب هذا العمل عن وسائل الإعلام، فمرَّ الحدث دون أن يكون له أي صدى، فلم تأخذ العملية بُعدها الإعلامي الذي كان منفذوها يرجونه من ورائها، ففكر عناصر الحركة في إعادة الكَرَّة، لكن هذه المرة قرروا استهداف مطار "جانت" العسكري المعروف في جنوب البلاد، وكان عددهم قد تضاعف وأصبحوا أربعة عشر شخصًا. وأثناء التخطيط للعملية، وصلتهم معلومات تفيد أن الرئيس الألماني سيزور مدينة "جانت" برفقة الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، وكانت الزيارة يوم السبت، في حين كانت هناك طائرة شحن عسكرية من نوع "لوشن" تصل عادة إلى المطار مساء كل أربعاء محملة بالمؤونة للعسكريين، فقرروا استهدافها، وهنا يروي الأمين بشنب تفاصيل تلك العملية التي كان مشاركًا فيها، قائلاً إنهم وضعوا خطة الهجوم والانسحاب، وكان مقررًا بداية أن يكون الانسحاب بعد تنفيذ العملية باتجاه الحدود مع النيجر، ووصلوا إلى المطار المستهدف الساعة العاشرة مساء، لكنهم فوجئوا بوصول طائرة مدنية تحمل عددًا من المسافرين، فكانوا مجبرين على تغيير الخطة وتأجيل موعد التنفيذ، وانتظروا قرب المطار ساعات عديدة حتى الساعة الثالثة فجرًا حين غادرت الطائرة المدينة بعد أن أنزلت ركابها القادمين ونقلت المغادرين، كما غادر العاملون في المطار، فنفَّذت المجموعة خطتها بمهاجمة الطائرة العسكرية الجاثمة على أرضية المطار ودمروها، إضافة إلى مروحيتين عسكريتين. وفي حدود الساعة الرابعة فجرًا انسحبوا إلى الجبال، بعد أن قرروا تغيير خطة الانسحاب، واختاروا التوجه إلى الحدود الليبية بدلاً من النيجر، وقطعوا مسافة تزيد على 60 كلم، وبعد وصولهم إلى الجبل أجرى أحد عناصر المجموعة اتصالاً هاتفيًّا، فتمكنت القوات الجزائرية من رصد مكالمته وتحديد موقعهم، وقامت المروحيات بقصف المكان، فاضطر المسلحون إلى ترك سياراتهم والانسحاب على أقدامهم بسبب القصف، وقد أمضوا شهرين وهم يتنقلون في الجبال سيرًا على الأقدام باتجاه الحدود الليبية، وكانوا يتحركون ليلاً ويختبئون نهارًا، كما كانوا

يضطرون أحيانًا للمكوث في مكان واحد عدة أيام قبل مواصلة السير، إلى أن وصلوا إلى مكان يبعد حوالي 40 كلم من الحدود الليبية، فقرر بعض عناصر المجموعة البقاء في الجبال داخل الحدود الجزائرية، وواصلت مجموعة أخرى يقودها الأمين بشنب السير إلى أن دخلوا الأراضي الليبية التي قضوا فيها شهرين، وهناك يقول الأمين بشنب: قابلت أناسًا أعرفهم من سكان الحدود، فسهَّلوا لي مهمة التنقل إلى أزواد شمال مالي.

وعند وصوله إلى أزواد كان بشنب منقطعًا تمامًا عن العالم، فخلال الأشهر الماضية لم يستخدم الهاتف؛ خوفًا من رصده وتحديد موقعه. وفي مالي بدأ يتلمس أخبار زملائه الذين تركهم قرب الحدود مع ليبيا، ومن ثَمَّ التفكير في القيام بعمل لإنقاذهم. وبعد شهرين عَلِم أن عناصر الحركة دخلوا في حوار مع السلطات الجزائرية عبر وسطاء من أعيان القبائل في المناطق الجنوبية، وأن مستشار الرئيس وصل إلى "جانت" للإشراف على المفاوضات، وتم التوصل إلى اتفاق عبر المخابرات الجزائرية وبضمانة من الوسطاء، وكان قائد الحركة حينها عبد السلام طرمون، ونائبه يوسف بشنب هما من وقّع على الاتفاق، الذي تضمن وعودًا بأن السلطات ستنفذ مطالبهم، كما تعهدوا لهم بعدم المتابعة الأمنية والقضائية، فنزلوا من الجبال وسلموا أسلحتهم، واتصل عناصر الحركة برفيقهم الأمين بشنب في أزواد، وطلبوا منه العودة إلى الجزائر؛ لأن الإشكال مع السلطات الجزائرية تم حله، وليست هناك أي متابعة أمنية أو قضائية، وفعلاً استجاب الأمين بشنب لدعوة زملائه، وعاد إلى الجزائر عبر الحدود.

وبعد أربعة أشهر من توقيع الاتفاق بين الحركة والسلطات الجزائرية، وقع نقاش داخل الحركة؛ بسبب ما وصفوه بعدم شروع السلطات الجزائرية في تنفيذ مطالبهم، فقرر الأمين بشنب مغادرة الجزائر ثانية والعودة إلى شمال مالي؛ تمهيدًا لاستئناف العمل المسلح، لكنه قضى شهرين فقط في أزواد، وعاد ثانية إلى الجزائر بناء على رغبة عناصر الحركة في الداخل الذين طلبوا منه منح الحكومة مزيدًا من الوقت، وبعد عودته مكث في الجزائر سنتين، ثم بدأ مع عناصر من الحركة بينهم نائب رئيسها يوسف بشنب التحرك من جديد، وغادروا الجزائر سرًّا متوجهين إلى

شمال مالي، وفي أزواد قابل الأمين بشنب ورفاقه القيادي في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي مختار بلمختار وانخرطوا في تنسيق معه، وتغيَّرت الأجندة، و لم تعد الحركة تطالب بإنصاف ولايات الجنوب فقط، وإنما حملت مطالب جديدة في مقدمتها توفير "العدالة الإسلامية" لكافة الجزائريين.

## العلاقة مع "بلمختار"

تحدث الأمين بشنب خلال لقائي معه بإسهاب عن علاقته بالقيادي السابق في تنظيم القاعدة مختار بلمختار، مؤكدًا أنه في خرجاته الأولى إلى أزواد لم يتصل به، و لم تكن بينهما أي علاقة أو معرفة، بل لم يكن رآه من قبل، بخلاف عبد الحميد أبو زيد الذي كان يعرفه سابقًا أيام نشاطهما في التهريب عبر الصحراء قبل التحاقهما -منفصلين- بالجماعات الإسلامية المسلحة، أما بعد خروجه الثالث إلى أزواد فقد بدأ بشنب في البحث عن بلمختار وقابله في معسكرات كتيبة "الملثمين" في جبل تغرغارت، وعرض عليه أن يتعاونا؛ لأنَّ أهدافهما أصبحت واحدة، كما يقول. وفي سنة 2011 بدأ النشاط المشترك بين حركته وكتيبة "الملثمين" التي كانت ساعتها كتيبة تابعة لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.

واعترف الأمين بشنب في حديثه أن تعاونه مع مختار بلمختار كان سببًا في مأساة ابنه عبد الكريم، وشقيقه عبد القادر؛ لأنه ورطهما دون أن يكونا على علم بحقيقة ما يقومان به، وذلك حين طلب منه بلمختار مساعدته في إخراج عناصر من الجزائر يريدون الالتحاق به في أزواد، فطلب هو من شقيقه عبد القادر مساعدتهم في ذلك، دون أن يكشف له عن هوياتهم، وإنما قدمهم له على أنهم عناصر عاديون يريدون تهريب بضاعة نحو أزواد، ويرغبون في الحصول على مساعدة منه باعتباره على دراية كبيرة بطرق ومسالك تلك الصحراء، كما اشترك ابنه عبد الكريم مع شقيقه في محاولة تهريب العناصر المذكورين. لكن قوات الأمن الجزائرية نصبت لهم كمينًا واشتبكت مع المسلحين، كما قامت باعتقال ابنه وشقيقه، وصدر بحق الأول (عبد الكريم بشنب) حكم بالسجن النافذ خمس سنوات، وفي حق الثاني (عبد القادر بشنب) حكم بالسجن النافذ عشرين سنة،

بينما صدرت أحكام بالإعدام غيابيًّا في نفس القضية في حق الأمين بشنب وقريبه ومساعده الأول يوسف بشنب المكنى "أيمن" ومختار بلمختار.

وقد قُتل الأمين بشنب خلال مشاركته في عملية احتجاز عشرات الرهـــائن الغربيين في مجمع "تيقنتورين" الغازي ببلدة عين أميناس جنوب الجزائـــر في شـــهر يناير/كانون الثاني عام 2013[1]، وهي العملية التي نفذها كتيبة "الموقعون بالدماء"، وبعد مقتله تولى نائبه وابن عمه يوسف بشنب قيادة الحركة، فيما كشفت تقارير إعلامية عن التحاق زعيم الحركة السابق عبد السلام طرمون بصفوفها مجددًا.

---

1 "مقتل 18 إرهابيًا وتحرير 650 رهينة بينهم 100 أجنبـــي".
http://www.echoroukonline.com/ara/mobile/articles/154400.html

الفصل الخامس

# حركات أخرى

## (قومية - وطنية)

إضافة إلى الحركات الإسلامية المسلحة، هناك ثلاث حركات مسلحة أخرى تنشط في صحراء أزواد تأسست على طرح قومي ووطني، وترفض التعامل مع الحركات الجهاديَّة وتصفها بـ "الإرهابيَّة"، وهي:

## 1- الحركة الوطنية لتحرير أزواد

أُعلن عن ميلاد الحركة الوطنية لتحرير أزواد في أكتوبر/تشرين الأول عام 2010، وتعتمد أساسًا على نشطاء "تومستيين" (تومست تعني القومية بلغة التماشق الطوارقية) من الطوارق وليبراليين ومستقلين، وآخرين لا يُعرف لهم انتماء أيديولوجي، إضافة إلى مقاتلين من قبائل "كنتة" العربية في أزواد.

والكثير من قادتها وعناصرها من المسلحين الطوارق كانوا مقاتلين في كتائب الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، وقد غادروا ليبيا بعد انتصار الثورة الليبية ورحيل معمر القذافي، إضافة إلى عشرات من ضباط وعناصر الجيش المالي المنحدرين من أزواد الذين انشقوا عنه بعد تأسيس الحركة، وهي حركة قومية علمانية، تسعى لاستقلال إقليم أزواد وإقامة دولة مدنيَّة فيه، وهو ما أعلنت عنه في إبريل/نيسان عام 2012 بعد سيطرتها مع الحركات الإسلامية المسلحة على إقليم أزواد شمال مالي. وللحركة جناحان أحدهما عسكري والآخر سياسي، وبالرغم من محاولاتها الترويج لنفسها باعتبارها حركة تمثّل كل سكان الإقليم بمن فيهم العرب والفُلان والسُّونْغَاي، فضلاً عن الطوارق، فإنَّ هيمنة الطوارق عليها كانت واضحة؛ مما جعل الكثيرين ينظرون إليها باعتبارها حركة طارقية بامتياز، بالرغم من وجود مجموعات عربية كبيرة من قبائل كنتة في صفوفها، ووجود نائب للأمين العام للحركة من قبائل السونغاي الزنجية، يُدعى محمدو جيري ميغا، إلا أن السواد الأعظم من مقاتلي الحركة وأغلبية قادتها ينتمون إلى قبائل الطوارق؛ حيث تولت قبيلة "الإيِدْنَان" القيادة العسكرية للحركة ممثلة في الضابط السابق في كتيبة

"المغاوير" بالجيش الليبـــي محمد أغ نَاجِم منصب قائد أركان الحركة، ومعه قادة آخرون انضم إليهم مقاتلون من أبناء قبائلهم، كما هو حال العقيـــد الســـابق في الجيش المالي الصَّلاة أغ خَبِّي المنتمي لقبائل "شَمَانمس" الطارقية، والذي يقود فيلقًا من مقاتلي قبيلته، والقائد العسكري حسن أغ فَغَاغَا الذي انحاز إليه مقاتلون مـــن "الإيفُوغَاس" وهم عشيرته وعشيرة الأمين العام للحركة بلال أغ الشريف، هـــذا فضلاً عن عناصر قيادية مـــن قبائـــل أخـــرى مثـــل "كَلَسُـــوك" و"كَلَنْصَـــار" و"إيدوسحاق" و"إمُوشَاغ" وغيرها من قبائل الطوارق، بينمـــا لـــوحظ غيـــاب مجموعات قبائل "الإيمغاد" الطارقية عن صفوف الحركة، بل عن حركات التمـــرد بشكل عام، باستثناء أعداد قليلة في "اربندا" على الحدود مع بوركينا فاسو بقيادة آكلي أغنن أغ سليمان.

بل كان الظهور الفعلي لقبائل "الإيمغاد" إلى جانب الكولونيل في الجيش المـــالي الهجي أغ آمو الذي احتفظ بولائه لدولة مالي، وظل يقاتل إلى جانب الحكومة الماليـــة ضد حركات التمرد في أزواد. كما انتظم مقاتلو قبائل كنتة العربيـــة في تشـــكيلات مسلحة تابعة للحركة الوطنية، يقودها بعض أبناء القبيلة وحلفاؤهم من الطوارق.

وكانت الحركة الوطنية لتحرير أزواد أول من أطلق الشرارة الأولى للحـــرب ضد الجيش المالي في أزواد، حين شنت في شهر يناير/كانون الثـــاني عـــام 2012 هجومًا على مدينة منيكا بشمال شرق أزواد قرب الحدود مع النيجر وســـيطرت عليها بالكامل، كما بسطت سيطرتها بعد ذلك على مدينة ليرة في القسم الغربـــي من أزواد قرب الحدود مع موريتانيا، وواصلت الحركة تقدمها بتنســـيق يشـــوبه الحذر مع جماعة أنصار الدين إلى أن سيطرتا -بالتعاون مع الحركـــات الجهاديـــة الأخرى- على إقليم أزواد بكامله؛ حيث سيطرت الحركة الوطنية لتحريـــر أزواد على أجزاء من مدينة غاوا عاصمة الإقليم، وبعض الأحياء في أطـــراف مـــدينتي تمبكتو وكيدال، كما سيطرت بشكل كامل على مدن وبلدات أخرى مثل منيكا وأنفيف وليرة وغيرها.

بَيْدَ أنَّ الظهور القوي للحركة الوطنية لتحرير أزواد عشية انطلاق شـــرارة الحرب ظل يتراجع شيئًا فشيئًا، لصالح الفصيل الثاني من المتمردين الطوارق، وهو

جماعة أنصار الدين ذات التوجه السلفي الجهادي، حيث أعلن عدد من قادة الحركة الوطنية انضمامهم لأنصار الدين في رفقة فيالق من مقاتليهم.

وبعد انسحاب آخر جندي مالي من أزواد وإحكام الحركات المسلحة سيطرتها عليه، أعلنت الحركة الوطنية لتحرير أزواد عن استقلال الإقليم وإقامة جمهورية أزواد في إبريل/نيسان عام 2012، ثم وقّعت بعد ذلك في أواخر شهر مايو/أيار من نفس السنة اتفاقًا مع جماعة أنصار الدين يقضي بإقامة دولة تحمل اسم "دولة أزواد الإسلامية"، غير أن بعض القادة السياسيين للحركة الوطنية خصوصًا في الخارج رفضوا الاتفاق الذي انهار بسرعة، ثم دخلت الحركة بعد ذلك في مواجهات مسلحة مع جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا و"كتيبة الملثمين" اللتين كانتا تشاطرانها السيطرة على مدينة غاوا. وفي نهاية يونيو/حزيران عام 2012 اندلع قتال عنيف بين الجانبين، انتهى بطرد الحركة الوطنية لتحرير أزواد من مدينة غاوا وكبريات المدن والبلدات في أزواد، واستقر مقاتلوها في قرى وبلدات صغيرة على الحدود بين أزواد وكل من الجزائر وموريتانيا والنيجر. وقد ترافقت هزيمة الحركة الوطنية على يد المقاتلين الإسلاميين، مع نزيف حاد عرفته أوساطها عبر انسحاب مجموعات كبيرة من المسلحين منها وانضمامهم لجماعة أنصار الدين المتحالفة مع القاعدة وحركة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا.

ومع بدء العمليات الفرنسية ضد الحركات الجهادية في شهر يناير/كانون الثاني عام 2013، استفادت الحركة الوطنية من رحلة هجرة معاكسة للمقاتلين الطوارق، حيث عاد إلى صفوفها بعض قادتها وعناصرها الذين انشقوا عنها سابقًا وانضموا إلى جماعة أنصار الدين أو الحركة الإسلامية الأزوادية[1]، واستغلت الحركة الوطنية فرصة الحرب الجديدة للتحالف مع الفرنسيين ضد الحركات الجهادية المسلحة التي كبّدت الحركة سابقًا خسائر فادحة، فاستعاد مقاتلو الحركة السيطرة على مدن منيكا وأنفيف وليرة، كما سيطروا على مدينة الخليل الاستراتيجية قرب

---

1 "قيادات عسكرية تنشق عن حركة أزواد الإسلامية وتنضم للحركة الوطنية".
http://www.saharamedias.net/%D9%82%D9%8A%D

الحدود مع الجزائر، ودخلت قوات من الحركة إلى مدينة كيدال إلى جانب القوات التشادية والفرنسية وقوات المجلس الأعلى لوحدة أزواد.

## 2- الحركة العربية الأزوادية

تأسست في بداية شهر إبريل/نيسان بعد سيطرة الجماعات المسلحة على كامل أراضي أزواد، وذلك على أنقاض حركة سابقة كانت تُعرف في تسعينات القرن الماضي باسم الحركة العربية الإسلامية لتحرير أزواد، التي شاركت في حرب الانفصال سنة 1990، قبل أن توقّع اتفاقية سلام مع الحكومة المالية.

ويقود الحركة العربية الأزوادية أمينها العام أحمد ولد سيدي محمد المقيم في موريتانيا، وينحدر من قبيلة "أولاد إعيش" العربية في بلدة أروان شمال مدينة تمبكتو، وقد تأثر بفكر الإخوان المسلمين الذي اعتنقه أيام دراسته في مصر خلال ستينات القرن الماضي[1]، وكان من أوائل قادة الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمين) في موريتانيا خلال عقد التسعينات.

وتضم الحركة أساسًا عناصر من قبائل عرب البرابيش، كما انضمت إليها مجموعات من قبائل "عرب تلمسي"، ولها حضور عسكري في أزواد، غير أن انتشار قواتها يقتصر على مواقع تمتد على شريط بين مدينة الخليل على الحدود المالية الجزائرية، ومواقع أخرى في "لكميزه" و"لَرنب" غير بعيد من الحدود الموريتانية المالية. وقد بدأت بوادر ميلاد الحركة عند ظهور ميليشيات مسلحة سيطرت على مدينة تمبكتو عشية انسحاب الجيش المالي منها نهاية شهر مارس/آذار عام 2012، لكنها لم تمكث طويلاً في المدينة وغادرتها بعد دخول كتائب تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي إليها، ثم دخلتها مجددًا في بداية شهر مايو/أيار عام 2012 تحت اسم الجبهة الوطنية لتحرير أزواد (FNLA)، ثم غادرتها ثانيًا بعد تهديدات تلقتها من القيادي في القاعدة عبد الحميد أبو زيد، بضرورة المغادرة أو الرضوخ لحكم "المجاهدين" حسب تعبيره.

1 محمد الحافظ الغابد، "الطوارق بين طموح الاستقلال وسيناريوهات التوظيف".
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/d41dcaff-cc11-42b3-ba82-a3f147fb7f7e

واحتفظت الحركة بعناصرها في مواقع بعيدة عن مدينة تمبكتو في صحراء أزواد، وعقدت جمعيتها العامة في بلدة "انْبَيكِت الأَحْوَاش" شرق موريتانيا، فيما عُرف حينها باسم "مؤتمر عرب أزواد"، وأصبح اسمها الحركة العربية الأزوادية، واختارت أحمد ولد سيدي محمد أمينًا عامًّا لها. وبعد اندلاع الحرب التي شنتها فرنسا وحلفاؤها على الحركات الإسلامية المسلحة، تعرضت مواقع تابعة للحركة العربية قرب مدينة الخليل لقصف جوي من الطائرات الفرنسية أسفر عن سقوط سبعة قتلى في صوف عناصرها، لكنها تمكنت بعد ذلك من الاتصال بالفرنسيين لتحديد مواقعها وتجنيبها ضربات أخرى. وبالتزامن مع ذلك تعرضت مجموعات قبليَّة تنتمي لقبائل "عرب تلمسي" لهجمات من مجموعات قبلية أخرى تنتمي للحركة الوطنية لتحرير أزواد؛ بحجة محاربة جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا، كما حصل مع مجموعات من قبائل "الأمهار" و"لادم" و"المولاة" في مدينة أنفيف جنوب كيدال أواخر شهر إبريل/نيسان عام 2013، وهجمات أخرى تعرضت لها أحياء من قبيلة "إفلان" العربية نفذها مسلحون ينتمون لقبائل "أدو إسحاق" الطارقية، يرفعون أعلام الحركة الوطنية لتحرير أزواد في مايو/أيار عام 2013، وكان الدافع الحقيقي -كما يقول أبناء المنطقة- وراء تلك الهجمات هو ثأر قديم بين القبيلتين، الأمر الذي دفع قبائل "عرب تلمسي" إلى تشكيل مجموعات مسلحة وإعلان الانضمام للحركة العربية الأزوادية، التي سارعت إلى تبني هجمات نفذتها تلك الميليشيات ضد قبائل كنتة العربية وبعض قبائل الطوارق في مدينة أنفيف.

### 3- المجلس الأعلى لوحدة أزواد (الحركة الإسلامية الأزوادية)

وقد أُعلن عن تأسيس هذه الحركة في يناير/كانون الثاني عام 2013 بعد انشقاق مؤسسيها عن جماعة أنصار الدين، ويقودها أعضاء قياديون سابقون في جماعة أنصار الدين كانوا يتولون المفاوضات باسمها مع مالي ومن بينهم العباس أغ انْتَالا، الذي سبق أن انتخب نائبًا في البرلماني المالي عن مدينة كيدال، التي ظل يمثلها إلى غاية انشقاقه وانضمامه لجماعة أنصار الدين سنة 2011، وقد انسحب بمعيته

من جماعة أنصار الدين، النائب الأول لأميرها الشيخ أغ أوسا، وهو قيادي سابق في حركات التمرد الأزوادية، ورفيق سلاح لأمير جماعة أنصار الـدين إيـاد أغ أغالي، حيث شارك معه في القتال بجنوب لبنان أوائل الثمانينات ضمن ميليشـيات أرسلها الزعيم الليبـي السابق معمر القذافي لدعم الفدائيين الفلسـطينيين، كمـا قاتل إلى جانبه ضمن صفوف القوات الليبية خلال حربها مع تشاد، وشارك معه في قيادة جبهة التحرير الأزوادية التي قادت التمرد ضد الدولة المالية في بداية تسعينات القرن الماضي، وكان ضمن قادة التمرد سنة 2006، كما انشق معهمـا القيـادي البارز وأحد الناطقين باسم جماعة أنصار الدين، وهو أحمد أغ بيبـي، الذي كان رفيق سلاح قديم لإياد أغ أغالي والشيخ أغ أوسا، وقياديًّا فيما عُرف بالتحـالف الديمقراطي لـ 23 مايو من أجل التغيير في شمال مالي، الذي أسسه الزعيم الطارقي الراحل إبراهيم أغ باهانغا سنة 2006.

## الانشقاق عن أنصار الدين

تعود قصة انشقاق مؤسسي الحركة الإسلامية الأزوادية عن جماعة أنصـار الدين إلى بداية شهر يناير/كانون الثاني عام 2013 عندما كانوا ضمن وفد من قادة أنصار الدين يقوده زعيم الحركة إياد أغ أغالي في طريقهم إلى مدينة تمبكتـو، وفي إحدى محطات الطريق وبالتحديد عند مدينة بوريم على بُعد 90 كلم شمال غـرب مدينة غاوا على طريق تمبكتو، أبلغ إياد أغ أغالي رفاقه عن مخطط لديـه للتقـدم جنوبًا ومهاجمة بلدة كونا بولاية موبتي وسط مالي والسيطرة عليها، الأمر الـذي فاجأ رفاقه، فسألوه عن دوافع القرار في وقت تتواصل فيه المفاوضات مع مالي عبر الوسيط الإفريقي رئيس بوركينا فاسو بليز كومباوري، وما إذا كان درس فعـلاً التداعيات التي قد ينجم عنها.تقدم مقاتلي أنصار الدين جنوبًا خارج منطقة أزواد، وكيف سيؤلِّب ذلك المجتمع الدولي والفرنسيين خصوصًـا علـى مهاجمـة أزواد ومحاولة طردهم منه. لكن إياد أغ أغالي ردَّ بالقول إنه درس الأمر جيدًا، والقـرار اتخذ بالفعل ولا رجوع عنه، وأن تقدمه نحو بلدة كونا جنوبًا جاء تلبية لدعوة من وجهاء ومشايخ مجموعة من قومية "الفُلّان" يقطنون في تلـك البلـدة، أعلنـوا

انضمامهم لجماعة أنصار الدين، وطالبوها ببسط السيطرة على بلدهم، هذا فضلاً عن اعتبارات أخرى من بينهما أنه على قناعة أن الحرب ستقع لا محالة، وأن الفرنسيين والماليين جادون في الإعداد لها، وسيسعى بتقدمه جنوبًا لأن تكون جماعة أنصار الدين والحركات المتحالفة معها هم من يحددون موعد المعركة وأرضيتها خارج أزواد، كما أنهم سبق وأن قرروا الانتقام من المذابح التي ارتكبها الجيش المالي في بلدة جبالي ضد بعض المدنيين الأزواديين ومجموعة من عناصر جماعة الدعوة والتبليغ الموريتانيين كانوا في طريقهم إلى مالي لحضور مؤتمر هناك. وأبلغ إياد أغ أغالي رفاقه أن مقاتلي جماعة أنصار الدين سيتوجهون إلى بلدة كونا للسيطرة عليها، فيما سيتوجه مقاتلو تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي بقيادة عبد الحميد أبو زيد إلى بلدة جبالي، وبعد نقاش طويل فشل إياد أغ أغالي في إقناع رفاقه بخطته للتقدم جنوبًا نحو وسط مالي، كما فشل رفاقه في ثنيه عن مخططه، وفي نهاية الجلسة أبلغ الثلاثة (الشيخ أغ أوسا، وأحمد أغ بيبي، والعباس أغ انتالا) إياد أغ أغالي بفك الارتباط معه والانسحاب من جماعة أنصار الدين، وقرروا العودة إلى مدينة كيدال لتدبر الأمر هناك، وعادوا أدراجهم، فيما واصل إياد التحرك نحو تمبكتو لإطلاق الحرب جنوبًا، ومساء نفس اليوم توقف موكبهم في بلدة أنفيف على بُعد حولي 100 كلم جنوب مدينة كيدال للمبيت، وأثناء نقاش دار بينهم اتفق الثلاثة على أن أنصار الدين لم تعد الإطار المناسب لهم، وأن انسحابهم منها لا رجعة فيه، وأن الحركة الوطنية لتحرير أزواد لا تتفق مع توجهاتهم ولا مع طرحهم، وبالتالي فإنّ الخيار الوحيد المتاح أمامهم هو تأسيس حركة جديدة اقترحوا لها اسم "الحركة الإسلامية الأزوادية"، وفي اليوم التالي وصلوا إلى مدينة كيدال حيث قاموا بسحب المقاتلين التابعين لهم بعتادهم وسياراتهم عن معسكرات أنصار الدين، وأسسوا جناحهم العسكري وانتشروا في بعض أحياء مدينة كيدال، واتصلوا بالفرنسيين عن طريق السفارة الفرنسية في باماكو وكذلك بالأميركيين، وأبلغوهم بموقفهم الجديد، ومعارضتهم للحرب التي تشنها أنصار الدين جنوبًا، ورفضهم التحالف مع تنظيم القاعدة والحركات المتهمة بالإرهاب، لكنهم في المقابل رفضوا المشاركة في الحرب التي تخوضها فرنسا

والجيوش الإفريقية ضد الجماعات الإسلامية المسلحة، فكان موقفهم أقرب إلى اعتزال الحرب منه إلى المشاركة فيها.

ووجهت الحركة الجديدة نداء إلى مالي وفرنسا لوقف عملياتهما القتالية في أزواد، خصوصًا في مدينتي كيدال ومنيكا في شمال شرق أزواد؛ وذلك من أجل خلق جو سلام يتيح للجميع المضيّ نحو إجراء حوار سياسي شامل، غير أن رفض الحكومة المالية الحوار مع الحركة الجديدة وإصدار القضاء في باماكو مذكرات اعتقال بحق بعض قادتها، أضعف من موقفها واختصر وجود الحركة حاليًا في سيطرتها على أحياء من مدينة كيدال بأقصى الشمال، وبعض المعسكرات في بلدات بمنطقة أدرار الإفوغاس، وهي أحياء تنتمي إليها أسر قادتها ومؤسسيها، وقد عمد قادة الحركة لاحقًا إلى التخلي عن اسم الحركة الإسلامية الأزوادية، وتأسيس تنظيم جديد يُعرف باسم "المجلس الأعلى لوحدة أزواد"، وسعوا إلى توسعيه ليشمل مزيدًا من التشكيلات والفعاليات القبلية والاجتماعية في شمال مالي.

## 4- "الكُونْدوكُوي" و"الكُونْدوايزو"

تعني كلمة "كُونْدُوكُوي" "أهل الأرض" بلغة الكُورُوبُورِيَة التي يتحدث بها السونْغَاي المنتشرون في الجزء الجنوبي من أزواد، وهي عبارة عن ميليشيات من تلك القبائل الزنجية، مدعومة من الحكومة المالية، تسعى لمواجهة الحركات الانفصالية، وقد ارتكبت هذه الحركة فظائع ضد السكان العرب والطوارق سنة 1990 -حسب روايات السكان- حيث اجتاحت بعض القرى والتجمعات السكنية العربية والطارقية، وقامت بعمليات إعدام جماعية واغتصاب وانتهاكات واسعة[1]، وكان عناصر "الكُونْدوكُوي" يدخلون القرى والمدن مع القوات المالية، خصوصًا في تمبكتو والمناطق التابعة لها، ويتولون اقتحام المساكن وقتل الرجال واغتصاب النساء وحرق الممتلكات ونهبها، وقد اختفت الحركة بعد توقيع اتفاقية

1 سيدي أحمد ولد أحمد سالم، "الأزواد وتاريخ من الصراع في مالي".
http://www.aljazeera.net/news/pages/e1a4c505-2f5f-4cf6-a363-bc67a330b96d

السلام بين الحكومة المالية والمتمردين العرب والطوارق سنة 1992، لكنها عادت للظهور مجددًا مع اندلاع الحرب عام 2011، وقام عناصرها بعمليات قتـــل علـــى أساس عرقي خلال تقدم القوات الفرنسية والمالية شمالاً، كما ظهرت معها حركة رديفة، أو على الأصح جناح آخر منها، يحمل اسم "الكونـــدوإيزو" أي "أبنـــاء الأرض" باللغة الكوروبورية، وهي مؤلفة أساسًا من عناصر من قبائل الســـونغاي في غاوا والمناطق القريبة منها، وتعتبر امتدادًا طبيعيًا لحركة "الكوندوكوي"، ويقول السكان المحليون: إنها ظهرت برفقة القوات المالية بداية عام 2013، واســـتهدفت السكان العرب والطوارق والفُلاّن في مدن كُونّا وسِـــفَارِي وجَبَـــالي وتمبكتـــو وادوينتزا وغاوا.

# ملاحق

## الملحق رقم1

# مقابلة حصرية أجراها الباحث مع أمير "الملثمين" مختار بلمختار

**في نوفمبر/تشرين الثاني عام 2011**

**سؤال: يقال إن إمارة الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي كانت أكبر مستفيد من الأزمة الليبية عبر التسليح وتعزيز وجودها في المنطقة، وأن عناصرها قاتلوا مع الثوار الليبيين. فهل صحيح جلبتم السلاح من ليبيا، وكنتم شركاء في القتال ضد قوات القذافي إلى جانب الثوار؟**

جواب: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم وسلم تسليمًا كثيرًا، شهادة حق ودين ندخرها ليوم لقائه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد، نعم لقد كان المجاهدون في تنظيم القاعدة عمومًا من أكبر المستفيدين من ثورات العالم العربي؛ لأن هذه الثورات كسرت قيود الخوف وحاجز الرعب الذي سلطته هذه الأنظمة العميلة للغرب في عمومها. وإن كنا نرى أن هذه الثورات عمومًا -ومنها الثورة الليبية- لم تصل إلى المرجو منها، وهو إقامة المنهج الإسلامي الراشد الشامل لكل نواحي الحياة، من خلال هذه الهبّة التاريخية والتضحيات الجسيمة -والتي كانت تستحق ذلك- التي قدمتها الأمة الإسلامية وشبابها بالخصوص؛ لأنه في نظرنا ما زالت نفس المنظومة الفكرية والسياسية (العلمانية) هي سيدة الموقف، ولكن الاستفادة الكبيرة هي أن شعوب المنطقة انتصرت انتصارًا مهمًا تمثل في كسب الثقة بالنفس في القدرة على التغيير

والقدرة على المبادرة والمغالبة. أما عن استفادتنا من السلاح فهذا أمر طبيعي في مثل هذه الظروف، ولكن الأهم من ذلك بالنسبة لنا هو تمكن الشعب الليبي عمومًا، وتمكن شباب الحركة الإسلامية خصوصًا من هذا السلاح الذي كان اليد الضاربة لهذه الأنظمة على شعوبها.

وبهذه المناسبة، فإني أحذر إخواني المسلمين في ليبيا من الانسياق وراء دعاوى ومشاريع نزع السلاح، فهو -والله- عزهم وضمان أمنهم بإذن الله. أما عن مشاركتنا في قتال القذافي بمفهوم المشاركة الميدانية فلا.

**سؤال: يواجه بعض الثوار الليبيين اتهامات بالارتباط بكم فكريًّا أو تنظيميًّا، فهل صحيح أن رفاقًا لكم في السلاح والقناعات الفكرية كانوا بين الثوار الليبيين؟**

جواب: لا يخفى على كل ذي بصر لمجريات أحداث الثورة في ليبيا أن شباب الصحوة الإسلامية والجهادية بالخصوص كان أوَّل من واجه كتائب النظام بصدورهم العارية، وكانوا الشرارة الأولى التي أعطت دفعة قوية للشعب الليبي في انتفاضته الشاملة. أما ارتباطهم فكريًّا وتنظيميًّا بنا فهذه ليست تهمة في حق المسلم مع أخيه المسلم، بل هي مفخرة وشرف لنا ولهم، وإن آثار الاحتلال الغربي لبلادنا كالحدود المصطنعة والاعتبارات الوطنية الزائفة لم تنل من منهجنا وعقيدتنا التي من صلبها وجوب نصرة المسلم لأخيه المسلم -كما قال صلى الله عليه وسلم: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"[1]- في مشرق الأرض ومغربها؛ ولأنَّ قوة المسلمين تكمن في وحدتهم التي سعى الغرب الكافر في حربها وما زال.

**سؤال: تخوضون منذ سنوات حربًا مع موريتانيا، كنتم أول من بدأها بهجوم لمغيطي سنة 2005 وما تلاه من هجمات في الغلاوية وتروين، فلماذا قررتم نقل الحرب إلى موريتانيا ومواجهة جيشها دون مبرر؟**

---

1 أخرجه البخاري.

جواب: عن دخولنا في حرب مع الجيش الموريتاني، فنحن لم ندخل أبدًا في حرب مباشرة مع الجيش الموريتاني بالمفهوم التقليدي للحرب، بل إن عملياتنا مع جيش موريتانيا كانت محدودة إلى حد ما؛ لأنه ليس من سياستنا ولا من أولويات تنظيم القاعدة استهداف هذه الجيوش ابتداء، بل إن استراتيجية القاعدة المعلنة هي مواجهة الغرب الصليبي واليهودي؛ لأنه هو الحاكم الفعلي لبلاد المسلمين. وهو واضح وجليّ في كل تصريحات ولقاءات الشيخ أسامة رحمه الله، والشيخ أيمن حفظه الله، وفي كل أدبيات التنظيم من خلال إصداراته. أما عن عملية لمغيطي فأرى أنه من الضروري أن نعطيها شيئًا من التفصيل؛ لأننا أدركنا أن الشعب الموريتاني لم يتفهم حينها دوافعنا للعملية، زيادة على التضليل والكذب الذي يمارسه نظام ولد الطايع من خلال إعلامه وصحافته، ولا أدل على ذلك من بيان وزارة الدفاع الموريتانية الذي ادعت فيه ذبحنا للأسرى. ونحن بهذه المناسبة نؤكد على أننا لم نذبح أيًا من الجنود، ونتحدى وزارة الدفاع أن تثبت قيامنا بهذا العمل لأيٍّ من جنود هذه الحامية. وعملية لمغيطي لم تكن إعلان حرب على موريتانيا، بل كانت عملية محدودة ولمبررات، منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- دخول الجيش الموريتاني ميدانيًّا في حرب المجاهدين، وكانت ثكنة لمغيطي قاعدة لمناورات أميركية موريتانية مشتركة. وقد اعترف بعض الجنود الخمسة والثلاثين الذين أسرناهم بتردد قوات أميركية، وأطلعونا على بعض المرافق الخاصة بالأميركيين. وما يؤكد ذلك إطلاقنا لسراح الأسرى البالغ عددهم 35 جنديًّا بعد جمعهم ودعوتهم وتسليمهم بعض الرسائل إلى النظام الموريتاني آنذاك، وقد نال هذا الموضوع قدرًا من الدراسة قبل العملية، وأعطينا أوامر بعدم الرماية على كل من ألقى سلاحه، وكنا ننادي بذلك أثناء العملية.

ب- كان النظام الموريتاني يقيم سفارة للإسرائيليين في قلب نواكشوط، في استهانة واضحة بمشاعر وكرامة الشعب الموريتاني بل كل المسلمين؛ لأنَّ موريتانيا الدولة الوحيدة خارج دول الطوق التي تقيم علاقات

معلنة مع إسرائيل. ولقد شهدت تلك المرحلة نشاطًا غير معتاد للموساد الإسرائيلي في موريتانيا، ومنها زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي سلفان شالوم الذي أثار غضب الشعب الموريتاني، وتجلى في مظاهرات الشباب في جامعة وثانويات العاصمة نواكشوط. وليس سرًّا أن أقول لكم: إننا نصبنا شَرَكًا لقتل سفير الكيان الصهيوني في موريتانيا قبل الهجوم على المجمع الذي كان يضم السفارة، والملهى الذي كان يوجد فيه السفير قبل الهجوم بدقائق.

ج- ازدياد البطش والقهر لأبناء الدعوة، تمثل في السجن والتضييق والتعذيب على الكثير من العلماء والدعاة، بل بلغ الأمر إلى حد محاصرة المساجد وإطلاق الرصاص فيها، كما حصل في مسجد أسامة بعرفات في نواكشوط، وإهانة الحجاب والمحجبات كما حصل مع الأخت التي توفيت جراء الضرب المبرح -وهي امرأة حامل- من طرف رجال الأمن، بل والتطاول الصريح على شعائر الله بالتهديد بتحويل بيوت الله إلى مخابز، كما صرح بذلك وزير الثقافة آنذاك.

د- وجود سجون سرية لوكالة الاستخبارات الأميركية في موريتانيا، كان أحدها محل رصد ومتابعة من طرفنا، وكان يضم مجموعة من قوات المارينز الأميركي كانت تشرف على حراسة المبنى، وقد أثيرت هذه القضية في الصحافة والطبقة السياسية حينها.

**سؤال: تقولون إن عملياتكم ضد القوات الموريتانية خصوصًا في تورين والغلاوية كانت دفاعًا عن النفس، وأن مجموعاتكم التي نفذت تلك العمليات كانت تبحث عن السياح والموظفين الغربيين في المنطقة واعترضها الجيش الموريتاني. فهل تعتقدون أن الجيش الموريتاني يمكن أن يتخلى عن حماية أراضيه وضيوف بلده من الأجانب لكم، وحين يحاول اعتراضكم لمنعكم من اختطافهم أو قتلهم، يكون صائلاً وجائرًا يستحق جنوده القتل والذبح؟**

**جواب**: نعم، فعمليتا الغلاوية وتورين اللتين ذكرت لم تكونا إلا دفاعًا عن النفس؛ لأن الجيش الموريتاني هو من بدأ بالهجوم، ونعود فنؤكد أن هدفنا الأول في عملياتنا هو المصالح الغربية واليهودية، الاقتصادية منها والعسكرية التي سلبت ثروات أمتنا، والتي نعتبرها احتلالاً جديدًا. وكل من حال دونهم في عملياتنا فهو هدف مشروع لنا، وكيف نتخلى عن قتال هؤلاء الغربيين وهم من يسومون إخواننا المسلمين في أفغانستان والعراق وفلسطين السليبة سوء العذاب من تقتيل وتشريد حتى للأطفال والنساء؟! وما صور "أبو غريب" عنكم ببعيد، فكيف نسمّيهم بعد ذلك ضيوفًا وما جاءوا إلا لغزو بلادنا والقضاء على ديننا ونهب ثرواتنا، قال تعالى: "وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا" [البقرة: 217]. أما عن ذكرك لتعرض بعض من الجنود للقتل بهذه الطريقة (الذبح) فهذا أمر لم نرضه عند سماعنا الخبر، ونعتبره خطأ كما هو الحال في أخطاء الحروب، وقد صدرت حينها توجيهات من أخي أمير التنظيم أبي مصعب عبد الودود بعدم تكرار هذا الفعل.

**سؤال: ما هي مطالبكم أو شروطكم لوقف عملياتكم المسلحة على الأراضي الموريتانية؟**

**جواب**: إن كنت تقصد تحييد موريتانيا في هذه المواجهة المعروفة المقاصد والأهداف كما أسلفنا، فأعتقد أن هذا الأمر قابل للدراسة، فنحن مبدئيًّا لا نرفضه على أمور لا نرى أن هذا محل بسطها ونقاشها، وقد كانت هناك محاولة بداية العام الماضي عندما بدأ هذا النظام بإطلاق بعض الأسرى من إخواننا وعرض علينا خلالها عن طريق بعض الإخوة المساجين إرسال وفد من أهل العلم على رأسهم الشيخ محمد الحسن ولد الددو -على مؤاخذات عندنا- ورحبنا بالفكرة، وما زلنا مستعدين للقاء أي وفد من أهل العلم مهما اختلفت وجهات النظر. ونحن على استعداد كذلك لأي نقاش علمي على منهج وأصول أهل العلم؛ لدراسة التحديات التي تمر بها أمتنا المسلمة.

**سؤال: لو أوقف الجيش الموريتاني عملياته ضدكم في الأراضي المالية، هل أنتم جاهزون للتوقف عن مهاجمته ومهاجمة الأراضي الموريتانية؟**

**جواب:** اعلم أن دخول جيش ولد عبد العزيز في مالي لم يكن أبدًا عائقًا أمام وصولنا لأهدافنا في موريتانيا، ولكن نوعية أهدافنا -كما تعلم- هي التي تفرض علينا مكان وزمان التنفيذ. ولعلمك، إن تدخل جيش ولد عبد العزيز في مالي كان بتخطيط وتحريض فرنسي، بل ومشاركة ميدانية كما حصل في الهجوم المشترك الفرنسي الموريتاني على سرية من المجاهدين قُتل خلاله ثمانية من إخواننا تقبَّلهم الله. وفي محاولة يائسة من الفرنسيين لجرِّنا إلى حرب ليست من أولويات التنظيم كما قلنا من قبل، وكان وكيلهم لتنفيذ هذا البرنامج ولد عبد العزيز وأركان نظامه، واتضح بجلاء أن ولد عبد العزيز وجيشه يخوضون حربًا بالوكالة عن فرنسا. ونحن بدورنا أدركنا أبعاد هذا المخطط، فسعينا للالتفاف عليه بخطة معاكسة تمثلت في محاولة ضرب رأس النظام ولد عبد العزيز والسفارة الفرنسية التي كانت وكرًا من أوكار الدسائس والكيد في هذا المخطط بسيارتين مفخختين وصلتا إلى مشارف نواكشوط، مع وجود جيش ولد عبد العزيز حينها في الأراضي المالية. وبالمناسبة فقد تجاوزت هذه السيارات ثماني ولايات على الأقل، بل مرت على ثكنات عسكرية على ملمح بصرهم، وهذا يدل على أنه كان في استطاعتنا ضرب الأهداف العسكرية في هذه الولايات. ونحن نعتقد أن العملية حققت أهم هدف سياسي وعسكري كان مرجوًّا منها؛ فالهدف العسكري تمثل في انسحاب جيش ولد عبد العزيز من مالي بعد العملية مباشرة، وأما الهدف السياسي ففنَّدت هذه العملية زعم ولد عبد العزيز أنه أحكم السيطرة على الحدود ونقل المعركة إلى مواقع القاعدة في شمال مالي. وقد مُنيت جُلّ تدخلات جيش ولد عبد العزيز بهزائم متتالية، بدءًا بعملية نواكشوط التي أرغمته على الانسحاب من مالي، وانتهاء بالحملة العسكرية على غابة واقادو التي دمر فيها المجاهدون 12 مركبة عسكرية في أول اشتباك مع هذه الحملة العسكرية. وقد اتسمت تدخلاته كذلك بإهانة الأهالي من إخواننا في أزواد، ووصل به الأمر إلى حد القتل، فقُتل على يديه اثنتان من أخواتنا المسلمات، وإصابة آخرين في قصف متعمد على سيارة مدنية تحمل عائلة مع أبنائها.

**سؤال: وقعت في موريتانيا خلال السنوات الماضية عمليات سرقة وسطو استهدفت أموالاً عمومية كأموال ميناء الصداقة في أكتوبر 2007، وكذلك سرقة بعض السيارات الحكومية، ونُسبت هذه العمليات لأتباعكم، وقيل: إن بينها عملية واحدة على الأقل كانت بأوامر وتخطيط منكم شخصيًا. فهل تعتقدون أن الاستيلاء على أموال الشعب الموريتاني المسلم الفقير جهاد أو أمر جائز؟**

**جواب:** نعتقد أن شعوب بلادنا شعوب مسلمة معصومة الدم والمال، وهذا ما قرره شرعنا، وكيف لنا أن نستبيح أموال المسلمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ"[1]. وأما عن الأموال العمومية التي ذكرت فهي في الأصل أموال للأمة، ولكن اغتصبتها هذه العصابات الحاكمة، ولا يصل منها إلى الأمة إلا النزر القليل. وإن فرضنا جدلاً صحة ادعائك، فَمَا تمثله عملية ميناء الصداقة بالنسبة للمليارات التي اختلستها وتختلسها العصابات الحاكمة على مدار سنين طويلة؛ مستغلةً نفوذها في الحكم، وهذا مما لا يخفى على عوام الناس.

**سؤال: قيل إنكم شخصيًا بعد عزلكم عن إمارة الصحراء وإسنادها لأميرها الحالي يحيى أبو عمار، نشب خلاف بينكم من جهة وبين أبي عمار وعبد الحميد أبو زيد من جهة أخرى، وقضيتم سنوات في شبه هدنة توقفتم أثناءها عن العمل المسلح ضد الجيش الجزائري، وفاوضتم السلطات الجزائرية للاستسلام، وفشلت تلك المفاوضات، فقررتم العودة للعمل المسلح. ما مدى صحة هذا الكلام؟ وهل فعلاً تم تجاوز الخلافات بينكم وبين القيادة الجديدة لإمارة الصحراء؟**

**جواب:** إن الخلاف -كما تعلم- يكون على وجه التضاد ويكون على وجه التنوع، وهذا راجع في مجمله إلى اختلاف التصورات وفَهْمها، كل حسب تجربته

---

1 أخرجه البخاري ومسلم.

والظروف التي تحيط بنشاطه وكيفية التعاطي مع مختلف الأحــداث والمواقــف. والخلاف الذي ذكرتَ لا يخرج عن كونه خلافًا تنوعيًّا ضابطنا فيــه الأخــلاق والآداب الإسلامية والاحترام المتبادل دون التجريح والطعن في الآخرين، كما هو حال أهل الأهواء والسياسات الخبيثة. وهذا النوع من الخلاف الــذي ضــابطه الشرع الحنيف حصل حتى في زمن أبــي بكر وعمر -وهما أشراف الصــحابة- في التعامل مع نوازل ذلك العصر. أما عن شبهة الهدنة التي ذكرت فلا يعدو ذلك الأمر كونه تحولاً في استراتيجيتنا حتَّم علينا تهيئة ظروف مادية وتعبويَّة ومعنويــة كانت بالنسبة لنا ضرورية للانطلاق في مرحلة جديــدة، وهــذا بعــد تقيــيم ومراجعة عميقة للتجربة التي دامت أكثر من خمس عشرة سنة في قتــال النظــام الجزائري.

أما عن المفاوضات مع السلطات الجزائرية وفشلها، فبهذه المناسبة أريــد أن أقطع الشك باليقين لأقول: إنني لم أدخل في أي مفاوضات مباشرة أو غير مباشرة، ولا حتى حضور لقاءات حول هذا الموضوع الذي تمادت الصحافة المــأجورة في ترويجه؛ بغرض زعزعة صف المجاهدين والنيل من معنويات الأمة وأنصار الجهــاد باستثناء لقاء واحد مع أحد وجهاء منطقة تمنراست في يناير/كانون الثــاني 2006 طلب لقائي بمبادرة شخصية منه، كما قال لي، وعرض علينا شيئًا من هذا الأمــر على خجل، وكان ردنا صريحًا وواضحًا دون تأويل، أننا خرجنا وقاتلنا هذا النظام الذي عطّل وبدّل شريعة الله تعالى، وسام الناس الذل والقهر، وباع البلاد وثرواتها لأعداء الأمة، وأهان كرامة الشعب الجزائري عندما اختار عن الإسلام بديلاً هــو النظام العلماني. وللأسف فإنَّ من أول بنود مشروع المصالحة الذي ادّعاه النظــام ومخابراته هو تمجيد ضباط الجيش والأمن الذين شهد العالم على وحشية جرائمهم البشعة في حق هذا الشعب المظلوم. وبالله عليكم، كيف نتخلى عن هذا الســبيل الرباني الذي نلنا شرفه، وقد بدأت معالم الصراع العالمي بين الإســلام والكفــر تتضح؟! ونسأل الله أن يثبتنا ويسدد خطانا على الحق حتى نلقاه.

**سؤال: هل صحيح أنكم شخصيًا عارضتم انضمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال إلى تنظيم القاعدة؟**

جواب: أريد أولاً أن أنبّه إلى أن كثيرًا من الشُّبه والتضليلات التي روَّجت لها الصحافة الجزائرية العميلة كالنهار والشروق مثلاً الناطقة باسم المخابرات الجزائرية، كان وراءها مخطط لأجل تمرير وخدمة برنامجها السياسي الممثل في برنامج المصالحة (الظالم).

وإدراكًا منا لخطر هذا المشروع سارعنا في تعجيل خطوات أشرفنا عليها بأنفسنا كنا قد بدأناها منذ سنة 2000؛ لمحاولة توحيد صف المجاهدين مع إخواننا في القاعدة آنذاك. ومن توفيق الله لنا أن كان انضمامنا للقاعدة مشروعًا سياسيًّا واجه مشروع المصالحة الظالم. ومن هذه الخطوات التي باشرناها دعوة أخينا أبي محمد اليمني، ودخوله معنا الجزائر في محاولة لنقل صورة عن الوضع في الداخل والصحراء الكبرى. وإرسالنا لأخينا يونس الموريتاني (يوسف) الذي أُسر مؤخرًا في باكستان، والذي كان أول اتصال مباشر بيننا وبين إخوتنا في القاعدة، وكانت بداية المراسلات بيننا وبين القيادة هناك، مع جهود أخرى لإخواننا في الجزائر. ولم أكن لأذكر هذه الخطوات والمبادرات لولا كثرة المغالطات والإشاعات التي أطلقها الإعلام الجزائري، خصوصًا حول هذا الموضوع.

**سؤال: لديكم حاليًا رهائن فرنسيون كانت قيادة التنظيم قد ربطت مصيرهم بطلب تقدم به أسامة بن لادن، وهو انسحاب فرنسا من أفغانستان. فهل ما زلتم متمسكين بهذا الطلب بعد مقتل أسامة بن لادن، أم تفاوضون حاليًا على مطالب أخرى للإفراج عنهم؟**

جواب: نعم نحن ما زلنا متمسكين بهذا المطلب، وكما تعلم أن مسألة المفاوضات في مسألة الفرنسيين قد حدَّدت قيادتنا مطالبها الواضحة، ولم يطرأ أي تغيُّر في هذه المسألة حتى الآن.

**سؤال: لماذا كنتم مصرين في عملية تبادل الرهائن الإسبان قبل سنة على الإفراج عن عمر الصحراوي وهو ليس عضوًا في التنظيم، وتخليتم عن**

**زملائكم من أعضاء التنظيم في السجون الموريتانية، بعد أن كنتم قد طالبتم بإطلاق سراح بعضهم؟**

**جواب:** نعم لقد كانت مطالبنا بداية بإطلاق مجموعة من الإخوة المساجين في موريتانيا، والسبب الوحيد في تغيُّر مطالبنا وبكل بساطة أن الأسيرين الإسبانيين روكي باسكوال (أبو نبيل) وألبرت فيلالتا (أبو يحيى) اعتنقا الإسلام، وقبْلهم رفيقتهم أليسيا غاميز التي اعتنقت بدورها الإسلام كذلك واختارت اسم عائشة، والتي مَنَنَّا عليها بسبب إسلامها دون شروط. أما الرجلان بدخولهما الإسلام فقد عصما دماءهما؛ مما اضطرنا للتعجيل بالمفاوضات والقبول بتحرير عمر الصحراوي الذي كان تسليمه لنا مسألة متفق عليها قبل مدة في عروض قدمت لنا.

**سؤال: تُتهمون دائمًا بأن لكم علاقات بمهربي المخدرات في الصحراء الكبرى، وأنكم تتأولون للتعامل معهم؛ بحجة أن المخدرات الموجهة إلى بلاد الكفار لا ضير فيها، ويجوز إرسالها لهم لإلحاق الأذى بهم. ما مدى صحة هذا الكلام؟**

**جواب:** معاذ الله أن نجيز أو نتأول تحليل ما حرم الله تعالى! فحرمة المخدرات أو الاتجار بها من قريب أو بعيد ولو إلى بلاد الكفار من أوضح المحرمات في شرع الله تعالى، وهذا واضح لعوام المسلمين فضلاً عنا نحن المجاهدين الذين نسعى لإقامة شرع الله وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا"[1]. وهذه شبهة ليست جديدة من الشُّبه التي يتعمد تشويه صورة المجاهدين بها، بل اتهمنا بأكثر من هذا كبيع المخدرات وحمايتها، وحتى أننا صنيع المخابرات. والله المستعان، ولسنا أول من اتهم بهذا. أما ادعاء التعامل معهم فيشهد كل من يعرفنا أننا نحذِّر شعوب وقبائل هذه المنطقة من حرمة وخطر هذه الظاهرة التي انتشرت انتشارًا رهيبًا في عموم الصحراء الكبرى.

وأريد أن أنبه على أن منطقة الصحراء الكبرى التي هي المجال الحيوي لنشاطنا تعجُّ بمظاهر التهريب كنشاط عصابات السلاح وقُطَّاع الطرق والمخدرات

1 أخرجه مسلم والترمذي وأحمد.

والسجائر، إضافة إلى وجود جبهات قبلية وجهويَّة في صـــراع مـــع حكومـــات المنطقة. ونحن نتعامل بمنهجية واضحة تقوم على الدعوة والنصح وتبيين حكم الله تعالى وإصلاح ذات البين والتحذير من هذه السُّبُل التي ما جرَّت على الأمـــة إلا الحروب والنـــزاعات التي استغلها -للأسف- أعداء الإسلام لضـــرب المســـلمين بعضهم ببعض.

ومن ثمرة هذه السياسة المنتهجة من المجاهدين على مر أكثر من عقد من الزمن استطعنا قطع الطريق على مخابرات الدول الغربية -والتي زاد نشاطها بشكل ملحوظ في المنطقة- ومخابرات دول المنطقة لجرِّنا للصدام مع هذه التجمعـــات والشـــعوب؛ لمحاولة إيجاد مبرِّر لتكوين ميليشيات (صحوات) لحرب المجاهدين، وهذه هي السياسة الأميركية والغربية الجديدة لحرب القاعدة والمجاهدين عمومًا بعد تجربة العراق؛ لأنهم فشلوا في المواجهة المباشرة مع المجاهدين. وهذه السياسة التي انتهجناها نتاج تجربـــة طويلة قاسية، عانينا منها مع سكان بعض المناطق في الجزائر.

**سؤال: يجري الحديث عن تنفيذ عمليات إعدام قمتم بهـــا ضـــد بعـــض الموريتانيين بتهمة التخابر مع الجيش الموريتاني، وقيل: إن بين من قتلتم عناصـــر من التنظيم. فهل هذا صحيح؟ ومن هم ضحايا هذه العمليات؟**

**جواب:** نعم فقد تم القبض على بعض الجواسيس اعترفوا بالعمل لصالح كلٍّ من إدارة أمن الدولة ومكتب المخابرات العسكرية، وقاموا بنشاطات استخباراتية بعد تحري ومتابعة من طرف إحدى سرايا المجاهدين، وقد اعترف أحدهم بتورطه مع محمد ولد مكت في استدراج مجموعة من المجاهدين. وقد استطاع المجاهـــدون استدراج هؤلاء بعملية أمنية، ولم يكن من بين هؤلاء أيٌّ من أعضاء التنظيم.

وأود بهذه المناسبة أن أوجِّه نصيحة لإخواننا المسلمين في موريتانيا والشباب بالخصوص بأن يحذروا من خداع أجهزة الأمن والمخابرات للزجّ بهـــم في حـــرب يخوضها نظام ولد عبد العزيز بالوكالة عن الفرنسيين ضد إخـــوانكم المجاهـــدين، مستغلين ظروفكم المعيشية وبالإغراءات المادية الواهية، وذلـــك خســـران الـــدنيا والآخرة، نسأل الله السلامة والعافية.

أما عن أسمائهم وتفاصيل اعترافاهم فهي مسجَّلة، وستنشر بصفة رسميـــة في الوقت المناسب. وفي الختام أودُّ أن أوجه من منبركم هذا تحية لأهلنا في فلســـطين الجريحة وكل المسلمين بهذا النصر العظيم الذي عزّ على الأمة أن ترى مثله، وهـــا نحن اليوم نعيشه واقعًا في غزة العزة، والذي عشنا فرحته بتحرير المئات من إخواننا وأخواتنا المسلمات، وتحية إجلال وتقدير لإخواننا المجاهدين في كتائب الشهيد عز الدين القسام وجميع الفصائل المجاهدة في أرض الإسراء، والذين نعتبرهم درع الأمة في مواجهة العدو الصهيوني ومن ورائه دول الغرب الصليبـــي، وهذا إنْ دل على شيء فإنما يدل على أن للسلاح كلمته التي لا يفهم الأعداء غيرها.

ونشكركم على هذه المبادرة في طريق البحث عن الحق وإيصاله إلى الأمـــة، نسأل الله لنا ولكم التوفيق، وجزاكم الله خيرًا، وســـبحانك اللـــهم وبحمـــدك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## الملحق رقم2

# مقابلة أجراها الباحث مع أمير الصحراء الكبرى في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي

**يحيى أبو الهمام في أكتوبر/تشرين الأول عام 2012**

**سؤال: المنطقة حاليًا تعيش على وقع دق طبول الحرب ضدكم، كيف تتوقعون هذه الحرب؟ وهل أنتم جاهزون للحوار من أجل تفاديها؟**

**جواب:** الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه. أما بعد،

فإنّ دق طبول الحرب ضدنا ليس وليد اللحظة، والمتغير الجديد هو محاولة فرنسا إقحام بعض الأنظمة التابعة لها بشكل مباشر في هذه الحرب، متذرعة بسيطرة الجماعات الإسلامية وتطبيقها للشريعة في إقليم أزواد. وكما تعلمون، فإن كلاً من أميركا وفرنسا وغيرهما من الدول الغربية قامت بمحاولات عديدة منذ منتصف العقد الماضي؛ لتوريط جيوش المنطقة في حربها ضدنا، ويتضح ذلك من خلال الدعم اللوجستي والتدريب والإشراف المباشر على تهيئة هذه الجيوش لمواجهتنا، وقد نجحت بعض هذه الجهود، إذ تم توريط بعض الأنظمة، وخير دليل على ذلك هو إقحام النظام الموريتاني، وخاصة بعد استيلاء ولد عبد العزيز على السلطة بدعم فرنسي وغربي واضح.

إن المتتبع للحرب الصليبية الحديثة اليوم يدرك أنها تختلف من مكان لآخر، تبعًا للأهداف المرجوة منها؛ ونظرًا لأهمية الصحراء الكبرى فإن من بين الأهداف الأساسية للحرب هو إيجاد موطئ قدم لقوى الكفر العالمي في هذه المنطقة الحساسة. وكما هو معلوم، فإنّ استراتيجية العدو الصليبي الآن تعتمد على

سياسة التوريط والحرب بالوكالة (جيوش، دول، صحوات. ..) كما هو الحال في الصومال، ورغم ضعف مردود هذه الاستراتيجية إلا أنها باتت الخيار المفضَّل لدى العدو بعد الهزائم المتكررة التي تلقتها أميركا وحلفاؤها في أفغانستان والعراق، وما نتج عن حربهم المعلنة على الإسلام من استنـــزاف اقتصاديات هـــذه الـــدول؛ إذ أصبح التدخل المباشر خيارًا لا يحبذ الغرب الصليبـــي الإقدام عليه في وقت يدرك فيه أننا -ومنذ وقت بعيد- أدركنا أن الأسلوب الأفضل والأنجع هو جرّ العـــدو الصليبـــي إلى المواجهة المباشرة؛ لأنَّ معركتنا الحقيقية معه، وليست مع وكلائـــه الذين باعوا الدين بالدنيا، وانخرطوا في التآمر على هذه الأمة، فنـــهبوا ثرواتهـــا، وانتهكوا حرماتها على مرأى ومسمع من العالم كله، فدم الأمة يسيل ويُراق على أيدي مجرمين حاقدين متوحشين، ولا يوجد مَن يرد عليهم أو يوقفهم عند حدِّهم، وما مأساة الشعب السوري عنكم ببعيد.

فهؤلاء الوكلاء هم الذين يختارهم الغرب الصليبـــي، ويجب أن يكونوا أداة حربه الصليبية على الإسلام، وأن يكونوا رأس الحربة فيما يخططه ويقوم به مـــن تآمر على الإسلام والمسلمين. ورغم تعقيدات هذه الحرب، وكثـــرة الأهـــداف المرجوَّة منها، وتضارب مصالح القوى التي تقف وراءها، فإنَّ السيناريو المحتمل هو أن يؤمِّن الغرب الصليبـــي لنفسه نظامًا من إنتاجه هو، بحيث يضمن له موطأ قدم في هذه المنطقة، عبر اتفاقيات طويلة الأمد.

وأما ما تدعيه فرنسا وغيرها من الدول الغربية من ضرورة الحفـــاظ علـــى الوحدة الترابيَّة لدولة مالي، فما هو إلا شكل من أشكال النفاق السياسي المعروفة عن هذه الدول؛ ففرنسا ممثلة في استخباراتها وبعض أذنابها في المنطقة هـــي مـــن احتضنت مشروع تقسيم دولة مالي، ودعمت الحركة الوطنية لتحرير أزواد ماديًّا ومعنويًّا، فلما انقلب السحر على الساحر، ورأى الغرب الصليبـــي أن أي تغـــيير في المنطقة لن يأتي إلا بنبتة أصيلة في هذه الأرض الإسلامية الطيبة، انقلب -ودون خجل- على ما كان يطالب به من ضرورة إنصاف الطوارق وتمتعهم بحقوقهم.

ونحن نرى ضرورة إنصاف الطوارق وتمكينهم من حقوقهم، ومن أهم هـــذه الحقوق هو حق الطوارق وغيرهم من الشعوب المسلمة في أن يعيشوا في ظل دينهم

كما أراد لهم الله، لا كما تريد فرنسا وحلفاؤها الذين يريدون لهم أن يكونوا مسلمين على الطريقة الفرنسية. لأجل هذا وغيره؛ فهم يحشدون قوتهم ويحرضون وكلاءهم لحربنا، ونحن مستعدون لها بإذن الله، ونقول لأمتنا الإسلامية الصابرة المصابرة: ثقي بنصر الله؛ فالمولى عز وجل يقول: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ" [الأنفال: 36].

**سؤال: ما هي استراتيجيتكم على المدى الطويل فى التعامل مع أبناء هذه المنطقة التي توجدون فيها؟**

جواب: نحن -وبحمد الله- موجودون في هذا الفضاء الإسلامي الرحب منذ أكثر من عشر سنوات، وقد احتضننا هذا الشعب المسلم، وعملنا على توعيته، وقدمنا له ما استطعنا من مساعدات؛ كحفر الآبار في المناطق التي لا تتوفر فيها المياه، وكذلك دعم المحاضر (تعليم القرآن)، وساهمنا في فض النزاعات التي تكون عادة بين الشعوب. وكما تعلمون فإنَّ أكثر أفرادنا هم من أبناء هذه المنطقة، ولا أبالغ إن قلت: إننا -وبحمد الله- أصبحنا جزءًا لا يتجزأ من هذا المجتمع، ونبتة أصيلة في هذه الأرض، ولن ندخر وسعًا في الإسهام بشكل إيجابي في إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل هذا الشعب، ولن نتأخر في دعمه في كل المجالات حسب استطاعتنا، والله الموفق.

**سؤال: ما هي علاقتكم بجماعة أنصار الدين وحركة التوحيد والجهاد الموجودتين معكم في نفس المنطقة؟**

جواب: أما جماعة أنصار الدين فهي جماعة إسلامية محلية تسعى لإقامة دين الله، وقد اختارت الجهاد في سبيل الله لتحقيق ذلك، فرغم اختلافنا مع هذه الجماعة في نظرتها المقتصرة على البُعد المحلي، إلا أننا في نهاية المطاف نتقاطع معها في أمور كثيرة، وتبقى أخوَّة الإسلام وما تقتضيه من تعاون على البر والتقوى، ونصرة المستضعفين، والذب عن أعراض المسلمين، وإنصاف المظلومين، ورد الحقوق إلى أهلها هي أساس تعاملنا مع كل الجماعات الإسلامية.

ومن المعروف تاريخيًا أن الشعب الأزوادي المسلم عانى ولعقود طويلة من الظلم والقهر والتهميش والحرمان من أبسط الحقوق، وقد حاول هذا الشعب في مناسبات عديدة رفع الظلم عنه واسترجاع حقوقه المسلوبة، ويتجلى ذلك في ثورات عديدة قام بها هذا الشعب في وجه الطاغوت المالي، وقد كانت هذه الثورات المتكررة تُقابل بالتفهُّم وربما الدعم، أو على الأقل التغاضي من المجتمع الدولي ومن دول الجوار، مع أنه لم يكتب لها النجاح، ولم تتمكن من السيطرة على المدن. ولكن في هذه المرة تمكَّن هذا الشعب من تحرير المدن، بل تحرير الشمال كله، ومع ذلك قُوبلت جهودهم بالاستنكار، بل أصبحوا مجرمين ومحتلين مع أن القيادات الأزوادية لم تتغير؛ فإياد أغ أغالي قائد جماعة أنصار الدين هو القائد التاريخي لهذه الثورات، وكذلك معه الآن أغلب رفاقه في الثورات السابقة، فما الذي جعلهم الآن إرهابيين؟ وقد كانوا بالأمس أبطالاً ومناضلين، مع أنهم تمكنوا من تحرير أزواد، ولم يتغير من طرحهم السابق شيء، غير أنه هذه المرة اكتسى صبغة إسلامية، وهذه هي جريمتهم الوحيدة.

فالعدوان الذي يدبر اليوم ويخطط له ضد أهلنا في أزواد، يبيِّن بجلاء أن هذه القوى الصليبية العالمية التي تسيء إلى نبينا وتحارب شعائر ديننا وتدنِّس مقدساتنا وتحمي دويلة اليهود في قلب أمتنا لن تقبل أن تحكم ديارنا بشريعة الإسلام؛ لأن ذلك هو السبيل إلى استعادة عزتنا وكرامتنا. وأما جماعة التوحيد والجهاد في غرب إفريقيا فأعضاؤها المؤسسون هم في الأصل من تنظيم القاعدة، وقد اختاروا أن يكونوا تنظيمًا مستقلاً، ونحن لم نوافقهم على ذلك، وهذه هي نقطة الخلاف بيننا وبينهم، ومع ذلك فالاتصال بيننا، والسعي المشترك لإزالة هذا الخلاف قائم ولله الحمد. ولا يفوتني أن أنوِّه في هذا المقام بالدور الهام الذي قاموا به في بسط الأمن والعدل في ولاية غاوا، التي هي من أهم المدن في هذه المنطقة، كما أبدي امتناني للموقف التاريخي والمسئول الذي اتخذوه نصرةً لنا، بعد أسر بعض أفرادنا في ولاية غرداية، نسأل الله أن يتقبل ذلك منهم.

**سؤال: حاليًا هناك شبه هدنة بينكم وبين السلطات الموريتانية، ما هي أسباب ذلك؟ وما الذي يضمن أن يستمر هذا الوضع وتتوقفوا عن تنفيذ هجمات داخل الأراضي الموريتانية؟**

**جواب:** كما هو معلوم أن تنظيم القاعدة تنظيم عالمي له استراتيجية واضحة المعالم في إطار معركتنا مع أعداء الأمة الإسلامية من صليبيين ويهود وغيرهم، وتقوم هذه الاستراتيجية على تركيز عملنا العسكري على رأس الكفر العالمي أميركا وحلفائها. وما يحدث من معارك هنا وهناك يعتبر بالنسبة لنا معارك جانبية جرَّنا العدو إليها جرًّا، ذلك أن الحكام المرتدين الذين فرضهم العدو على أمتنا المسلمة كانوا دائمًا أداة طيعة في يد سادهم، وقد نقوم أحيانًا بتأديب بعض هذه الأنظمة التي تقاتل بالوكالة، ومنها النظام الموريتاني. وكما أوضحنا سلفًا، فإنَّ تركيزنا هو على رأس الكفر أميركا وحلفائها، وكل نظام يتبنى النهج الأميركي ويعتدي علينا فهو بالتأكيد هدف مشروع لنا، وهناك أنظمة علمانية مرتدة كانت باستمرار خارج دائرة استهدافنا؛ لأنها انتهجت سياسة الحياد.

**سؤال: يجري الحديث عن أن موريتانيا ترفض المشاركة في التدخل العسكري في أزواد، كيف تقيِّمون الموقف الموريتاني؟ وهل يعني ذلك أن موريتانيا لو تجنبت الحرب ستكون في مأمن من هجماتكم؟**

**جواب:** لا يبدو أن الموقف الموريتاني بهذا التوصيف الذي تطرحونه، ففي حين يصرح الرئيس الموريتاني بأن "موريتانيا تكتفي بحماية حدودها"، وهذا ما يُفهم منه أنه لا ينوي التدخل العسكري في شمال مالي، في نفس الوقت يطالعنا وزير الخارجية في خطابه الأخير أمام الأمم المتحدة الذي قال فيه: "إن النظام الموريتاني يُدفع باتجاه الحرب في المنطقة"، بل يذهب إلى أبعد من ذلك ويصرِّح بأن موريتانيا مستعدة لإيواء مركز الأمم المتحدة لمحاربة الإرهاب. وهذا تناقض واضح، بل تلاعب مفضوح. وعلى هذا فإننا ندعو الشعب الموريتاني المسلم إلى الوقوف إلى جانب إخوانهم المسلمين في أزواد ضد هذه الحملة الصليبية، وندعوهم لأن يكونوا صفًّا واحدًا مع إخوانهم، ويدًا واحدة على عدوهم؛ امتثالاً لقول نبيهم

عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم: "الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ". وإذا أرادت الحكومة الموريتانية أن تبقى خارج دائرة استهدافنا، فهي تعرف أكثر من غيرها ما يتوجب عليها فعله.

**سؤال: مؤخرًا صدر بيان باسم مجلس شورى المجاهدين في أزواد قيل إنه موقّع من طرف الحركات الإسلامية الثلاثة التي تسيطر على الإقليم، ويتوعد بالانتقام لمذبحة الدعاة التي ارتكبها الجيش المالي، فما حقيقة هذا المجلس؟ وما دوره؟**

**جواب:** لا علم لنا بوجود هذا المجلس، وقد قرأنا البيان في الإنترنت، وفي المقابل نحن نرى أن هذه المجزرة التي ارتكبتها مجموعة من الجيش المالي في حق إخواننا الدعاة -تقبلهم الله في الشهداء- هي جريمة لا تغتفر، وتعبر عن مدى الحقد الدفين لهذه الأنظمة المرتدة على المسلمين بكافة انتماءاتهم.

**سؤال: أعرب قائد كتيبة الملثمين خالد أبو العباس في مقابلة صحفية عن استعدادكم للحوار مع الحكومة الموريتانية عن طريق لجنة من العلماء، هل أنتم جاهزون لحوار من هذا القبيل؟ وما شروطكم للقبول به؟**

**جواب:** الحوار في حد ذاته ليس مشكلة لدينا، ولطالما طالبنا كل الأنظمة بالتوبة إلى الله والرجوع إلى تحكيم شرعه، ونحن نرحب بأي حوار يشرف عليه العلماء العاملون، المعروفون بصدقهم ونصحهم لله ورسوله وللمسلمين. أما شرطنا فهو الرد إلى كتاب الله وسنة نبيه على فهم السلف الصالح؛ امتثالاً لقوله تعالى: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" [النساء: 59].

وبهذه المناسبة أودُّ أن أنتهز الفرصة لأقول لأمتنا الإسلامية: إن ما يصوره الأعداء عبر وسائل إعلامهم الرسمية أو المأجورة من أننا لا نقبل الحوار ولا نفهم إلا لغة السلاح هو مجرد تضليل، المقصود به تشويه صورة المجاهدين. في حين أنهم

ليسوا كذلك، والكل يعلم أن خلافنا مع الأنظمة الحاكمة خلاف شرعي عَقَـدِيٌّ وليس صراعًا على السلطة، ولا نـزاعًا على أي أمر دنيوي آخر. فكل نظام يقبل تحكيم شرع الله والوقوف عند حدوده هو نظام مقبول بالنسـبة إلينـا، ونحـن مستعدون لأن نكون جنودًا أوفياء له، وكل نظام يحارب دين الله بتحكيم القوانين الوضعية، وما يترتب عليها من تحليل لما حرَّم الله وتحريم لما أحلَّ، ونشـر الفسـاد وانتهاك الحرمات، فهو غير مقبول لدينا، ولا نستحيي من المجاهرة بعدائه، ونـرى أنه يجب على المسلمين أن يتصدوا له ويتخلصوا منه.

**سؤال: لو وافقت مالي على حكم ذاتي في أزواد، وتطبيق الشريعة فيهـا على طريقة ما يحدث في شمال نيجيريا، هل ستقبلون؟**

**جواب:** كل أمر فيه مصلحة للإسلام والمسلمين ولا يخالف أحكام الشـريعة الإسلامية، نؤيِّده ونسانده حسب استطاعتنا، وعمومًا فالأمر متروك للجماعـات المسيطرة على مدن الإقليم.

**سؤال: بحوزتكم الآن عدد من الرهائن الفرنسيين، هـل بإمكـانكم أن تحدثونا عن مطالبكم للفرنسيين بشأن مصيرهم؟ وهل ستتغير وضعيتهم إذا مـا بدأت الحرب عليكم بدعم أو مشاركة فرنسية؟**

**جواب:** إن المتتبع للخطاب الفرنسي الرسمي منذ وصول الـرئيس فرانسـوا هولاند إلى سدة الحكم، يدرك المنحى التصعيدي الذي ينتهجه، فقد وعد الشعب الفرنسي بتحرير الرهائن دون التفاوض مع المجاهدين، وهذا يعني أن لهولاند خيارًا آخر غير التفاوض، وقد جرَّب سلفه ساركوزي هذا الخيار، وكانـت النتيجـة معروفة؛ فقد حاول -كما زعم- أن يحرِّر الأسير الفرنسـي ميشـال جارمـانو، وكانت النتيجة أن قُتل جارمانو. وحاول مرة ثانية تحرير الأسـيرين الفرنسـيين اللذين أُسرا في النيجر، وانتهت المحاولة بقتلهما، وقد كنا مستعدين للتفـاوض إلا أن ساركوزي كان يفضِّل التخلص من مواطنيه بدل الإبقاء علـى حيـاتهم، ولا أعتقد أن الأمر سيختلف كثيرًا إذا حاول هولاند اقتفاء أثر سلفه. وأود أن أرسل

رسالة إلى ذوي الأسرى الفرنسيين المحتجزين لدينا، أن قرار الحرب الذي يبدو أن هولاند قد اتخذه، يعني بالضرورة أنه وقّع على إعدامهم، وعليه أن يتحمل مسؤولية قراره. وأما مطالبنا فقد بلّغناها لهولاند مكتوبة عبر وسطائه.

**سؤال: صرح أحد القادة العسكريين الإسلاميين في أزواد وهو عمر ولد حماه مؤخرًا بأنكم سترسلون صور الأسرى وهم قتلى إن لم يكف عن تهديده وتحريضه، ما حقيقة هذا التهديد؟**

**جواب:** بالنسبة لتصريحات الأخ عمر ولد حماه -حفظه الله- فيما يخص مصير الرهائن الفرنسيين فهي اجتهادات شخصية ولا تمثل رأي التنظيم؛ إذ إن للتنظيم مؤسسة إعلامية "الأندلس"، هي التي تعبر عنه بشكل رسمي عن قرارات التنظيم، وعلى مستوى منطقة الصحراء الكبرى يوجد ناطق رسمي للتنظيم، وهو الأخ عبد الله الشنقيطي.

وأخيرًا أريد أن أغتنم الفرصة لتوجيه رسالة إلى العلماء والدعاة إلى الله من أهلنا في بلاد شنقيط، فأقول: مشايخنا وأئمتنا الكرام، هذه أحكام الله سبحانه وتعالى قد مكّن لها على مرمى حجر منكم، على أيدي ثُلّة من أبنائكم المجاهدين، الذين آثروا طريق الهجرة والجهاد في سبيل الله لتغيير واقع الأمة، وقد نصرهم الله على قلة عددهم وكثرة أعدائهم، وهم اليوم في شوق إلى لُقْياكم، والاستفادة من علومكم وإحلالكم المكانة اللائقة بكم، وقد جعل الله لكم دار عز تهاجرون إليها فرارًا بدينكم، وهيأ الله لكم أنصارًا يفدونكم بأموالهم وأنفسهم، وقد أتيحت لكم الفرصة لبث علومكم، والانضمام إلى ميادين الجهاد بالحجة والبيان، جنبًا إلى جنب مع إخوانكم ممن حملوا السلاح وقارعوا الأعداء، وإنّ مقتضى الأمانة التي حمّلكم الله إياها، أن تكونوا أئمة الناس في إقامة الدين وبيان الحق وإبلاغ الحجة إلى عباد الله، وأن تحكموا بين الناس بما آتاكم الله من علم وفقه وفهم. وتلك -والله- مهمة عظيمة يهون في سبيلها كل عظيم، فلا يفوتنكم أجر تغبير الأقدام في سبيل الله، والنفور إلى ميادين العز والشرف. أسأل الله أن يُعلِي أقداركم ويرفع مراتبكم. آمين، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

# الملحق رقم3

## بيانات

**نص البيان المعلن عن تأسيس الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر، التي تحوَّلت لاحقًا إلى تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي.**

### بيان "الجماعة رحمة"

قال تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا" [آل عمران: 103].

على الرغم من تحالف قوى الكفر والضلال لضرب شوكة الجهاد والرمي به في مهاوي الضياع والفناء، وعلى الرغم من انتشار أمواجٍ الفتن وتلاطمها عبر أفواه المخذِّلين والمرجفين من السبئيِّين المنافقين الذين راحوا عبثًا يرصدون ويخطِّطون، همّهم الإيقاع بين المسلمين ولاسيما المجاهدين، فلبّسوا وشكّكوا على الأمة جهادها تارة، ولفّقوا وزوّروا لتشتيت وتمزيق صفِّها أخرى، شعارهم قطع كل سبيل يخلص إلى الخلافة الراشدة، ولكن هيهات هيهات أن يكون لهم هذا حينما تتنزّل بشائر الرحمات بإذن رب الأرض والسموات في قوله تعالى: "كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ" [المائدة: 64]، وقوله: "وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" [الصف: 8].

فها هو فجر جديد ينبعث بريق نوره كالنبراس الوضّاء في جوّ سماء ديار الجزائر، يعلن عن وحدة للمجاهدين السلفيين التي أشرق نهارها تحت أزيز الطائرات ودويٍّ القنابل، فكانت الساعة ساعة العصر، واليوم يوم الجمعة، والشهر شهر الله المحرّم، والعام عام الجماعة إن شاء الله تعالى.

نعم جاء الفرج والفارج هو الله من أحزان الفُرقة التي دامت ثلاث سنوات بشدّة عذابها وقوّة مرارتها على أُمَّة دفعت أعزّ ما في أحشائها لا لشيء إلا أنّها قالت: "إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ" [يوسف: 40]، فمدَّها الله بعونه وصدقها بوعده، "إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" [يوسف: 90].

وكان ذلك بعد تكاثف الجهود والمساعي من الإخوة المجاهدين خلال أيام الفُرقة التي أصابت الجهاد، وانتهى هذا المبلغ من الجهد -بفضل الله ومنِّه- إلى اجتماع كلٍّ من المنطقة الثانية والمنطقة الخامسة بما فيها "سرية الوادي" والمنطقة السادسة والمنطقة التاسعة (الصحراء) "مؤتة" و"بوكحيل"، وبعد المشاورة خرج الإخوة بما يلي:

1- أن هذا الجمع الذي أُعيد بناؤه هو امتداد لما قام عليه الجهاد أولاً، إذ إن جُلّ أفراده من الذين كانوا من وراء قيامه، وعليه فإنّه هو الممثّل الحقيقي في هذه الدّيار الجزائرية على اعتبار أنّه لم يُغيِّر و لم يُبدِّل ما كان عليه قيامه، وهو الالتزام بالمنهج السلفي دينًا واعتقادًا، علمًا وعملاً، منهجًا وسلوكًا.

2- الاتفاق على تغيير الاسم الأول من "الجماعة الإسلامية المسلحة" إلى "الجماعة السلفية للدعوة والقتال"؛ لكون الاسم الأوَّل صار شعارًا لدعاة الهجرة والتكفير، وإليه تُنسب كثير من الأعمال التي يتبناها هذا المنهج. وبالجملة فإن الجماعة السلفية للدعوة والقتال هو شعار امتدادي للجهاد الذي قام في هذه الديار، دعا إلى تغييره الانحراف المنهجي والعقائدي الذي وقع في إمارة (الجماعة الإسلامية المسلحة)؛ والغرض من هذا التغيير هو تمييزه عنه ليس إلاّ.

3- الاتفاق على تأمير الأخ أبي مصعب عبد المجيد على الجماعة السلفية للدعوة والقتال.

4- البراءة إلى الله من المجازر التي قامت على قتل عموم الشعب بإمارة زوابري.

5- البراءة إلى الله من الهدنة المزعومة التي أقامها جيش الإنقاذ، والتي هي في حقيقتها مقاتلة أهل الإسلام وموادعة أهل الأوثان.

أيها الإخوة المجاهدون الأحباب، أيها الإخوة المرابطون في سبيل الله، ها قـد فتح الله علينا بهذا الاعتصام الذي بدَّد بنوره ظلمات الفرقة، وأطفأ بنسماته نـيران الفتنة، فأرهب المرتدّين، وأفجع المبتدعة الضّالين،كما أرَقَّ حزنًا الغُفَّل والمتعجّلين؛ لذا فإننا نهيب بكم -أيها الإخوة- أن تغمروه نصرة وتأييدًا، فـلا تتوانـوا في أن تكونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر، مفاتيح لخير الاجتماع والائتلاف، مغاليق لشرّ الفُرقة والاختلاف.

هذا، والله نسأل الثبات على دينه، والنصرة على أعدائه، والتوفيق لما يحـب ويرضى.

لا حوار، لا هدنة، لا صلح مع المرتدين.

"وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" [الحج: 40].

تم عقد هذا الجمع عصر يوم الجمعة، السابع من المحـرم ألـف وأربعمائـة وعشرين هجرية.

حضر الجمع كلٌّ من ممثلي:

**المنطقة السادسة:**

**كتائب أبـي عمير (كتائب الاعتصام):**

- أبو عمير مصطفى أمير المنطقة.
- أبو سعيد.
- أبو اليمان محمد الأمين مستشار شرعي.
- فاروق أبو محمّد.
- أبو أيمن عصام مسؤول الإعلام.
- أسامة.
- ياسين أبو زكريا.
- أبو البراء أسد.
- أبو الوليد.

**المنطقة الثانية والمنطقة التاسعة (الصحراوية):**

- أبو حمزة حسان حطاب "أمير المنطقة" (مؤتة).
- محمد أبو عبد الرحمن.
- أبو الهمام عكاشة "مستشار عسكري".
- أبو أيوب نجيب.
- أبو مصعب عبد المجيد "رئيس الهيئة الشرعية" (بوكحيل).
- نوح أبو مسروق.
- أبو البراء أحمد "عضو في الهيئة الشرعية".
- فاروق أبو سليمان.
- أبو زكريا "مسؤول الطب".
- أبو مريم معاوية.

**المنطقة الخامسة:**

- أبو إبراهيم مصطفى "أمير المنطقة".
- أبو عبد الله مسعود "مسؤول الإعلام".

الجزائر يوم 8 من المحرَّم 1420هـ.

**بيان انشقاق المنطقة الصحراوية المعروفة بالمنطقة التاسعة بقيادة مختار بلمختار عن الجماعة الإسلامية المسلحة؛ تمهيدًا لانضمامها للجماعة السلفية للدعوة والقتال، وقد توسعت المنطقة التاسعة لاحقًا، وأصبح اسمها "إمارة الصحراء".**

"بيان وتبرئة"

قال الله تعالى: "هَذَا بَلاَغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ" [إبراهيم: 52].

إنَّ المنطقة الصحراوية بإمارة أبي العباس خالد:

سُنِّيَّة سلفيَّة عقيدة ومنهجًا وسلوكًا، تعتمد الأعذار الشرعية من جهل وإكراه وتأويل.

تعتبر هذا الطاغوت كافرًا مرتدًّا تجري عليه أحكام أهل الردّة، فلا حوار ولا صلح ولا هدنة معه، وترى القتال هو السبيل الوحيد لإقامة الخلافة الراشدة على نهج النبوة، وعليه فإنها:

- تَبْرَأُ إلى الله تعالى من المجازر التي تقع في هذه الديار، والتي هي من صنيع الهجرة والتكفير (أي الخوارج) بالتواطؤ مع المخابرات تحت إمرة عنتر زوابري وشرذمته.

- وتبرأ أيضًا من دُعاة الحوار والهدنة.

- تحذِّر الأمة من موالاة هذا الطاغوت المرتد والاندماج في صفِّه، قال الله تعالى: "وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" [المائدة: 51].

- وتعفو دون متابعة عمَّن وضع سلاحه وترك مناصرة هذا الطاغوت وتاب إلى الله عز وجل. قال الله تعالى: "إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [المائدة: 34].

بوكحيل في 15 من رجب 1418هـ.. المنطقة الصحراوية.. أبو العباس خالد

**بيان إعلان تغيير اسم الجماعة السلفية للدعوة والقتال بعد مبايعتها لزعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن إلى "تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي".**

## "إشعار بتغيير التَّسْمِيَة"

قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ" [الصف: 4].

بعد أن أنعم الله على المجاهدين خاصة وعلى المسلمين عامة بانضمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر إلى تنظيم قاعدة الجهاد، ومبايعة أسد الإسلام في هذا الزمان الشيخ أسامة بن لادن –حفظه الله من كل مكروه وسوء- كان لابد أن تختفي التسمية القديمة "الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، لتحل محلها تسمية جديدة تكون علامة على صحة الوحدة، وقوة الائتلاف، وصدق الارتباط بين المجاهدين في الجزائر وسائر إخوانهم في تنظيم القاعدة.

وقد كنا حريصين على هذا الأمر منذ اليوم الأول لإعلان الانضمام، و لم يمنعنا من الإقدام عليه إلا استشارة الشيخ أسامة –حفظه الله- وإذنه واختياره. وقد زالت اليوم هذه العقبة بحمد الله تعالى، وعليه فإنَّ الجماعة تعلن لكل المسلمين في داخل الجزائر وخارجها، أنها تخلت نهائيًا عن التسمية القديمة "الجماعة السلفية للدعوة والقتال"، وتُعلِمهم أنها ابتداء من هذا التاريخ، فإنَّ كل بياناتها وإصداراتها ستظهر موقَّعة بهذا الاسم الجديد "تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي".

نسأل الله أن تكون هذه البشارة بردًا وسلامًا على المسلمين، وحسرة وغيظًا على الكافرين والمرتدين.

"وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ" [يوسف: 21].

أبو مصعب عبد الودود

أمير الجماعة السلفية للدعوة والقتال

حُرِّر يوم الأربعاء 5 من المحرم 1428هـ الموافق 24 من يناير 2007

نص أول بيان تصدره جماعة أنصار الدين بعد تأسيسها في أزواد سنة 2011

إننا في جماعة أنصار الدين نقدِّم في هذا البيان المختصر بعض الإيضاحات الأساسية لأهلنا في أرض أزواد الأبيَّة، ولعموم الأمة الإسلامية:

أولاً: إننا في جماعة أنصار الدين نسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في أرضنا، وتحكيم الإسلام في كل أمورنا؛ امتثالاً لقوله تعالى: "فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" [النساء: 65]؛ ولذلك فإن قتالنا هو لإعلاء كلمة الله، فهو جهاد في سبيل الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سُئل عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حميَّة، ويقاتل رياء، أيُّ ذلك في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ"[1].

ثانيًا: إننا نعتقد أن جميع المسلمين هم إخواننا، سواء كانوا عربًا أو عجمًا، بيضًا أو سودًا؛ لقول الله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" [الحجرات: 10]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ"[2].

ثالثًا: إننا نعلن للجميع عن رفضنا للظلم والبغي، ونعوذ بالله أن نَظلم أو نُظلم، قال الله تعالى: "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ" [الأنعام: 21]. وفي الحديث القدسي: "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا". وحيث وقع منا خطأ أو ظلم، فإننا مستعدون للتحاكم للشريعة، مع أي أحد كائنًا من كان، وملتزمون -إن شاء الله- برد المظالم إلى أهلها، قال الله تعالى: "إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [النور: 51].

رابعًا: إننا نرجو من شيوخ العلم، ووجهاء القبائل وعُرفاء الناس أن يحذِّروا الأمة وينبهوها إلى خطورة الحروب الأهلية، والدعوات الجاهلية التي تسعى إلى

1 أخرجه البخاري ومسلم.

2 أخرجه مسلم وأحمد.

الإيقاع بأمن المسلمين بينهم وجرّهم إلى الفتن، قال النبـــي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً أو يَدْعُو إِلَـــى عَصَـــبِيَّةٍ، فَقُتِـــلَ فَقِتْلَـــةٌ جَاهِلِيَّةٌ"[1]. نعوذ بالله تعالى من ذلك!

خامسًا: نرجو من كافة المسلمين مناصرتنا لإقامة الشريعة ورد المظالم، ورفع الذل والهوان عن شعوبنا وأمتنا المسلمة، ونخص هنا المناصرة بالدعاء؛ فإنه ســـلاح المؤمن وخاصة في أوقات الإجابة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

أمير جماعة أنصار الدين
الشيخ إياد أغ أغالي

1 أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد.

# قائمة المصادر والمراجع


**الكتب:**

1. ابن خلدون، كتاب العبر وديون المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت: دار الكتب العلمية، 1992).
2. كمال الطويل، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر من "الإنقاذ إلى الجماعة" (بيروت: دار النهار، ط1، 1998).
3. همام هاشم الألوسي، الطوراق الشعب والقضية: تاريخًا منسيًّا وحاضرًا مقهورًا ومستقبلاً مجهولاً (الرباط: دار أبي رقراق، 2010).
4. يحيى أبو زكريا، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر 1978-1993 (بيروت: مؤسسة المعارف للمطبوعات، 1993).

**الدوريات والصحف:**

1. "الإرهابيون يتنحرون على أسوار نواكشوط"، أخبار الجيش، العدد (25)، 2011.
2. أخبار نواكشوط، 9 نوفمبر/تشرين الثاني 2011.
3. أخبار نواكشوط، 10 فبراير/شباط 2010.

**المقابلات الصحفية:**

1. حوار مع مختار بلمختار أمير "الملثمين"، نوفمبر/تشرين الثاني 2011.
2. حوار مع يحيى أبو الهمام أمير الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، أكتوبر/تشرين الأول 2012.
3. مقابلة للباحث مع القيادي السابق في جماعة أنصار الدين الشيخ أغ أوسا.

**المصادر الإلكترونية:**


1. "أبو الهمام على قائمة الإرهاب الأميركية".
http://www.aljazeera.net/news/pages/ac4d5218-5d44-4759-905f-06f211c37ed6

2. "أزواد الأمازيغية.. الحوض المالي.. التاريخ والجغرافيا.. ثم الحرب".
http://www.elhora.info/online/index.php?option=com_content&view=article&id=7234:2012-12-20-14-26-13&catid=60&Itemid=760

3. أحمد الحسني، "الحالة الدينية في شمال مالي منطقة "أزواد" وتداعيات الثورة: الواقع والمأمول".
http://almoslim.net/node/164402

4. "إياد أغالي: المجاهدون وأنصار الدين تعاهدوا على نصرة الشريعة وقتال الرافضين لها".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=17667

5. "اتفقتا على إعلان دولة إسلامية بإقليم أزواد: إسلام تايمز تنشر نص اتفاق حركة تحرير أنصار وحركة أنصار الدين".
http://islamtimes.org/vdcbs0b8frhb08p.kuur.html

6. "أمير كتيبة بن لادن لـ "الأخبار": التهديد الدولي قدر كوني سنواجهه بالقتال".
http://arc.alakhbar.info/275200--ACCBBF-FFAB--FC-F0FC0C50-B-F-F.html

7. "أنصار الدين في مالي: من الجهاد إلى الحوار السياسي".
http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2013/01/130124_ansar_eddine.shtml

8. "بلمختار يروي تفاصيل مواجهة غاوا.. ويدعو شرفاء حركة تحرير أزواد إلى التشاور".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=18759

9. "تفاصيل جديدة عن هجوم أنصار الدين على مدينة أجلهوك".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=16773
10. "تفاصيل حصرية عن مفاوضات ومقتل رهينتين غربيتين في نيجيريا".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=17320
11. "تنظيم القاعدة يعلن عن كتيبة سادسة بقيادة أحد الطوارق".
http://www.saharamedias.net/%D8%AA%D9%8
12. "حركة أبناء الصحراء للعدالة تعود للعمل المسلح ضد الجزائر انطلاقًا من شمال مالي".
http://ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=15185
13. "زعيم أنصار الدين يتحدث عن تدفق المهاجرين إلى شمال مالي".
https://arabliss.wordpress.com/2013/01/23/%D8%B2%D8%B9
14. "الزعيم زيد أغ الطاهر".
http://www.azawadpress.com/cultureazawad/595-2013-06-18-19-08-29.html
15. سيدي أحمد ولد أحمد سالم، "الأزواد وتاريخ من الصراع في مالي".
http://www.aljazeera.net/news/pages/e1a4c505-2f5f-4cf6-a363-bc67a330b96d
16. "قاعدة المغرب الإسلامي تعين أبو الهمام أميرًا لمنطقة الصحراء".
http://www.saharamedias.net/%D9%82%D8%A
17. "القصة الكاملة لتنظيم أنصار الله المرابطين في موريتانيا".
http://essirage.net/index.php/news-and-reports/447-2010-10-18-22-11-44.html
18. "قيادات عسكرية تنشق عن حركة أزواد الإسلامية وتنضم للحركة الوطنية".
http://www.saharamedias.net/%D9%82%D9%8A%D
19. "كتيبة أنصار الشريعة.. مشروع جهادي جديد يقوده صاحب اللحية الحمراء".
http://www.saharamedias.net/%D9%83%D8

20. "مجلة أكاديمية: تمبكتو المدينة المفقودة".
http://arc.alakhbar.info/25525-0-B0-FC-F0.html
21. محمد الحافظ الغابد، "الطوراق بين طموح الاستقلال وسيناريوهات التوظيف".
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/d41dcaff-
22. "مقتل القيادي بالقاعدة ولد امينوه ورفيقه ولد امبارك خلال هجوم الطوارق على أجلهوك".
http://www.ani.mr/?menuLink=9bf31c7ff062936a96d3c8bd1f8f2ff3&idNews=17031
23. "مقتل 18 إرهابيًّا وتحرير 650 رهينة بينهم 100 أجنبي".
http://www.echoroukonline.com/ara/mobile/articles/154400.html
24. "موجزات سردية لأسباب الإدراج في القائمة".
http://www.un.org/ar/sc/committees/1267/NSQIO31413%E2%80%8EA.shtml
25. "ولد محمد الخيري: نجحنا في فض نزاعات عمرها 40 عامًا".
http://arc.alakhbar.info/27595-0-0F-FCCFFAB--C---40--CC0.html